

المجلد
٦

المكتبة الأنثروبولوجية

قضايا
قطرية

للخشي القروي
١٩٦١ هـ - ١٩٧١ م

تحقيق: إبراهيم الأبياري

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب العربي
الطامة

مجلد
٦ 6

المكتبة الأنثروبولوجية

فَضَائِلُ

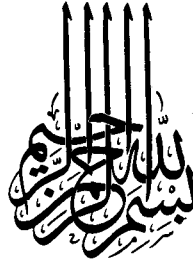
فَرَطِيَّة

للخشي القروي

٢٩٧١ هـ - ٢٩٧١

تحقيق : إبراهيم الأبياري

دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني
المتاهرة بيروت



دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
ت: ٨٦٠٧٩٢ / ٨٦١٥٦٣
ص. ب: ١١/٨٢٢٠
TELEX: DKL 23715 LE
ATT: MAY. H. EL-ZEIN
بيروت - لبنان

جميع
حقوق
الطبع
والنشر
محفوظة
لناشرين

دار الكتاب المصري

٢٢ شارع نصر النيل - القاهرة ج. م. ع.
ت ٢٩٢٢١٦٨ / ٢٩٢٤٣٠١
ص. ب: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ بوليا كندا مصر
TELEX No. 23081-23381-22181
ATT MR. HASSAN EL-ZEIN
فاكس: ٣٩٢٤٦٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

وينتظم هذا التقديم :

- ١ — المراجع .
- ٢ — التعريف بالمؤلف .
- ٣ — التعريف بالكتاب .

(١)

المراجع

- ١ — الأعلام للزركلى (٦ : ٣٠٣) .
- ٢ — الأنساب للسمعاني (ص : ٢٠٠ وجه) .
- ٣ — بغية الملتبس للضبي (ت : ٩٦) .
- ٤ — تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣ : ٨٨ - ٨٩) .
- ٥ — تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢ : ١١٤ - ١١٥) .
- ٦ — التبيان (مخطوط) لابن ناصر الدين (وفیات سنة : ٣٧١ هـ) .
- ٧ — تذكرة الحفاظ للذهبي (٣ : ٢٠٩) .
- ٨ — جذوة المقتبس للحميدى (ت : ٤١) .
- ٩ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص : ٤٥٥) .
- ١٠ — الديباج المذهب لابن فرحون (٢٥٩ - ٢٦٠) .

- ١١ - كشف الظنون لحاجي خليفة (١ : ٢٩) .
- ١٢ - معالم الإيمان لابن التاجي (٣ : ١٠٠) .
- ١٣ - معجم الأدباء (الإرشاد) لياقوت (١٨ : ١١١) .
- ١٤ - معجم البلدان لياقوت (٢ : ٤٤٨) .
- ١٥ - نفح الطيب للمقري (٤ : ١٦٦ - ١٦٧) .
- ١٦ - هدية العارفين لإسماعيل البغدادي (ص : ٣٨) .

(٢)

التعريف بالمؤلف

الحشنى ، هو أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد ، كما ذكره ابن الفرضى وابن فرحون ، وعنهما فيما يسدى ثقل الزركلى ، وأما السمعاني وياقوت والضبي والحميدى وغيرهم ممن ذكرنا ، فقد عدلوا واختصروا فقالوا فى اسمه : محمد بن حارث الحشنى ، وقريب من هذا من إضافة جديدة ماجاء فى عنوان الكتاب ، فتميمه : أبو عبد الله محمد بن حارث الحشنى القروى .

وليس ثمة بين هذه المراجع من رفع نسبه إلى غير (أسد) ، فلاندرى من أسد هذا ؟ غير أن الحديث عن لقبه الحشنى ربما كشف عن هذا شيئاً .

فهذا اللقب الحشنى ، الذى هو بضم الحاء وفتح الشين المعجمة وفى آخره النون ، ينتهى كما يقول السمعاني إلى قبيلة وقرية .

أما القبيلة فهى خشين ، وهى بطن من قضاة ، وخشين هذا الذى به عرفت القبيلة هو : خشين بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران ابن الحافى بن قضاعة .

وأما القرية المعروفة باسم : خشين ، فهى موضع بإفريقية .

ثقل هذا السمعاني عن ابن مأكولا فى كتابه الإكمال .

كذا يقول السمعاني ، ولم يذكر ياقوت فى كتابه معجم البلدان بلدا آخر بهذا الاسم فى إفريقية ، وإنما ذكر أرضا بهذا الاسم فى الشرق قحلا

عن ابن إسحاق ، فقال ، وهو يتحدث - أعني ابن إسحاق - عن غزوات النبي صلى الله عليه وسلم : وغزوة زيد بن حارثة من أرض خشين .
ثم زاد ياقوت نقلا عن ابن هشام : قال ابن هشام : من أرض حسمى .

وقال ياقوت عند كلامه على حسمى : حسمى لجذام ، جبال وأرض بين أيلة وجانبي تيه بني إسرائيل .

وذكر السمعاني أن من بين من ينتسبون إلى خشين بن النمر : أبو ثعلبة الحشني وآخرون ، واستطرد فذكر مع هؤلاء الآخرين محمد بن حارث الحشني .

ولم يفصح السمعاني ، أهو منسوب إلى القبيلة أو إلى القرية ، ولكن الذي يبدو من السياق أنه منسوب إلى القبيلة .

ويكاد يرجح هذه مذكره ابن حزم في الجهرة إذ يقول ، وهو يتسكلم على خشين بن النمر : منهم أبو ثعلبة الحشني ، واسمه الأشرس بن جرم ، له صحبة ، شهيد ببيعة الرضوان وخير .

ثم يقول - أعني ابن حزم - : ودار خشين بالأندلس جيان وأسمال للبيرة ، ومنهم بلبله عدد .

غير أن قول ابن الفرضي عن الحشني من أنه كان من أهل القيروان ، وأنه تفقه بها ، يكاد يردنا عن هذا الترجيح ، هذا إذا ضمنا إليه هذه النسبة التي اتسبب بها الحشني فقييل له : القروي ، والقروي ، نسبة إلى القيروان .

ثم إذا قرأنا ما لابن فرحون في هذه فإنه يكاد يزيدنا شكاً ، يقول ابن فرحون : وتفقه بالقيروان على أحمد بن نصر ، وأحمد بن زياد ،

وأحمد بن يوسف ، وابن اللباد ، والمعمرى ، وسمع من غير واحد من شيوخ إفريقيا ، وقدم الأندلس حدثاً وسنه اثنتا عشرة سنة ، فسمع من ابن أئمن ، وقاسم بن أصبغ ، وأحمد بن عبادة ، ومحمد بن يحيى بن لبابة ، والحسن ابن سعد ، وغيرهم من القرطبيين ، واستوطن بعد هذا قرطبة .

ثم يقول بعد هذا : وقد دخل سبتة قبل العشرين وثلاثمائة .

ولا ندرى كم كانت سنه عندها فنحن نجعل تاريخ ميلاده .

ثم يقول ابن فرحون : فحبسه أهلها عندهم ، وتفقه عليه قوم منهم .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : ثم دخل الأندلس وتردد في كور الثغور أخيراً بقرطبة .

ثم يقول ابن فرحون أيضا : وولاه الحكم المواريث ببيجاية - وهي مدينة إفريقية - وولى الشورى بقرطبة .

وهكذا نرى أن محمد بن الحارث كان مولد ، بإفريقية بالقيروان ، وإليها نسب ، فقليل له : القروى ، وأنه عاش سنين الأولى بها ، ثم اختلف إليها كما اختلف إلى غيرها من مدن إفريقية مرات .

ويغفل السمعاني هذا فلا يذكر شيئا عن نسبة محمد بن الحارث إلى القيروان ، ويحتزىء بقوله : أنداسى قرطبي ، ولا يقول : قروى .

ويزيد ابن فرحون فيحدثنا عن تلامذة الحشنى فيقول : حدث عنه أبو بكر بن حويل ، وغيره .

ويكاد كلام ابن فرحون يكون فيه ما يغنى عن نشأة محمد بن الحارث وشيوخه ، ثم يزيدنا عن وصفه فيقول : وكان عالما بالآخبار وأسماء الرجال ، وكان حكيما يعمل الأدهان ويتصرف في الأعمال اللطيفة ، شاعرا بليغا إلا أنه يلحن .

كما يقول عنه : كان حافظاً للفقہ متقدماً فيه ، نبياً ذكياً ، فقيهاً فطناً ، متفنناً عالماً بالفتيا ، حسن القياس فى المسائل .

ويقول نقلاً عن أحمد بن عباد : رأينا ابن حارث فى مجلس أحمد بن نصر - يعنى وقت طلبه بالقيروان سنة إحدى عشرة - : وهو شعلة يتوقد فى المناظرة .

إلى أن يقول : وآلت به الحال بعد موت الحكم وتقصير ابن أبى عامر بصنائع الحكم إلى الجلوس فى حانوت لبيع الأدهان .

. . .

ولقد قلت قبل : إن تاريخ مولد محمد بن الحارث مجهول ، ولسكننا إذا عدنا إلى ما نقلته عن ابن فرحون من أن محمد بن الحارث قدم الأندلس حدثاً وسنه اثنتا عشرة سنة ، ثم إلى ما نقلته عن ابن فرحون أيضاً وهو يحدثنا عن محمد بن الحارث فى مجلس أحمد بن نصر ، ثم إلى ما يزيد ابن الفرضى بأن ذلك كان فى القيروان ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة ، أى ثلاثمائة وإحدى عشرة .

إذا عدنا إلى هذا وذاك استطعنا أن نقول : إن مولد محمد بن الحارث كان فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، أى فيما بين سنتى ٣٢٩ و ٣٠٠ ، وعندها كان محمد بن الحارث فى التاسعة أو العاشرة من عمره ، وما نظن سن التلقى تكون دون هذه السن أو تلك .

هذا عن مولد محمد بن الحارث ، أما عن تاريخ وفاته فالمؤرخون فيه يختلفون ، فيذكر السمعاني أنه - أى محمد بن الحارث - كان حياً فى حدود سنة ثلاثين وثلاثمائة .

ومثل هذا يقوله الحميدى والضبي ، وقولهما يسكاد يكون واحداً ،

قالا : وقد أفصح أبو سعيد بن يونس باسمه - أى باسم الخشني - ونسبه في موضعين من تاريخه ، في باب السين وفي باب النون ، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه .

إلى أن يقول : كان حياً - أى الخشني - في حدود الثلاثين وثلاثمائة .

وهذا ما نقله ياقوت في كتاب معجم الأدباء ولم يزد .
وهذه الأقوال كلها لا تفيد شيئاً في تعيين سنة وفاته ، وإنما تذكر حياة امتدت بعد هذا لاشك .

ونرى إسماعيل البغدادى في كتابه هدية العارفين يذكر أن وفاة الخشني كانت سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة .

ولا ندرى من أى مرجع استقى إسماعيل البغدادى هذا .
ونرى ابن الفرضى يبعد عن هذا بعداً كثيراً ، فيقول : توفي رحمه الله - يعنى الخشني - بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ويزيد ابن الفرضى فيقول : ودفن بمقبرة مومرة .
وقريب من قول ابن الفرضى هذا ما ذكره ابن فرحون ، يقول :
وتوفي - يعنى الخشني - بقرطبة في صفر سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ثم يزيد ابن الفرضى ويقول : وقيل : سنة أربع وستين .
ويقول الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ : إنه مات في صفر سنة ٣٦١ هـ
وهذا خطأ ، فإن المسئصر عاش بعد هذا الوقت سنة ٣٧١ هـ .

وما من شك في أن الذهبي اعتمد في هذه على ما جاء من كلام لابن

فرحون انفرد به ، وذلك حين يقول : وآلت به الحال - يعنى الخشنى -
بعد موت الحكم ، وهى العبارة التى سقناها قبل كاملة .

ولقد كانت وفاة الحكم المستنصر سنة ست وستين وثلثمائة (٥٣٦٦هـ) .
لهذا ظن الذهبي هذا الظن من أن فى المساق خطأ ، ورأى « الستين » ،
محرقة ، عن « السبعين » ، ولا أدرى لم لم يقل غيرها .

ويبدو أن ناصر الدين فى كتابه التبيان حين ذكر اسم الخشنى فى
وفيات سنة ٣٧١هـ كان اعتماده على ما ذهب اليه الذهبي .

كما يبدو أن بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى كان معتمده هو
الآخر على ما قاله الذهبي ، واسكنه فيما نقل كان غير جازم إذ يصدر قوله
عن تاريخ الوفاة بقوله : ويبدو ، كما فعل الذهبي .

غير أن بروكلمان إلى هذا يخالف من سبق فى اليوم فيقول : توفى -
يعنى الخشنى - بقرطبة ، وكانت وفاته يوم ٢ من صفر سنة ٣٧١هـ
(أغسطس سنة ٩٨١ م) .

. . .

هذا تفصيل ما قيل عن وفاة الخشنى ، ونكاد نفيد :

١ - أن الخشنى كان حيا إلى أيام الحكم المستنصر .

٢ - ونحن نعلم أن الحكم المستنصر ولى الخلافة ، بعد وفاة أبيه سنة
خمسین وثلثمائة (٥٣٥٠هـ) وبقي فيها إلى أن توفى سنة ست وستين
وثلثمائة (٥٣٦٦هـ) .

٣ - وأن عبارة ابن فرحون تحتاج إلى وقفة ، فلقد قال عن وفاة
الخشنى ، كما عرفت قبل : إنها كانت سنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم قال :
وقيل : سنة أربع وستين وثلثمائة .

وما نظن ابن فرحون كان يحمل تاريخ وفاة الحكم حين قال ذلك ،
وأنها كانت سنة ست وستين وثلثمائة .

٤ — إذن كيف وقع ابن فرحون في هذا الخلط ، وهو المعتمد الذي
اعتمد عليه الذهبي فيما أظن ، والذي تابعه عليه ابن ناصر الدين ،
ثم بروكلمان .

٥ — ثم ما هذا الاختلاف في اليوم الذي توفي فيه الخشني ، ولقد
حدده أقرب الناس إلى الخشني زمناً ، وهو ابن الفرضي ، وأغفله
ابن فرحون صاحب هذه العبارة الملبسة ، وجاء بروكلمان فيه بجديد ينقله
عن التبيان .

٦ — ولما لهذا نكاد نقول بما قال به ابن الفرضي ، وهو أقرب الناس
زمناً إلى الخشني ، وهو قوله الذي سقته قبل : إن وفاة الخشني كانت سنة
إحدى وستين وثلثمائة ، وهو القول الذي أيده عليه ابن فرحون .

. . .

وبما سقنا عن مولد الخشني ووفاته نستطيع أن نقول : إنه - أي الخشني
- لم يعمر طويلاً ، وإنه عاش بعد الستين بقليل ، وإن عمره عندها كان
نحواً من أربعة وستين عاماً ، أو ثلاثة وستين عاماً .

. . .

وفي هذا العمر ، الذي ليس بالقصير ولا الطويل ، كانت للخشني فيه
مؤلفات ، أظنه بدأها مبكراً ، إذ كان نضجه العلمي مبكراً كما رأيت .
ولقد كانت صلته بالحكم المستنصر الذي ألف له كتبه ، والحكم
ولي عهد .

ونحن نعلم أن مولد الحكم كان سنة اثنتين وثلثمائة ، وأن ولايته للعهد كانت حوالى سنة ست عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى ولى فيها أبوه عبد الرحمن الخلافة .

ولقد مر بنا أن دخول الخشنى الأندلس كان وسنه اثنتا عشرة سنة ، وأن ذلك الدخول فيما نظن كان بعد تركه القيروان بعام أو عامين ، أى بعد سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وهى السنة التى أشرنا إليها قبل .

إذا علمنا هذا كله علمنا أن الخشنى بدأ تأليفه للحكم بعد قدومه الأندلس بنحو من ثلاثة أعوام تزيد قليلا ، وكان عمر الخشنى عندها فيما نظن نحواً من ثمانية عشر عاماً .

ولقد كان أكثر المؤرخين للخشنى استيعاباً لكتبه هو ابن فرحون . وهذه هى أسماء كتبه كما ذكرتها المصادر المختلفة التى سقناها قبل ، مرتبة على حروف الهجاء :

١ - الاتفاق والاختلاف فى مذهب مالك .

ذكره الحميدى فى البغية ، وابن فرحون فى الديباج ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل البغدادى فى كتابه هدية العارفين .

٢ - أخبار الفقهاء والمحدثين .

ذكره الضبى فى الجذوة ، وياقوت فى كتابه معجم الأدباء ، وإسماعيل بغدادى فى كتابه هدية العارفين .

وذكر السمعانى كتاباً باسم : أخبار القضاة والمحدثين ، غلط ، أولعل فى العبارة تحريفاً صوابه : أخبار الفقهاء والمحدثين .

كما ذكره المقرئ فى النفح باسم : أخبار الفقهاء ، وام يزد .

٣ - الاقتباس .

ذكره ابن فرحون .

٤ — تاريخ الإفريقيين .

كذا ذكره ابن فرحون .

وذكره بروكلمان باسم : علماء إفريقيا ، وقال : ومنه مخطوطة في مكتبة محمد بن أبي شنب ، وقد طبع أخيراً هذا الكتاب في القاهرة بهذا الاسم .

٥ — تاريخ قضاة الأندلس ، وهو هذا الكتاب الذى أخرجه ، وسيأتى الكلام عنه .

٦ — تاريخ علماء الأندلس .

ذكره ابن فرحون .

ولعله هو الذى أشار إليه ابن الفرضى ، وقال : وقد جمع له — يعنى للحكم المستنصر — فى رجال الأندلس كتاباً قد كتبنا منه فى هذا الكتاب ما نسبناه إليه .

وثمة كتاب بهذا الاسم لابن الفرضى ، وسينخرج بين كتب المكتبة الأندلسية ، وترتيبه بعد هذا الكتاب : قضاة قرطبة .

٧ — التعريف .

ذكره ابن فرحون .

٨ — رأى مالك الذى خالفه فيه أصحابه .

ذكره ابن فرحون .

٩ — الرواة عن مالك .

ذكره ابن فرحون .

١٠ — طبقات فقهاء المالكية .

- ذكره ابن فرحون .
- ١١ - علماء إفريقيا .
- انظر تاريخ الإفريقيين .
- ١٢ - الفتيا .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٣ - المحاضر .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٤ - مناقب سجنون .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٥ - المولد والوفاة .
- ذكره ابن فرحون .
- ١٦ - النسب .
- ذكره ابن فرحون .

هذا ما ذكرته المراجع التي ترجمت للخشني ، وثمة غير هذا لم تذكره المراجع ، وفي ذلك يقول ابن فرحون ، وهو أكثرهم إحصاء لكتب الخشني ، يقول بعد سرده لكتبه : وغير ذلك ، أي إنه ثمة كتب أخرى لم يشأ أن يذكر أسماءها .

ومن هذا السرد نرى أن كتب الخشني في الفقه والتاريخ وما يمت إلى التاريخ بسبب .

ولكن الخشني - كما ذكرنا قبل ، نقلا عن المراجع المختلفة - كان شاعرا ، فأين نتاجه في هذا ؟

عن هذه تصمت المراجع ولا نجد لها غير إشارة إلى ذلك .
فيقول ابن الفرضي : بلغني أنه - أي الحشني - ألف له - أي للحكم
المستنصر - مائة ديوان .

ويقول ابن فرحون : ألف له - أي للحكم المستنصر - مائة ديوان .
ولا أظن هذه الدواوين التي تتم المائة إلا دواوين شعر ، ولكن أين
هي هذه الدواوين ؟

هذا على أن الحشني كان شاعراً بليغاً ، كما يقول ابن فرحون .
ولعل سبب ذهاب هذه الدواوين كان لقلة اكتراث الناس بها ، لما كان
فيها من لحن ، إذ يقول ابن فرحون ، بعد ما وصف الحشني بالبلاغه في
الشعر : إلا أنه يلحن .

غير أنني إلى هذا أكاد أشك في أن الحشني كانت له في الشعر هذه
الدواوين التي تتم المائة ، اللهم إلا إذا عرفت هذه العبارة معنى آخر غير
المعنى المتداول .

(٣)

التعريف بالكتاب

أعني هذا الكتاب الذي أخرجه للقراء في طبعته الجديدة : قضاة
قرطبة .

ولقد اختلعت المراجع في تسميته :

فيسميه السمعاني : أخبار القضاة والمحدثين ، كما قدمت قبل .

وأكاد أرد هذه على السمعاني ، وأراها من زلات القلم ، وأن المعنى

هنا : أخبار الفقهاء والمحدثين ، وهو كتاب للحشني . كما مر بك .

اللهم إلا أن يكون في الأمر خلط من الكاتب ، فاقطع الشق الأول
من كتاب : أخبار القضاة بالأندلس ، ثم الشق الثاني من كتاب : أخبار
الفقهاء والمحدثين .

ويسميه ابن فرحون : تاريخ قضاة الأندلس .
ويتفق الحميدى فى جذوة المقتبس ، والضبي فى البغية ، على تسميته باسم :
أخبار القضاة بالأندلس .

وينقل عنهما - فيما يبدو - إسماعيل البغدادى فى هدية العارفين مع
حذف فيقول : أخبار القضاة ، ولا يزيد .

وينقل المقرئ من رسالة لابن حزم فى تعداد فضائل أهل الأندلس ،
فيذكر هذا الكتاب لمحمد بن الحارث الخشنى فيقول : وكتاب محمد بن
الحارث الخشنى فى أخبار القضاة بقرطبة وسائر بلاد الأندلس .

وعبارة الخشنى فى مقدمته لهذا الكتاب تفصح عن أن هذا التأليف
خاص بقضاة قرطبة ، إذ يقول : فإنه لما أمر الأمير - يعنى الحكيم - أبقاه
الله - بتأليف كتاب القضاة مقصورا على من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ،
بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى قرطبة .

ولقد ذكر حاجى خليفة فى الكشف (١ : ٢٩) من بين الكتب التى
تحمل اسم « أخبار قضاة » ، كتابا يحمل هذا الاسم : أخبار قضاة قرطبة ،
ولكنه عزاه لابن بشكوال خلف بن عبد الملك صاحب الصلة ، الذى
سنترجم له مع صدور كتابه « الصلة » .

واقعد صدر هذا الكتاب فى مدريد سنة ١٩١٤م عن مخطوطة بمكتبتها
الأهلية تحمل هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة .

ومن هنا شاعت هذه التسمية ، واستقر للكتاب اسمه الذى تحمله هذه

المخطوطة ، والذي يتفق وما جاء على لسان مؤلفه ، وتراجم الكتاب - كما سترى - كلها لقضاة قرطبيين ، لذا كانت تلك التسمية أصدق .

والكتاب مروى عن أبي محمد بن عتاب ، عن أبي بكر التجيبي .

وهذا يعنى أن الحشنى حدث به ، وعن هذا التحديث حدث أبو بكر التجيبي ، وعنه حدث عتاب ، وعن عتاب حدث ابنه أبو محمد .

وهذا يعنى أيضاً أن هذا الكتاب لم يخرج إلى الوجود حياة الحشنى ولا حياة الحكم ، بل ظل حديثاً يُتحدث به إلى أيام أبي محمد بن عتاب ، يدلنا على هذه وتلك التعقيب بالدعاء بالرحمة عند ذكر اسم الحشنى ، أو اسم الحكم المستنصر .

هذا مع علمنا بأن الكتاب أخذ فيه الحشنى عن أمر الحكم له ، والحكم ولى عهد ، بدليل ما ورد في تقديم الحشنى للكتاب من دعاء لأبي الحكم : عبد الرحمن الناصر .

ولكن الحشنى على هذا لم يتمه إلا بأخرى ، والحكم المستنصر خليفة ، ففي الكتاب أحاديث استقاها الحشنى عن رواة الأخبار وأهل الحفظ ، وهذا كان وهو يترجم لمن سبقوا عصره ، غير أن في الكتاب تراجم قال فيها الحشنى عن معاينة ومعاصرة .

ولقد عني المستشرق الأسباني جوليان ريبيرا بنشر هذا الكتاب ، وصدرت طبعته الأولى بمدريد سنة ١٩١٤ م ، كما قلت قبل ، وجاءت مع النص العربي ترجمة لهذا المستشرق باللغة الأسبانية يسبقها تقديم للكتاب باللغة الأسبانية أيضاً .

وعلى حين يحمل النص العربي هذا العنوان : كتاب القضاة بقرطبة ، تحمل الترجمة الأسبانية : تاريخ قضاة قرطبة .

وهذه المخطوطة المدريدية ، التي يبدو أنها فريدة ، كان الفراغ من كتابتها في الثلث الأخير من ليلة الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستمائة ، أى بعد وفاة المؤلف بنحو من قرون ثلاثة .

وكان كاتبها هو : محمد بن علي اللواتي .

ويبدو أن هذا الكاتب كان من أسرة معنية بالعلم ، وأن تلك الأسرة كانت على حظ من الجاه بمدينة طنجة .

كما يبدو أن هذه المخطوطة توارثها الأبناء عن الآباء ، فثمة عليها عبارة تملكك تقول : ملكه وكسبه محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي ، الشهير في طنجة بابن بطوطة .

ثم كتب لهذه المخطوطة أن تنتقل إلى البرتغال إلى مالك آخر محب للعلم ، هو عمر بن أحمد يوسف المقدسي ، لاندري من هو ، لأنه ثمة بياض أو طمس بالأصل بعد هذا .

ثم ملكها بعده ابنه ابراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه ، الشهير بصغرك ، وكان ذلك سنة خمس وسبعين وثمانمائة من الهجرة (١٤٠٧ م) .

ولاندري بعد كيف انتقلت هذه المخطوطة من البرتغال إلى أسبانيا ، ولا متى كان هذا ^(١) .

وعن هذه الطبعة المدريدية ، التي كُتبت نصها العربي بخط هذا المستشرق الأسباني ، فيما يبدو ، ثم صور ما كتبه المستشرق الأسباني لطبع ، صدرت

(١) انظر هاتين العبارتين - عبارة الكاتب وعبارة التملك - في آخر الكتاب .

طبعة أخرى قاهرية سنة ١٩٥٢ م ، ثم طبعة ثالثة قاهرية سنة ١٩٦٦ م ، وكان اعتماد هذه وتلك على هذه النشرة المديرية .

ومع هذه الجهود المشكورة التي بدت في هذه الطبعات الثلاث ، فلقد ظل النص يحتاج إلى مزيد ليطلع قراء العربية :

- ١ - نصا قد قيدت كلماته .
- ٢ - وحررت عباراته .
- ٣ - وصوبت تحريفاته .
- ٤ - وقومت تصحيفاته .
- ٥ - وشرح غامضه .
- ٦ - وأشير إلى مظاهره .
- ٧ - وقلم لصاحبه .
- ٨ - وعرف به .
- ٩ - وتوج بفهارس أولى خاصة ، ارتقبا لفهارس أخرى عامة ، تضم مواد المكتبة الأندلسية كلها .

غير أنى لا أزال أذكر آسفاً افتقادی بخطوطة هذا الكتاب ، واجتزائي بقراءة المستشرق الأسباني ريبيرا لها ، إذ فيما كتب :

- ١ - كلمات كثيرة استعصت عليه قراءتها فترك مكانها نقطا .
 - ٢ - وكلمات كثيرة شق عليه رسمها فوجهها كما بداله .
- وعلى ما أثبتته المستشرق الأسباني ريبيرا جاءت المطبوعتان المصريتان ، لهذا كان على أن أتلمس للكلمات ، التي استعصت على المستشرق الأسباني قراءتها ، ما يدل عليها ، أو ما يقوم مقامها ، وأن أجهد جهدي في

الكلمات التي دق على المستشرق الأسباني رسمها لأجد لها الوجه الذي
يتفق والسياق، ولا يبعد كثيرا عن رسمها .

وبعد . فأرجو أن يوفقني الله إلى تحقيق ما أبغيه ، وأن يعينني على
إكمال ما أنا آخذ فيه .

إنه تعالى خير من يوفق، وأجل من يعين .

إبراهيم الأياري

المحرم ١٤٠١ هـ

نوفمبر ١٩٨١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد وآله
وسلم تسليماً

حدثنا أبو محمد بن عتاب ، عن أبيه ، عن أبي بكر التجيبي ، قال
أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني ، رحمه الله (١) ،
وصل الله بالأمير الحكم المستنصر (٢) ولى عهد المسلمين أسباب
السعادة ، ومدله في العز ، وزاده من نعمة التوفيق .

إنه لما حسن ... الأمير ، أبقاه الله ، واستحكمت بصيرته سدده الله في
حفظ ... (٣) العاوم ومطالعة الأخبار ، وفي معرفة النسب وتقديد
الأثار ، وفي الإشادة بفضائل السلف ، والتقليد لمناقب الخلف ، وفي
التذكير بالمنسى من الأنباء ، والإشارة إلى السالف من القصص ،
وبخاصة ما كان في مصره قديماً وفي عصره حديثاً ، مما جعله الله (٤)
سبباً قويا لحياة القلوب ، وعلة ظاهرة لنباهة النفوس ، فتحرك أهل

(١) هذا التعقيب بسؤاله تعالى الرحمة للخشني ثم للحكم ، يشير ،
كما قلت قبل في المقدمة ، إلى أن الكتاب خرج إلى الوجود بعد موت
الخشني ، وأنه من وضع واحد ممن حدثوا .

(٢) جاء في الأصل بعد هذه الكلمة « رحمه الله » ، وهي من
زيادات من حدث ، وإذا كان الخشني هو المتكلم عن الحكم ، فلا محل
لهذه العبارة .

(٣) في الأصل هنا كلمة مطموسة لم يستطع القارئ قراءتها
فترك مكانها هذه النقطة .

(٤) الأصل : « جعل الله ذلك سبباً » ، وما أثبتناه أوفق .

العلم^(١) بما حركهم إليه الأمير الموفق ، فاستحفظوا^(٢) ما أضاعوا من غرر الأخبار ، وقيدوا ما أهملوا من عيون المعارف ، واتصلت بجميعهم بركة الأمير ، أبقاه الله ، في ذلك ، وكذلك خير الفضائل ما سطع نوره ، وانتشر ذكره ، وكان علة لفضائل ، وسبباً لمفاخر .

فالحمد لله الذى جعل الأمير ، أيدى الله ، إماماً فى الخير ، ودليلاً فى طرائق الرشd ، وهادياً^(٣) إلى جميل المذاهب ، وأسوة فى الحسنى ، ومفتاحاً إلى حميد الأمور ، وباباً إلى الفضل ، هنأه الله بنعمته^(٤) ، وأدام غبطته ، و..^(٥) عليه فضله ، ووفر من المكارم حظه .

فإنه لما أمر الأمير ، أبقاه الله ، بتأليف كتاب القضاة مقصوراً على من قضى للخلفاء ، رضى الله عنهم ، بأرض المغرب فى الحاضرة العظمى قرطبة ، ذات الفخر الأعظم ، ولعالمهم بها من قبل ، هزرت رواة الأخبار عن أخبارهم^(٦) ، وكاشفت أهل الحفظ عن أفعالهم ، وسألت أهل العلم عما تقدم من سيرهم ، قولاً وفعلًا ، فألقيت من ذلك فصولاً تروق المستفهمين ، وقصصاً تهيج السامعين ، وأخباراً تدل الناظرين المتعقبين على حصافة العقول ، وسعة العلوم ، وعلى راحة الأحلام ،

(١) مكان هذه الكلمة نقط تشير الى أنه ثمة كلمة تعذر على القارئ قراءتها ، وبمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .

(٢) كذا ، يريد : احفظوا ، وهى غير واردة .

(٣) الأصل : « ومهاديا » .

(٤) الأصل : « نعمته » . والفعل هنا يتعدى بالباء .

(٥) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ، ولعلها :

واسبغ .

(٦) الأصل : « فى أخبارهم » .

وثقافة الأفهام ، وعلى صدق البصائر ، وصحة العزائم ، وعلى ... (١) مآل الفضل ، واستقرار العدل ، وعلى استقامة الطريقة و.. (١) ، وعلى من استقضاهم (٢) من الخلفاء ، رضى الله عنهم ، من الأوصاف الرضية فى حسن الارتياذ ، وجميل الاختيار ، وفى .. (١) القضاة بجميل العظات ، وفى إيثار الصدق وتأيد ... (١) ذلك ، جدير (٣) بقضاة مثل هذا المصر الأكبر ، بيضة ... (١) ، ودار الإمامة ، وحاضرة الجماعة ، ومعدن الفضائل ، ومسكن الأفاضل : وكمين العلوم ، وجمع العلماء ، وقاعدة الأرض .

فأدام الله فضلها ، وأكمل حسننها بالإمام العادل ، والمالك الفاضل ، أمير المؤمنين عبد الرحمن (٤) ، أطال الله بقاءه ، ثم بالمصطفى لعنه ، الممثل (٥) لمجده ، جعله الله إماماً فى الخيرات ، وعلماً فى الصالحات .

قال محمد :

لما كان القاضى أعظم الولاية خطراً بعد الإمام ، الذى جعله الله زماماً للدين ، وقواماً للدين ، لما يتقلده القاضى من تنفيذ (٦) القضايا ، وتخليد (٧) الأحكام فى الدماء والفروج والأموال والأعراض ، وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار ، وكانت العقبي من الله

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارئ .

(٢) الأصل : « وعلى ما لمن استقضاهم » .

(٣) الأصل : « جديد » .

(٤) هو : عبد الرحمن بن محمد الناصر ، ابن عبد الله ، وكان مولده سنة ٣٧٧ هـ (٨٩٠ م) . ولى الخلافة بعد وفاة جده سنة ٣٠٠ هـ ، وكانت وفاته سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) .

(٥) يعنى : الحكم المستنصر ، ولى العهد .

(٦) مقروء ريديرا : « تنفيذ » . ويبدو أن الوجه ما أثبتنا .

يريد : الابانة عن زيفها .

(٧) كذا ولعلها : تنفيذ .

في ذلك فضيلة المقام ، هائلة الموقف ، مخوفة المطنع ، اختلفت في ذلك
الهمم من عقلاء الناس وعلماهم ، فقبل كثير منهم القضاء ، رغبة في
شرف العاجلة ، ورجاء لمعونة الله عليه ، واتسكالا على سعة عفوه فيه ،
ونفر آخرون منه رهبة من مكروه الآجلة ، وحذارا من الله فيما قد
يكون منهم وعلى أيديهم .

قال محمد :

وقد سلف من رجال الأندلس من أهل حاضرتها العظمى رجال دُعوا
إلى القضاء فلم يجيبوا ، وندبوا إليه فلم ينتدبوا ، رهبة من ..^(١) أنفسهم
في منتظر العاقبة ..^(٢)

وقد رأيت أن ...^(٣) ذكرهم ، ووصف مقاماتهم بين يدي خلفائهم ،
وإشفائهم بما دعاهم إليه أمراؤهم ، وأن أجعل لذلك بابا في صدر الكتاب ،
ثم أصير إلى ذكر ولاية القضاء ، قاضيا ققاضيا ، على ما كانت عليه
دولهم ، إن شاء الله ، وأسأل الله جميل المعونة على صواب القول ، ومحمود
الفعل ، فإنه الهادي إلى سواء السبيل .

-
- (١) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « مما حذرته » .
(٢) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « في الآخرة » .
(٣) مكان هذه النقط كلمة استعصت قراءتها على القارئ ،
ولعلها : « أسوق » أو كلمة بمعناها .

باب
من عرض عليه القضاء
من أهل «قرطبة»
فأبى قبوله
(مصعب بن عمران)

قال محمد :

استشار الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنهما ، أصحابه فيمن يوليه القضاء بقرطبة ، فأشار عليه ابنه هشام ، رحمة الله عليه ، وابن مغيث الحاجب ، بالمصعب بن عمران ، فقبل الأمير عبد الرحمن رأيهما ، وأمر بالإرسال في مصعب ، فلما قدم أدخله على نفسه بحضرة ابنه هشام ، وأحمد بن مغيث ، وجماعة أصحابه ، فعرض عليه ولاية القضاء ، فأبى قبولها^(١) وذكر عذراً له في ذلك ، فردد عليه الأمير عبد الرحمن القول ، وأظهر له العزيمة ، ولم يوسع العذر في ترك القبول ، فأصر على الإباء لها ، وتمادى على النفور منها ، فلما يش الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، منه ، أطرق وجعل يقتل شاربته ، وكان إذا غضب قتل شاربته ، فالويل للبغيضوب عليه ، حتى خاف من حضر على مصعب من بادرة تكون من الأمير فيه ، لهول مقامه ، وجعل بعض الحاضرين ينظر إلى هشام بن عبد الرحمن ، وإلى أحمد بن مغيث ، كالقائلين لهما : ماذا عرضتما بالرجل ؟ فرفع الأمير رأسه ، فقال لمصعب : اذهب ، فعليك كذا وكذا ، وعلى الذين أشاراك ، ولم يكن من عقوبته له في حمس الغضب أكثر من ذلك

(١) الأصل : « من قبولها » . والفعل متعد بنفسه .

وخرج مصعب فلحق بمكانه ، فلم يزل به حتى أفضت الخلافة إلى هشام ، رحمه الله ، فأرسل فيه ، وعزم عليه في القضاء .
وستذكر ذلك ميئناً إن شاء الله .

[زياد بن عبد الرحمن]

قال محمد :

وذكر أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه :
أن الأمير هشاماً أراد زياد بن عبد الرحمن للقضاء ، فخرج هارباً بنفسه ، فقال هشام بن عبد الرحمن عند ذلك : ليت الناس كزياد حتى أكفي حب أهل الرغبة ، وأمنه ، فرجع إلى مسكنه .
قال محمد :

قال لي عثمان بن محمد : سمعت محمد بن غالب ، يقول :
لما بعث الوزراء في زياد بن عبد الرحمن ، وعرضوا عليه القضاء عن الأمير هشام ، رحمه الله ، قال لهم : أما إذ^(١) أكرهتموني على القضاء فزوجتي طالق ثلاثاً لئن أتى لي^(٢) مدع في شيء مما في أيديكم لأخرجنه عنكم ثم لأجعلنكم فيه مدعين .
فلما سمعوا ذلك منه عملوا في معافاته .

[محمد بن عيسى]

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :
لما مات القاضي محمد بن بشير ، ذكر الأمير الحكم القضاء ، ومن

(١) مقروء ريبيرا : « ان » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « بى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

يصلح أن يوليه ، فقال : ما أرى غير فقيه البلد : محمد بن عيسى الأعشى ، وما يغمنى منه غير إفراط الدعابة التي فيه ، وعزم على ذلك من أمره ، فقال له بعض الوزراء : لو امتحنت أمره قبل المشافهة كان ذلك رأياً حسناً ، فأرسل إليه بعض وزرائه ، فنزل عليه وذاكره الأمر ، وأعلمه بما عابه به الأمير من إفراط دعابته ، فقال : أما القضاء فإني والله لا أقبله ألبتة ، ولو فعل بي وفعل ، فلا يحتاج الأمير ، أبقاه الله ، أن يكشف إلى وجهه في ذلك ، وأما الدعابة فعلى بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، لم يدعها للخلافه ، أأدعها للقضاء ؟

فلما بلغ الأمير قوله عافاه ونظر في غيره .

[سعيد بن محمد بن بشير]

قال محمد :

كان للأمير الحكم ، رضى الله عنه ، قاض بكورة جيان ، فتظلم أهل الكورة منه ، فعهد الأمير الحكم إلى سعيد بن محمد بن بشير ، قاض الجماعة بقرطبة ، أن ينظر على قاضى جيان ، فإن ظهر بريئاً أقره على قضائه ، وإن ظهر عليه ما رفع إلى الأمير فيه عزله عن الكورة ، فنظر قاضى الجماعة فألقاه بريئاً ، فقال له : انصرف إلى قضائك ، فقال : امرأتى طالق ، وعلى من الإيمان كذا وكذا ، أبر وأوفى من إيمان أبى^(١) التي حلف بها ، لانظرت بين اثنين حتى ألقى الله .

وكان محمد بن بشير قد عزله الأمير ، خلف ألا يلى القضاء أبداً بطلاق زوجته ، وعتق رقيقه ، فلما عزم عليه الأمير بعد ذلك في صرفه ،

(١) الأصول : « أبيك » .

حدث^(١) في أيامه ، وطلق الزوجة ، وأعتق الرقيق ، وأخلف له الأمير ، كل ذلك إذ أعليه به .

[يحيى بن يحيى]

قال محمد : وحدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن يحيى ، قال :

لما ولي الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، رضى الله ، عنهما ، ألح عليه في القضاء ، وكان صاحب الرسالة في ذلك طرفة ، فقلت له : المكان الذى أنا به لما تريدون خير لكم ، إنه إذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت عليه ، وإن كنت القاضى ، فتظلم الناس منى من تجلسون للنظر على : من هو أعلم منى أو من هو دونى في العلم ؟ فقبل ذلك منى وعافانى^(٢) .

قال محمد : قال خالد بن سعد^(٣) :

كان أحمد بن خالد يحدث أنه لما مات يحيى بن يعمر بقى الناس ، بلا قاض ، حتى خطر بهم يوماً زرياب راكباً إلى البلاد ، فسألوه أن يخبر الأمير عنهم بما هم عليه من سوء الحال إذ ليس لهم قاض .

فلما دخل زرياب على الأمير ذكر ذلك له ، فقال له الأمير : يا زرياب ، والله ما منعنى من تولية قاض إلا أنى لست أجد أحداً أرضاه غير رجل ؛

(١) الأصول : « أحنث » والوجه ما أثبتنا .

(٢) مقروء ريبيرا : « وعافى بى » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا هنا : « سعيد » وعليه المطبوعتان المصريتان ،

وهو تحريف ، صحته فيما سياتى أكثر من مرة : « سعد » .

قال زرياب : فقلت : أصلح الله الأمير ، ومن هو ؟ قال : يحيى بن يحيى ، غير أنه بأبى على ذلك^(١) ، فقال له زرياب : فإذا ترضاه للقضاء فاسأله أن يبدلك على قاض ، فقال له الأمير : قلت قولاً سيديداً ، فأرسل فى يحيى ، وسأله أن يشير بقاض يرضاه ، إذ لم يقبل هو القضاء فى نفسه ، فأشار بإبراهيم بن العباس ، فولاه الأمير .

قال محمد : قال خاله بن سعد ، وأخبرنى بعض أهل العلم : أن يحيى أبى أن يقبل القضاء ، وأبى أن يشير بأحد .
قال محمد : قال خالد بن سعد : حدثنى من أثق به ، عن يحيى بن زكريا ، عن محمد بن وضاح ، قال :

لما عزم الأمير على يحيى على تولي^(٢) القضاء فأبى ورج^(٣) عليه ، قال : فأشرف على برجل ، قال : لست أفعل ، لأنى إن فعلت شركته فى جوره إن جار .

فأحفظ ذلك الأمير عبد الرحمن ، فأمر صاحب رسائله أن يكون رقيباً على يحيى ، وغدا به إلى الجامع ، ودفع إليه الديوان ، وقال للخصوم : هذا قاضيكم .

فلبث فى ذلك ثلاثاً ، فلما ضاق الأمر على يحيى أشار بإبراهيم ابن العباس .

[عثمان بن أيوب]

قال محمد :

(١) الأصول : « من ذلك » . والفعل متعد بنفسه .

(٢) مقروء ربييرا : « تولية » .

(٣) لج فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

وكان عثمان بن أيوب بن أبي الصلت من أهل العلم بقرطبة ، وكان
من مبسطين له الدنيا ، فأبى أن يقبلها وأعرض عنها .

قال خالد بن سعد : سمعت ابنه اسماعيل يقول : عرضت على أبي
ولاية القضاء فأبى أن يقبلها ، واستعفى منها .

[لبراهيم بن محمد]

قال محمد : ومن عرض عليه القضاء من شيوخ قرطبة فأبى قبوله^(١)
لبراهيم بن محمد بن باز .

وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني بعض رواة^(٢) الأخبار : أن
الأمير ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أدخل على نفسه هاشم
ابن عبد العزيز يوماً له ، فقال له : يا هاشم ، كنت أرى رؤيا عجيبة في رجل
لا أدري من هو ؟ كنت أرى نفسي في المصاراة^(٣) حتى لقيت أربعة من
الرجال ركباناً على دواب لهم ، لم أر في الرجال أصبح منهم وجوها ،
ولا أبهى منظرأ ، فجعلت أتعجب ، وأنهم طلّعوا إلى الجرف^(٤) ، فتبعتهم ،
فأخذوا على وجهه اليمين حتى انتهوا إلى مسجد تقابله دار ، فقرعوا
باب تلك الدار ، فخرج إليهم رجل منها فصافوه ودعوا له ، وتاجوه
ساعة ثم زالوا عنه ، فقلت : من هؤلاء ؟ ف قيل لي : محمد النبي ، صلى الله

(١) الأصول : « من قبوله » . والفعل متعد بنفسه .

(٢) مقروء ريبيرا : « ولالة » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « المسارة » . وعليه المطبوعتان المصريتان . وما
أثبتنا من أخبار مجموعة ، وتاريخ افتتاح الأندلس ، ونفع الطيب (٣ : ٤٣)
والمصاراة : موضع بقرطبة .

(٤) الجرف ، بالضم : شق الوادي . وفي مقروء ريبيرا ، وعليه
الطبعتان المصريتان : « الحرف » ، تصحيف .

عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، أتوا لهذا الرجل عائدين في مرضه .

ثم قال لهاشم : قد عرفتك بالمسجد والدار حتى كأني وقفت بك إليهما ، فاذهب فاعرف من صاحب تلك الدار ؟ فقال له هاشم : قد عرفتها دون أن أتعرفها ، هي دار إبراهيم بن محمد بن باز ، فقال له الأمير : عزمت عليك لتذهبن متعرفا بحالي^(١) . ففعل هاشم ، ثم أتاه بتصحيح ما قال له من قبل ، وأعلمه أن الرجل مريض .

فكان ذلك سبباً لأن عرض عليه الأمير قضاء الجماعة ، وأرسل إليه بذلك هاشم بن عبد العزيز ، فأبى قبولها^(٢) ، فأعاد إليه الأمير هاشماً : إذ لم تقبل القضاء فكأن أحد الداخلين علينا الذين نشاورهم في أمورنا ، فقال إبراهيم لهاشم : يا أبا خالد ، إن ألح على الأمير في شيء من هذا هربت بنفسى عن هذا البلد .

فأعرض الأمير محمد ، رحمه الله ، عنه وعن خبره .

قال لى أحمد بن عبادة الرُّعيني :

كان المنذر بن محمد إذ كان ولداً ، هو الذى خاطبه فى القضاء ، فأبى قبوله^(٣) ، فكان المنذر يقول : لو قبل منى الأمير لأكرهته عليه .

[محمد بن عبد السلام]

قال محمد :

ومن جاهر^(٤) بالإصرار على الإباءة من^(٥) القضاء محمد

(١) مقروء ريبيرا : « بحالة » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « من قبولها » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « من قبوله » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٤) مقروء ريبيرا : « جاهد » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٥) مقروء ريبيرا : « عن » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

ابن عبد السلام الحشني . فإنه أمر الأمير محمد ، رحمه الله ، محمد بن عبد الرحمن أن يبعث في الحشني ويستقصيه^(١) على كورة جسيان ، فأرسل فيه الوزراء ، وقالوا (له)^(٢) : إن الأمير يستقصيك على كورة جيان ، فأبى ونفر من ذلك نفوراً شديداً ، فعوج ولوطف ، فلم يزد إلا نفوراً وإباءة ، فكتبوا إلى الأمير يخبره ، وأنه لج في ألا يقبل ، فوقع إليهم الأمير توقيعاً غليظاً ، معناه : إن عاندنا فقد عرض^(٣) بنفسه ودمه .

فلما سمع ذلك الحشني نزع قلنسوته من رأسه ، ومد عنقه ، وجعل يقول : أيدت ! أيدت ! كما أبت السموات والأرض إباءة لإشفاق ، لا إباءة عصيان ونفاق .

فكتبوا إلى الأمير بلفظه ، فكتب إليهم : أن سلوه^(٤) أمره ، وأخرجوه عن أنفسكم ، فقال له الوزراء : تنظر في أمرك ليلتك هذه ، وتستخير الله فيما دعيت إليه .

وخرج عن القوم .

[أبان بن عيسى]

قال محمد : قال خالد بن سعد : ذكر لي محمد بن فطيس :

أن الأمير محمداً أمر الوزراء أن يرسلوا في أبان بن عيسى ابن دينار ، وأن يولوه قضاء جيان ، فلما أرسلوا فيه ، وعرضوا ذلك

(١) مقروء ريبيرا : « ويستقصي » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٣) كذا . والمسموع : عرض نفسه لكذا . أما قولهم : عرض بفلان وله ، فمعناه : قال فيه قولاً يعييه .

(٤) الأصول : « سللوا » .

عليه ، استعفى وأبى ، فأمر الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يوكل عليه الحرس حتى يبلغ جيان ، ويجلس بها مجلس القضاء ، والحكم بين الناس ، فوكل عليه الوزراء ، والحرس ، وساروا به ، وأقعدوه ، فحكم بين الناس يوماً واحداً ، فلما أتى الليل هرب ، فأصبح الناس يقولون : هرب القاضي ! فرجع الخبر إلى الأمير ، رحمه الله ، فقال : هذا رجل صالح ، ولكن يطلب حتى يعرف موضعه ، فطلب ، فلما عرف مكانه رضى الأمير عنه .

فلما قدم قرطبة ولاه الأمير صلاة الجماعة بقرطبة .

قال محمد : قال بعض أهل العلم :

فكان ، إذ ولي الصلاة ، ظاهر الخشوع ، كثير البكاء ، وإذا سلم من صلاة الجمعة لم يلبث ساعة في المسجد ، اتباعاً للسنة .

قال محمد :

كان المنذر بن محمد ، رحمه الله ، شديد الإعظام لبقى بن مخلد ، دخل عليه يوم البروز في المصلى ، فننعه من تقبيل يده ، وأجلسه على جانب من فراشه على رموس الناس ، وكان له خاصا وصنيعة ، قبل ولاية الملك ، وكان قد قدم إليه بقى بن مخلد بالبشرى^(١) بالخلافة ، فلما صارت إليه الخلافة وفى له ، وتماذى على ما كان له من الإجلال والإكرام ، فلما عزل سليمان بن أسود عن القضاء أمر الأمير المنذر فى بقى بن مخلد ، فعرض عليه القضاء ، فأبى ذلك^(٢) ، فذهب إلى استكراهه على ذلك ، فقال له : ما هذا جزاء محبتى وانقطاعى ؟ فقال المنذر : أما إذ أبيت ، فما

(١) مقروء ريبيرا : « البشرى » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « من ذلك » وعليه المطبوعتان المصريتان .

ترى فيمن أشار به الوزراء ؟ فقال : ومن هو ؟ قال : زياد بن محمد بن زياد ، فقال له : نعم الحدث ، فقال له المنذر : فأشر على بقاض ترضاه للمسلمين ، فقال : أشير عليك برجل من آل زياد ، يعرف بعامر بن معاوية .

فقبل منه المنذر ، رحمه الله ، وأرسل في عامر ، وولاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

[عبد الرؤوف بن الفرغ]

ومن عرض عليه القضاء فأباه^(١) أبو غالب عبد الرؤوف بن الفرغ .

قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ :

نزل موسى بن حدير على أبي غالب بن كنانة ، فعرض عليه القضاء عن الأمير عبد الله بن محمد ، رحمه الله ، فأبى قبوله^(٢) .

قال لي بعض أهل العلم : قال محمد :

لما قسم أبو غالب عبد الرؤوف بن الفرغ من الحج سلك طريق التقشف والتبسك والتدين ، وكان الأمير عبد الله بن محمد به معجباً . وكان ربما اشتبه رؤيته من غير أن يدخله على نفسه ، فتعرض^(٣) رؤيته يوم الجمعة من الساباط عند رواحه من الجمعة ، فذكره الأمير يوماً وقال : لا بد من أن نضمه إلى الوزارة أو إلى القضاء ، وكان عبد الله بن محمد

(١) الأصول : « فأبى منه » .

(٢) الأصول : « من قبوله » .

(٣) كذا .

ابن أبي عبدة أقرب الوزراء من أبي غالب ، محبة ومكانة ، فقال للأمير :
ينبغي ألا يهجم على الرجل حتى يتعرف ما عنده في ذلك .

قال سكن الكاتب : فأرسلني عبد الله بن محمد إلى أبي غالب ، فعرضت
عليه مراد الأمير .

قال سكن : فتلقاني في ذلك بالتضاحك والدعابة حتى أطمعني في
نفسه ، وجعل يقول : أتم أشح على دنياكم ، وأضن بها من أن تعطوا
منها لأحد شيئا ، أو تشركوا في شيء منها صديقا .

قال سكن : فلما صرت^(١) (إلى)^(٢) عرض الاستقضاء عليه ، قال لي :
بالله لئن عاودتنى بهذا ، أو بلغتني عن الأمير فيه عزيمة ، لأخرجن من
من الأندلس .

(١) مقروء ريبييرا « سرت » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

باب أخبار قرطبة وقضاها قبل الخلفاء ذكر القاضي مهدي بن مسلم

قال محمد :

فمن قدماء قضاة قرطبة الذين قضوا بها للأمراء العمال الولاة القواد
قبل دخول الخلفاء ، رضى الله عنهم ، الأندلس :

مهدي بن مسلم ، وهو من أبناء المسالمة ، من أهل الدين والعلم
والورع ، استقصاه عليها عقبة بن الحجاج السلولى .

حدثني أحمد بن فرج بن مُستَئيل ، قال : حدثني أبو العباس أحمد بن
عيسى بن محمد المقرئ ، بمدينة تنيس^(١) ، قال :

ولى الأندلس عقبة بن الحجاج السلولى ، فكان صاحب جهاد
ورباط ، وذات نجدة وبأس ، ورغبة فى نكاية المشركين ، وكان إذا أسر
الأسير لم يقتله حتى يعرض عليه الإسلام حيناً ، ويرغبه فيه ، ويبصره
بفضله ، ويبين له عيوب دينه الذى هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على
يده بذلك الفعل ألفاً رجلاً ، وكان قد اتخذ بالأندلس مقراً مدينة
يقال لها : أربونة^(٢) ، وكان قد عرف مهدي بن مسلم بالعلم والدين

(١) الأصول : « تنيس » ، تحريف . وتنس ، بفتحين والتخفيف
وسين مهملة . مدينة فى آخر افريقية مما يلى المغرب . معجم البلدان
ايسلطان : (٨٨٧ : ١) .

(٢) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء . (معجم البلدان : ١ : ١٩٠)

والورع ، فكان قد استخلفه على قرطبة وأمره بالقضاء بين أهلها ، وكان قد عرفه مع ذلك بالبلاغة والبيان ، فلما أراد توليته ، قال له : اكتب عهدك عن نفسك ، فكتب مهدي :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد به عقبة بن الحجاج إلى مهدي بن مسلم ، حين ولاه القضاء ، عهد إليه بتقوى الله ، وإيثار طاعته ، واتباع مرضاته في سر أمره وعلا نيته ، مراقباً له ، مستشعراً لحشية الله ، معتصماً بحبله المتين ، وعروته الوثقى ، موفياً بعهده ، متوكلاً عليه ، واثقاً به ، متقبلاً منه ، فـ (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)^(١) .

وأمره أن يتخذ كتاب الله ، وسنة نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، إماماً يهتدى بنورهما ، وعلماً يعشى^(٢) إليهما ، وسراجاً يستضاء^(٣) بهما ، فإن فيهما هدى^(٤) من كل ضلالة ، وكشفاً لكل جهالة ، وتوصيلاً لكل مشكل . وإبانة لكل شبهة ، وبرهاناً ساطعاً ، ودليلاً شافياً ، ومناراً عالياً ، وشفاء لما في القلوب^(٥) ، وهدى ورحمة للمؤمنين .

وأمره أن يعلم أنه لم يختره لمصالح العباد والبلاد ، وتولى^(٦) القضاء ، الذي رفع الله قدره ، وأعلى ذكره ، وشرف أمره ، لإلا لفضل القضاء عند الله ، جل جلاله ، لما فيه من حياة الدين ، وإقامة حقوق المسلمين ، وإجراء الحدود مجاريها ، على من وجبت عليه ، وإعطاء الحقوق من

(١) النحل : ١٢٨ .

(٢) الأصول : « يعشو » .

(٣) الأصول : « يستضيء » .

(٤) الأصول : « هديا » .

(٥) الأصول : « الكذوب » .

(٦) الأصول : « وتولية » .

وجبت له . ولما رجا عنده فيما يمضيه ، ويتقدم فيه ، ويحكم به ، من
إيثار حق الله ، عز وجل ، وطلب الزلفى لديه ، والقربى إليه ، وأن
يحاسب نفسه في يومه وغده ، فيما تقلد من الأمانة الثقيل حملها ،
الباهظ عبؤها ، فإنه محاسب وموعد وموعد .

وأمره أن يواسى بين الخصوم بنظره واستفهامه ولطفه ولحظه
واستماعه ، وأن يفهم من كل أحد حجته وما يدلى به ، ويستأنى^(١)
بكل عي اللسان ، ناقص البيان ، فإن استقصاء الحجة ما يكون به لحق
الله تعالى عليه قاضياً ، وللواجب فيه راعياً^(٢) ، فقد يكون بعض الخصوم
ألحن بحجته ، وأبلغ في منطقته ، وأسرع في بلوغ المطلب ، وألطف
حيلة في المذهب ، وأذكى ذكاء ، وأحضر جواباً من بعض . وإن كان
غير الصواب مرماه ، وخلاف الحق منحاه^(٣) . فإن لم يتعاهد
القاضى مثل هذا ، ويجعله من القربات إلى الله ، عز وجل ، بالتحفظ
والتيقظ ، والاستراية ، والاحتراس من أهـل الخب واللد^(٤) ،
والعناد ، والتلبس بشهادات الزور ، وتحيف الحرق ، أهـلك القوى
الضعيف ، واقتطع حقه ، وغلب عليه .

وفي تقدم القاضى في النظر في ذلك ، والمراعاة له ، واحتساب ثواب
الله ، فيه إثبات الحق ، وإبطال^(٥) الباطل (إن الباطل كان
زهوقاً)^(٦) .

-
- (١) مقروء ريبيرا : « ويستأنى » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٢) مقروء ريبيرا : « راغباً » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٣) مقروء ريبيرا : « منهاه » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
(٤) الخب ، بالكسر : الخداع . واللد : التشدد فى الخصومة .
(٥) مكان هذه الكلمة أخرى استعديت قراءتها على القارئ .
ولعلها ما أثبتنا .
(٦) الاسراء : ٨١ .

وأمره أن يكون وزراؤه ، وأهل مشورته ، والمعينون له على أمر دنياه وآخرته ، أهل العلم والفقه والدين والأمانة ممن قبله ، وأن يكتب من كان في مثل هذه الحال المرضية ، ممن في غير ناحيته ، ويقابل آراء بعضهم ببعض ، ويجهد نفسه في إصابة الحق ، وإن الله ، جل ثناؤه ، يقول في كتابه التاطق على لسان نبيه الصادق محمد ، عليه السلام : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله)^(١) . وأن يكون حجابهم وأدوائهم ، ومن يستظهر بهم على ما هو بسبيله ، أهل الطهارة والعفاف ، والطلب لأنفسهم ، والبعد من الدنس ، فإن أفعالهم منسوبة إليه ، ومنوطة لديه ، فإذا أصلح ذلك لم يلحقه عيب ، ولم يعلق به ريب ، إن شاء الله .

وأمره أن يديم الجلوس والوقوف لمن استرعاه الله أمره ، وقلده شأنه ، وأسند الحكم له وعليه ، ويقل السامة منهم ، والتبرم بهم ، ويصرف إليهم قلبه وذنه وشغله وفكره وفهمه ولسانه ، بما يوسعهم به عدلا وإنصافاً وإصلاحاً واستصلاحاً ، فإن في ذلك قوة لمنتهى^(٢) ، وإحياء لتأميلهم ، وتحقيقاً لجميل ظنونهم ، وثقة منهم بورعه ونزاهته ، وطيب طعمته^(٣) ، فإن فيهم الضعيف عن التودد^(٤) ، والزر من الثقيل . وعليه في كل وقت التعهد ووهنا^(٥) لأهل اللدد^(٦) والفجور ، والتفحيم في

(١) آل عمران : ١٥١ .

(٢) المدة ، بالضم : القوة .

(٣) الطعمة ، بالضم : وجه الكسب ، ويقال : هو طيب الطعمة ، إذا

كان نقي الكسب .

(٤) كذا في الأصول . ولعلها : التردد ، أي السعي والاختلاف

إلى الأمر .

(٥) كذا .

(٦) الأصول : « التلدد » ، وهو التبلد ، ولا يستقيم بها الكلام ،

وما أثبتنا أحق .

ملتبسات الأمور ، وأن يكون قعوده لهم ، وتصرفه في النظر بينهم ،
بنشاط وقلة فتور ، ليكون ذلك أقوى له ، وأتقن لما يحكمه ويبرمه ،
من سياستهم وتدبيرهم ، إن شاء الله .

وأمره أن يسمع من الشهود شهاداتهم على حقها وصدقها ،
ويستقصيها ، حتى لا يبقى عليه شيء منها ، ومن المُرَكَّبِينَ تركيبتهم ، ويكثر
البحث والفحص عن أمورهم أجمعين ، ويسأل عنهم أهل الصلاح والدين
والأمانة والثقة والدعة^(١) ، ممن يعرفهم ويبتطن أحوالهم^(٢) ، ولا يجعل
بإمضاء حكم حتى يستقصى حجج الخصوم ويثبتهم ومزكيهم ،
ويضرب لهم الآجال ، ويوسع فيها عليهم حتى تتجلى له حقائق أمورهم ،
وتنكشف له أغطيها ، فإذا أتى عليها علماً وأيقنها إيقاناً ، لم يؤخر
الحكم بعد اتضاحه وظهوره وثبوته عنده ، وعند من يشاوره من فقهاءه .

وأمره أن يطالع بكتبه ، في الحوادث التي يحتاج فيها إلى
المُزَامَرَاتِ ، فيما أشكل عليه ، واستغلق له ، واحتاج إليه في النوازل ،
إبراهيم بن حرب القاضي ، ليرد عليه منه ما يعمل به ، ويمثله ،
ويقتصر عليه ، ويصير إليه ، لتكون موارد أموره ومصادرها ،
ومبتدأ فواتحها [مصحوبة]^(٣) بالتسديد ، مقررنة خواتمها بالتأييد ،
إن شاء الله .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إياك ، وإسنادى إليك ما أسنده ،
وتفويضى إليك ما فوضت ، فإن تعمل به مژراً لرضى الله وطاقته ،

(١) كذا في الأصول . ولعلها : الورع .
(٢) ببتن أحوالهم : يعرف باطنها وخفيها .
(٣) بمثل هذه الكلمة يستقيم الكلام .

قائماً بالحسبة^(١)، مؤدياً حق الأمانة، يكن حجة بين يديك، وظهيرا لك، وإن لم تعمل به يكن حجة عليك.

وأنا أسأل الله أن يعينك ويقويك ويرشدك ويوفقك ويسدّدك، إنه خير موفق ومعين، وصلى الله على محمد.

قال محمد: قال أحمد بن فرج، فقلت لأحمد بن عيسى:

لقد عظمت همّتك إذ حفظت مثل هذا وشبهه، من الأخبار القديمة، فقال: حفظت هذا زمن الصبا عن جدّي لي عمر نحو عمرى، وكان من أحفظ الناس لأخبار بني أمية عندهم، ولقد كان عندي من كتبه أخبار حسان غريبة، فذهبت بحريق كان في منزلي، ولقد بلغنى أن بعض من عندهم من بنى الأغلب، أو غيرهم، من الشيعة، ادعى هذا العهد، وكتب به نصا إلى بعض ولاة القضاء، وما هو إلا لمهدى ابن مسلم، هذا عندي قديما أحفظه زمن الصبا عن جدّي. فهل عندهم له ذكر؟

فقلت له: ما سمعت به عندنا، ولا باسم مهدي، هذا.

فقال لي: قد سألت غيرك من أهل بلدك، فلم يكن يعرفه، فيا عجبا^(٢) كيف درس خبره عندهم؟ لكننى أظنه لم يعقب، فاضمحل خبره بالفن التى دارت فى بلدكم.

(١) الحسبة: مراعاة شئون الناس.

(٢) مقروء ريبيرا: «فيا عجمي»، وعليه المطبوعتان المصريتان.

ذكر القاضى عنترة بن فلاح

حدثنى أحمد بن فرج بن مُنتَيل ، قال : حدثنى أبو محمد مسلمة بن زرعة بن روح بالعريش ، بالشام ، وكان شيخاً كبيراً قد نيف على المائة ، فيما ذكر لى ، وأدرك حرملة صاحب الشافعى ، وحدثنى عنه وعن أمثاله ، وذكر لى أنه من موالى بنى أمية ، وكان ذا علم بأخبارهم القديمة والحديثة ، وأخبار بلاد الأندلس ، محبا لهم ، متشيعا فيهم ، وكنت قد نظرت يوماً فى بعض جوامع بواديهم إلى خطب مكتوبة بخط غليظ فى رق ملصق فى الحائط بجزاء المنبر ، الذى يخطب عليه ، فكان إذا قعد للخطبة نظر إليها ، فلم يدخل عليه سقط ولا تلثم ، فتكلمت معه فى ذلك ، وعبت عليهم ، وقلت لهم : أتم أهل المشرق المنسوب إليهم البلاغة والخطب على البديهة ، وتفتقرون إلى مثل هذا ! ما رأيت مثل هذا فى شىء من نواحي المغرب ، وهم أضعف الناس فى البلاغة كما^(١) تقولون ، فقال لى : قد كان ألطف من هذا عندهم ، وفى بيضة بلدكم ، وموضع سلطانكم ، كان يخبرنى أبى عن جدى أنه كان عندهم بقرطبة قاض فى الزمان ، يسمى : عنترة بن فلاح ، وكان تقيا ورعا ، استسقى يوما بالناس فأحسن فى دعائه وقيامه بالخطبة ، فقام إليه رجل من عامة الناس ، فقال له : أيها القاضى الواعظ ، قد حسن ظاهرك فحسن الله باطنك ، فقال له : آمين لنا أجمعين ، فهل أضمرت شيئا

(١) الأصول : « بما » .

يا بن أخى ؟ فقال له : نعم ، بتفريغ أهرايك^(١) يكمل استسقاؤك^(٢) ،
فقال القاضى : اللهم إني أشهدك أن جميع ما حواه ملكي من المأكول
صدقة لوجهك .

ثم آلى ألا يريم^(٣) مقامه حتى يقصد داره ، ويفرق جميع
ما ادخر .

قال : فَنِيثُوا^(٤) من يومهم غيثاً عاماً .

قال لى : وكان هذا القاضى عنبرة يقول : متى لحظت الناس لم
أصل كلاما ، فكان إذا خطب سدل على وجهه من ثوبه .

فكان يذكر عنه : أن معناه غير ذلك ، وأن خطبته كانت
مكتوبة فى صحيفة مشبكة فى الثوب المسدول على وجهه .

فهذا من نحو ما رأيت عندنا ، وهذه الخطب لها آلات واستجماع .

(١) الأهراء ، جمع هرى ، بالضم ، وهو البيت الكبير يجمع فيه
الطعام .

(٢) الاستسقاء : طلب السقيا .

(٣) يريم : يبرح .

(٤) الأصول : « أغيثوا » . والمسموع : غاث الله البلاد غيثا
وغياثا : أنزل بها الغيث .

ذكر القاضي مهاجر بن نوفل القرشي

قال محمد : أخبرني أحمد بن فرج بن مُستَئيل ، قال : حدثني مسألة ابن زرعة ، قال : سمعت أبي يذكر مراراً عن جده ، وكان قد دخل الأندلس ، يقول :

لم أر مثل قضاة الأندلس في العبادة والورع .

قال : رأيت بها قاضياً يدعى : مهاجر بن نوفل القرشي ، كان يجتمع عنده الناس للتحاكم فلا يزال يذكرهم ، ويخوفهم الله ، وما يلحق المبطل من سخط الله وعقوبته ، وموقفه بين يديه في القيامة ، ثم يذكر ما يلزم القاضي من الحساب بما يجب عليه من التحري والاجتهاد ، ثم يأخذ في النوح على نفسه والبكاء ، معلناً بذلك ، حتى كنت أرى الناس ينصرفون عنه باكين خائفين ، قد تعاطوا الحقوق بينهم .

ولقد بلغني في موته أعظم العجب ، وأنه لما مات ، رحمه الله ، وكان لا أهل له ولا ولد ، دفن بمقبرة لهم بقبلي مدينتهم وبعدوة نهر عظيم لهم ليلاً ، وأظنه عهد بذلك ، فلما هيل التراب عليه ، سمعوا من القبر كلاماً ، فاستمعوه ينادى ويقول : أنذرتكم ضيق القبر ، وسوء عاقبة القضاء .

قال : فكشفوا عنه التراب ، وظنوه حياً ، فوجدوه مكشوف الوجه ميتاً بحاله التي قبر بها .

ذكر القاضى يحيى بن يزيد التجيبى

قال محمد : سمعت من أهل العلم سماعاً فاشياً :
أن عبد الرحمن بن معاوية الإمام دخل قرطبة ، وقام بالإمامة ،
والقاضى حينئذ يحيى بن يزيد التجيبى . فأثبتته على القضاء ولم يعزله .
وكان من قبل ذلك يقال له ، وللقضاة قبله : فلان قاضى الجند ،
فلما امتنع الفهرى بغرناطة ، واضطره الأمير عبد الرحمن ، رحمه
الله ، إلى النزول ، واشترط حضور القاضى يحيى ، فحضر ، وكتب
فى كتاب المقاضاة ، وذلك بمحضر يحيى بن يزيد قاضى الجماعة .
قال محمد :

هكذا بلغنى ، وقد رأيت سجلاً عقده محمد بن بشير ،
يقول فيه :

حكم محمد بن بشير ، قاضى الجند بقرطبة . وإن تسمية القاضى
بقاضى الجماعة ، اسم محدث لم يكن فى القديم .
قال محمد :

ولم يختلف على أحد كاتبتنه فى أن يحيى بن يزيد التجيبى
إنما استقضى على الأندلس بالمشرق ، فقدمها قاضياً ، واختلفت
الرواية فيمن ولاه الأندلس ، فرأيت فى بعض الروايات عن ابن
وضاح ، قال : استقضى يحيى بن يزيد على الأندلس عمر بن
عبد العزيز .

قال : وكان يحيى رجلاً صالحاً .
وحكى عنه أنه اعتزل الحرب عند دخول عبد الرحمن بن معاوية ،
ولم يغمس يده في الدماء ، فلما قامت البيعة لعبد الرحمن أجاب
إليها طائعاً .

قال محمد : وقال لى بعض رواة الأخبار :
لما قدم بلج بن بشر الأندلس ، وأحدث في عبد الملك بن قطن
الفهرى ما أحدث ، وانتصر أبناء عبد الملك بعبد الرحمن بن عقبة
الذئعى ، وتصرفت الحال بقتل بلج بن بشر ، اتصل الخبر بجنظلة
ابن صفوان الكلبي ، صاحب إفريقية ، فوجه إلى الأندلس أبا الخطار
حسام بن ضرار الكلبي عاملاً عليها ، ووجه معه يحيى بن يزيد
التجيبى قاضياً ، وكان من عرب الشام الساكنين بإفريقية .

قال محمد : وأخبرني غير واحد من أهل العلم :
أن الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، لما دخل القصر تلقاه بنات
يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، وبقية عياله ، فقال له بعضهن :
أحسن يا بن عم فقد ملكك ، فأرسل في يحيى بن يزيد القاضى ، ودفع
إليه بقية عيال الفهرى ، وأمره بالحفظ لهن .

فلما خرج عبد الرحمن ، رحمه الله ، في طلب يوسف بن عبد الرحمن ،
إلى جهة ماردة ، خالفه يوسف الفهرى إلى قرطبة وظفر له بجاريتين
كان قد علقهما ، فأتاه القاضى يحيى بن يزيد ، فقال له : يا لئيم ،
عبد الرحمن ظفر ببنتك وكرائمك فتلوم^(١) عليهن حتى تقلن إلى
دارك ولم يعرض لهن ، وأنت ظفرت بجاريتين له ، لم يستحقا منه

(١) تلوم عليهن : تلبث .

حرمة فأخذتهما ! فتذمم^(١) انهمرى ، وقال : والله ما رأيت لواحدة
منهما وجهاً ، فاقبضهما ، وبدأ^(٢) بهما إليه .

قال محمد : ورأيت في بعض الحكايات ، أن محمد بن وضاح ، ذكر :
أن ولد يحيى بن يزيد التجيبى ، كان ممن سعى في الثورة مع يحيى بن
يزيد بن هشام ، وعبد الملك بن أبان بن معاوية بن هشام ، على الأمير
عبد الرحمن ، وأنه قتل معهما ومع أصحابهما بمنية الرصافة .

(١) تذمم : استنكف واستحيا .

(٢) الأصول : « وبرى » .

ذكر القاضي معاوية بن صالح الحضرمي

قال محمد :

أبو عمرو معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان ، المعروف
بحدير^(١) بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي ، كان من أهل الشام من
حمص ، يعرف بغناة^(٢) عبس ، دخل الأندلس قبل دخول الإمام
عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله ، فزل لإشيلية ، وكان عن جلة أهل
العلم ، ورواة الحديث ، شارك مالك بن أنس في بعض رجاله : يحيى
ابن سعيد ، وغيره ، وروى عن معاوية بن صالح جملة ، وعن أئمة أهل
العلم ، منهم : سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والليث .

وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وذكر أنه أتاه
مالك بن أنس يوماً إلى داره فانصرف عنه دون أن يصل إليه .

قال محمد :

وذكر محمد بن وضاح ، قال : قال لي يحيى بن معين :

جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت : لا ، قال : وما منعكم

(١) الأصول : « بحري » براءين ، تحريف . وحدير ، بضم
المهمل الأولى ، كما في الخلاصة . (وانظر : تهذيب التهذيب :
١٠ : ٢٠٩) .

(٢) كذا . ولم يذكر هذه في مرجع من المراجع الكثيرة التي ترجمت
له ، وهي : المغرب في حلى المغرب : ١ : ١٢ ، وتهذيب التهذيب : ١٠ :
٢٠٩ ، وميزان الاعتدال : ٣ : ١٧٩ ، وجذوة المقتبس : ت ٧٩٦ ، وتذكرة
الحفاظ : ١ : ١٦٦) .

من ذلك ؟ قلت : قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم ، قال : أضعتم والله علماً عظيماً .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

لما وجه الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، معاوية بن صالح إلى الشام ، حج في سفرته تلك ، وكتب عنه أهل العراق كثيراً من حديثه .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

ورأيت حديث معاوية بن صالح بالعراق أعز شيء .

ولقد قال لي محمد بن أحمد بن أبي خيثمة :

لوددت أن أدخل الأندلس حتى أقتش عن أصول كتب معاوية ابن صالح .

قال ابن أيمن :

فلما انصرفت إلى الأندلس طلبت أمهاته ، وكتبه ، فوجدتها قد ضاعت بسقوط همم أهلها .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

ولقد تتبعته في تاريخ أحمد بن أبي خيثمة عند ذكر أهل الشام ، ونقله لأخبار أهل حمص ، فلم أجده فيها إلا حديثين أو ثلاثة .

قال أحمد بن زياد : وحدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني يحيى بن يحيى ، قال :

أول من دخل الأندلس بالحديث معاوية بن صالح الحمصي .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم ، قال :

كان معاوية بن صالح راوية لحديث أهل الشام ، فطال عمره ، وكان منفرداً به في زمانهم ، ومن الدليل على رياسته وانفراد به ، أن زيد بن الحباب العمسكي^(١) ، وهو من رجال أبي بكر بن أبي شيبه ، مشهور في أهل الحديث ، رحل إلى الأندلس من العراق ، وأخذ عنه كثيراً من الحديث .

قال أحمد بن خالد : حدثنا أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ، قال : سمعت أباسعيد الأشج يقول :

أبو الحسين زيد بن الحباب ، مولى لعُكل .

وسمعت عبدة بن عبد الله يقول :

سمعت زيد بن الحباب ، يقول : دخلت الأندلس ، وكتبت عن معاوية بن صالح .

قال محمد :

قدم معاوية بن صالح الأندلس قبل دخول الإمام عبد الرحمن بن معاوية ، رضى الله عنه ، أرض الأندلس ، فنزل بإشبيلية ، فكان بها حتى قلم الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فلما تمت له البيعة ، واتسقت له الأمور ، أرسل معاوية بن صالح إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبغ ، فأبت الانتقال^(٢) وقالت ، كبرت سني ، وأشرفت على اقضاء أجلي ، ولا طاقة بي على شق البحار والقفار ، وحسبي أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله .

(١) تهذيب التهذيب (٣ : ٤٠٢ - ٤٠٤) .

(٢) الأصول : « عن الانتقال » .

قال محمد : قال لي محمد بن هبـد الملك بن أيمـن .

وفي سفرته تلك كتب عنه وجوه أهل العلم .

قال لي : ثم لما صار معاوية إلى الأمير عبد الرحمن أدخل إليه تحف أهل الشام ، وكان في تلك التحف من الرمان المعروف اليوم بالأنـدلس بالرمان السـفري ، فجعل جلساء الأمير من أهل الشام يذكرون الشام ، ويتأسفون عليها ، وكان فيهم رجل يسمى : سفر ، فأخذ من ذلك الرمان شيئاً لطف به ، وغرسه حتى علق ونما وأثمر ، فهو اليوم الرمان السـفري ، نسب إليه .

قال محمد : وذكر أحمد بن خالد ، قال :

لما وجه الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، معاوية بن صالح إلى الشام حج في سفرته تلك ، فلما دخل المسجد الحرام في أيام الموسم ، (و) ^(١) نظر فيه إلى خلق أهل الحديث : عبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى ابن سعيد القطان ، وغيرهما من نظرائهما ، قصد إلى سارية فصلى ركعتين ، ثم صار إلى معارضة ^(٢) من كان معه ، وذكروا أشياء من الحديث ، فقال معاوية بن صالح : حدثني أبو الزاهرية حدير بن كريب ^(٣) ، عن جبير بن نفير ^(٤) ، عن أبي الدرداء ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وسمع بعض أهل تلك الخلق قوله ، فقالوا : اتق الله أيها الشيخ ولا تسكذب ، فليس على ظهر الأرض أحد يحدث عن

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) مقروء ريبيرا : « معاوضة » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) تهذيب التهذيب (٢ : ٢١٨) .

(٤) تهذيب التهذيب (٢ : ٦٤) .

أبى الزاهرية عن جبير بن نفير ، عن أبى الدرداء . غير رجل لزم
الأندلس ، يقال له : معاوية بن صالح ، فقال لهم : أنا معاوية بن صالح .
فانقضت الحلق كلها ، واجتمعوا إليه ، وكتبوا عنه فى ذلك الموسم
علماً كثيراً .

قال محمد :

ولما قدم معاوية بن صالح من الشام على الأمير عبد الرحمن ولاء
القضاء والصلاة .

وغزا الأمير سرقسطه ، وغزاه معه معاوية بن صالح ، فكان يجيئ
الليل بالصلاة ، حتى إذا أصبح لبس قباءه^(١) وسلاحه ، ومضى إلى الصف
حيث القتال ، فوقف فيه .

أخبرنى محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال : أخبرنى على ، عن ابن
أبى شيبة ، قال :

غزا معاوية بن صالح ، وهو قاضى الجماعة ، مع الأمير عبد الرحمن
غزاة سرقسطة ، إذ كان يحارب بها ابن الأعرابي ، فكان إذا هتف
على الجند إلى الخروج خرج معاوية فى كتبية من جند مصر ، فلا يزال
واقفاً فى مركزه ، متوكئاً على قوسه ، حتى تنجلي الحرب .

قال أحمد بن زياد : حدثنى محمد بن وضاح ، قال : حدثنى حرب ،
رجل من أهل شبلاذ^(٢) ، قال :

(١) القباء ، بفتحين : ثوب يلبس فوق الثياب ، أو القميص
يتمنطق به .

(٢) الأصول : « شبلاذ » آخرها راء ، تحريف ، وما أثبتنا من
معجم البلدان (٣ : ٢٥٥) . وشبلار ، آخرها دال مهملة : قرية بالأندلس .

كنت بقرطبة في مسجدھا الجامع في المقصورة يوم جمعة ، وكان في الجماعة رجل يتنفل ، ويعلن بالقرآن ، إلى أن دخل معاوية بن صالح المقصورة ، وهو يومئذ القاضي وصاحب الصلاة ، فسمع إعلان الرجل بالقراءة ، ففضى إليه فأخذ قلنسوته من رأسه ، ثم رمى بها إلى ناحية من نواحي المقصورة ، والناس مجتمعون ، ثم قال له عند أذنه : إلى حيث انتهت قلنسوتك ثم ينتهى أذاك ، ثم انتهى معاوية إلى موضعه .

فلما سلم الرجل سئل عما قال له ، فأخبر به .

قال لى محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان قد زال معاوية خمول^(١) في أيام الأمير عبد الرحمن ، رحمه الله ، فبينما الأمير جالس في السطح يوماً إذ نظر إلى معاوية بن صالح خاطراً في القنطرة ، فذكره وذكر خموله وما صار إليه ، فأرسل فيه ووصله وأعادته إلى حسن نظره .

قال محمد : سمعت من يقول :

إن سعيد الخير ، ابن الأمير ، شفع له إلى أبيه عبد الرحمن حتى رضى عنه وأعادته إلى حسن رأيه .

قال محمد :

وكان معاوية بن صالح قد عقد صهراً مع زياد بن عبد الرحمن ، وذلك أنه أنكحه ابنة له ، تسمى : حميدة ، ومنها ولد زياد ، فعرض لزياد مع ختنته معاوية عارض حُفظ يومئذ ، وتحدث به ، وذلك أن زياداً رغب أن ينظر إلى زوجته في بيت أبيها قبل بناءه بها ، على ما يفعله

(١) المطبوعتان المصريتان : « خمولا » .

بعض الناس ، فتحيل^(١) النساء عليه في ذلك ، وأتين به عند العشاء الآخرة ، فصار في الأسطوان ، فنفرت دابة معاوية منه واشتد قلقها من أجله ، حتى خرج معاوية إلى الصلاة ، فسمع حس الدابة ، فراه ذلك ، ثم دعا بالمصباح ، فوجد زيادا في مذود الدابة في بعض زوايا الأسطوان ، فزاد على أن قال : استوصوا بزياد^(٢) خيراً ، ثم خرج إلى الصلاة .

قال أحمد بن زياد : أخبرني عيسى بن بكر المعلم ، قال : أخبرني بعض من أثق به بذلك ، عن عامر بن معاوية ، وعن غيره ، قال :

خرج معاوية بن صالح حاجا بعد الحجة التي تقدمت له من أرض الأندلس ، وخرج معه حيثن زياد بن عبد الرحمن ، فلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس ، فدخل عليه ، وقد كان تقدم له منه سماع في غير سفرته تلك ، وأعلنه بقدم معاوية بن صالح ، فسأله أن يأتيه [به]^(٣) فأتاه [به]^(٣) ، فدخلا عليه ، فسأله معاوية ابن صالح عن نحو مائتي مسألة ، فأجاب مالك عن جميعها فكشف^(٤) زياد بن عبد الرحمن مالكا ، وقال له : يا أبا عبد الله ، كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألني أحد قط مثل معاوية بن صالح . ثم كشف^(٥) زياد معاوية عن مالك ، فقال له معاوية : ما سألت أحداً مثل مالك .

قال محمد : قال لي أحمد بن حزم ، قال لي محمد بن عمر بن لبابة .

-
- (١) تحيل : استعمل الحيلة .
 - (٢) الأصول : « بكم » .
 - (٣) تكملة يستقيم بها الكلام .
 - (٤) مقروء ريبيرا : « فكشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .
 - (٥) مقروء ريبيرا : « كشف » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

كان يوسف الفهري قد أعطى معاوية بن صالح جارية ، فأولدها معاوية ، فلما ولي عبد الرحمن بن معاوية قوم^(١) على معاوية بن صالح الجارية^(٢) ، فاستحقت عليه ، فسأل معاوية بن صالح عن مسألة نفسه ، وما يجب عليه من الحق فيها .

فقال : شهدت أبا الزاهرية ، وقد اختصم إليه في دعامة في حائط لجل استحقها رجل ، فقضى للمستحق بقيمة الدعامة ، وقال : إن في نزعها ضررا على الحائط . وأنا أرى أن نزع هذه عن ولدها أشد ضررا من ضرر نزع دعامة من حائط ، فقبل ذلك منه ، فقومت هكذا .

وأشار ابن لبابة ، فجمع باب كمه على كوعه ، ولم يكشف لها ذراع . قال محمد بن عمر بن لبابة . وكان اسم الجارية : خلة .

قال محمد : قال أحمد بن سعيد ، قال لى عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج :

وكانت خلة هذه المذكورة فيبيحة ، وكان لها خادم فائقة الحسن ، اسمها : سعاد ، فكان الناس يقولون : شتان ما بين خلة وسعاد . قال محمد :

وقد اختلف قول مالك بن أنس في أم الولد تستحق^(٣) ، قال مرة : يغرم لسيد قيمتها وقيمة ولدها ، حتى نزلت بمالك بن أنس ، في أم ولده ، فأقضى أن يغرم قيمة أم ولد لا غير .

(١) الأصول : « قيم » . وما أثبتنا هو الصواب .
(٢) مقروء ريبيرا : « في الجارية » وعليه المطبوعتان المصريتان .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن هشام ، عن أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن وضاح ، قال :

شهد الأمير هشام بن عبد الرحمن ، رحمه الله ، جنازة معاوية بن صالح في الربض ، ومشى في جنازته .

قال خالد : قال لي محمد بن هشام ، وأخبرني عيسى الزاهد ، قال : سمعت يحيى بن يحيى ، يقول :

مات معاوية بن صالح هاهنا ، ودفن بالربض .
قال محمد :

وكان لمعاوية بن صالح أخ يسمى : محمد بن صالح ، عقبه بالشام كثير ، لم يدخل أحد منهم الأندلس .

قال أحمد بن محمد [بن عبد الملك] ^(١) بن أيمن :

رأيت ^(٢) رسالة كتب بها البقية من ولده بالشام إلى البقية من ولد معاوية بالأندلس ، نسختها :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جماعة ولد معاوية صالح الحضرمي ، من جماعة ولد محمد بن صالح الحضرمي . تولاكم الله بحفظه ، وحاطكم بصنعه ، ومد لكم في نعمته ، وزادكم من إحسانه .

إن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، جعل بين الناس أنساباً يتعاطفون بها ، ويتواصلون عليها ، أوثق عراها ، وأتقن قواها ، وأتم

(١) تكملة يستقيم بها السند .

(٢) الأصول : « قال رأيت » . ويبدو أن قوله « قال » مقحمة ،
إلا أن يكون للسند بقية .

وهب الله لسكم العافية ، الشعب الأدنى ، والنسب الأولى ، يجمعكم وإيانا
الجد المعروف بحدير ، والقراية القريبة^(١) ، وإن جرى القضاء باغتراب
بعض عن بعض ، وشحوط^(٢) دار عن دار ماسة ، لا يوهن أسبابها تقادم
الانتزاح ، ولا يعنى على واجب حقوقها بعد الزاور ، وما عدمنا -
أكرمكم الله - من أنفسنا تطلعا إليكم ، ولا ترك من رزقه الله
الحج منا المسألة عنكم في حجاج المغرب ، طمعا في موافاة بعضكم ،
وتشوقا إلى استفادة علم خبركم ، فلم يأذن الله أن يوافي سائلنا دالا
عليكم ، ولا يخبراً عنكم ، حتى وقع بظنوننا ما يقع مثله بالظنون ،
على فروط اليل إلى الأيام ، ومرور الشهور والأعوام ، من
الانقراض والنفور ، حتى أهدى الله لنا علم ما كنا نتطلع إليه
منكم ، أبعد ما كنا طمعا فيه ، وأشد يأساً ، مع حامل كتابنا هذا
إليكم ، وهو : أبو الحارث بشر بن محمد بن موسى القرشي ، فإنه
صار إلى حمص منصرفة من بغداد ، نافذا^(٣) إليكم ، فسأل عنا ،
بفضل ما ألزم نفسه لسكم ، إذ كنتم ، على ما ذكر ، أخواله ، وكانت
أمه أم عمرو بنت محمد بن معاوية بن صالح ، وأحب من الانصراف
إليكم بخبرنا ، فأخبر بمكاننا ، وأرشد إلينا ، وأتانا منه رجل ،
ظاهر الفضل ، موسوم بالخير ، معه من خبركم ، وعلم أمركم ،
ما امتلأت به الصدور سروراً وحبوراً ، وجعلنا لانكاشفه^(٤) في
مسائلنا إياه ، وتقصيدنا على ما عنده ، إلا يكشف لنا عما يزيد

(١) الأصول : « بالقراية » .

(٢) الأصول : « شحط » . وما أثبتنا هو المسموع .

(٣) مقروء ريبيرا : « نافدا » ، بالبدال المهملة .

(٤) الأصول : « لا نكشفه » .

النعمة علينا فيكم من الله عظيما في تسنية أقداركم ، وتشريف
مذاهبكم ، فالحمد لله رب العالمين ، المانّ الكريم ، الذى منّ علينا
بما تنهى إلينا عنكم ، وتقرر عندنا من فضل حالكم ، ونسأل الله
لتمام ما حييتم به ، و [أن]^(١) . يزيدكم من كل خير ، ويزيدنا بمزيدكم ،
وأن يعوضكم وإيانا من الفرقة التى كتبها علينا ، فباعد بيننا ،
وشتت جمعنا ، وأن يجمع بيننا فى جناته ، ودار رضوانه ، ومحل
أوليائه ، إنه قريب مجيب .

وكتابتنا إليكم ، حجب الله عنكم كل مكروه ، ونحن من الله فى
نعمة ، وكل بلائه عندنا جميل ، وحالنا فى خاصة قومنا ، وكافة عترتنا
وجندنا ، الحال التى تحبون فى أن نكون بها وعليها ، البسطه فيهم ، والتقدم
عليهم . وقد شاهد بشر بن محمد من أمرنا ما لعله سيخبركم به . فحمد الله
وشكراً على إحسانه ، ورغبة إليه فى صالح المزيد ، والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته .

(١) . تكملة يستقيم بها الكلام .

ذكر القاضى عمر بن شراحيل

قال محمد :

أبو حفص عمر بن شراحيل المعافى ، أصله من أهل باجة ، ونزل
بقرطبة فى درب الفضل بن كامل .

ولاه الأمير عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — القضاء
بقرطبة ، بعد معاوية بن صالح ، ثم عزله وأعاد معاوية بن صالح ،
فكانا جميعاً يتداولان القضاء ، عاماً معاوية وعاماً عمر ، وأقاما بذلك
مدة من الدهر .

قال : ولقد حدثنى محمد بن وضاح ، عمن أدرك أيامهما ، قال :
كان إذا أغفل الأمير — رحمه الله — عزله عند انقضاء العام ، رفع
بذكره بأمره .

وكان كل واحد منهما إذ عاقه شغل فى يوم من الأيام لم يقبض
لذلك اليوم رزقاً .

وأخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : قال لى أبو مروان
عبيد الله بن يحيى :

كان الأمير عبد الرحمن بن معاوية — رحمه الله — يُدبّل بين معاوية بن
صالح ، وعمر بن شراحيل ، عاماً هذا وعاماً هذا ، فولى عمر بن شراحيل
عاماً من تلك الأعوام ، فلما انقضى العام أقره على القضاء ولم يحركه ،

فكتب معاوية إلى الأمير عبد الرحمن يحركه في ولايته ويعلمه أن عام صاحبه قد انقضى ، فلما قرأ الأمير عبد الرحمن كتابه أنكره واستفظعه ، وأمر بإدخال معاوية على نفسه ، فلما دخل إليه قال : هذا كتابك ؟ قال : نعم ، قال : ومثلك يطلب ولاية القضاء ، وقد علمت ما جاء في ذلك من الأثر فيمن طلبها وكل^(١) إلى نفسه فيها ! فقال : أصلح الله الأمير ، وليتني القضاء في أول مرة ، وأنا كاره ، فتوليته ، فلما تولى رأس الشهر رزقتني رزقاً واسعاً توسعت به ، ثم استمر الرزق كل شهر حتى عزلتني عند رأس العام ، فاستقبلت العام الثاني ، الذي كنت فيه معزولاً ، بفضول من رزق العام الأول ، فانقضت تلك الفضول بانقضاء العام ، ثم وليتني فعاد على الرزق ، فكانت هذه حالتي إلى هذا الوقت ، وقد انقضت فضولي الباقية من رزق العام الأول ، وانقضى العام ، فانتظرت الولاية التي يكون بها الرزق ، فأبصأت عني ، فكتب إلى الأمير مذكراً ، مع أنه إن طلبت الولاية فقد طلبها من ظله في الأرض خير مني : يوسف ، عليه السلام ، قال : (اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم)^(٢) . فقبل الأمير قوله منه ، وأمر بعزل عمر بن سراحيل ، وتولية معاوية .

قال محمد :

وقد تكررت الأمانة وقضاء الكفور في نسل عمر بن سراحيل ، وقد ولي منهم رجل يكنى بأبي سعيد ، واسمه محمد بن عمر ، قضاء جيان

(١) كذا .

(٢) يوسف : ٥٥ .

وإستجته^(١) ، وكان مقدما عند الخاصة ، رفيع الدرجة عند العامة ،
وعقبه كثير .

(١) استجته ، بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان
وجيم وهاء ، كذا قيدها ياقوت فى كتابه معجم البلدان (١ : ٢٤٢)
بالعبارة ، وضبط الجيم ضبط قلم بفتحة ، على حين ضبطت ضبط قلم
أيضا فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤) بالتشديد .

ذكر القاضى عبد الرحمن بن طريف اليحصبي

قال محمد : قال أحمد بن خالد :

كان من شأن الخلفاء - رحمهم الله - السؤال عن أخبار الناس ،
والكشف عن أهل العلم والخير منهم ، والتعرف لأماكنهم من قرطبة ،
أو غيرها من الكُتُور ، فكانوا إذا احتاجوا إلى رجل يصلح لخطبة
من خطبهم ، استجلبوه ، واحتاج الأمير عبد الرحمن بن معاوية ،
رحمه الله ، إلى تولية قاضى جماعة بقرطبة ، وكان قد بلغه عن رجل
بماردة^(١) ، صلاح وصلابة وورع ، فاستجلبه وولاه ، فسار فى
القضاء بأفضل سيرة .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

ومن ولى القضاء لعبد الرحمن بن معاوية - رضى الله عنهما -
عبد الرحمن بن طريف ، من ساكنى مدينة ماردة ، وكان رجلاً
صالحاً ، محمود السيرة .

ولقد قرئ^(٢) على القاضى أحمد بن محمد بن زياد صك^(٣) فيه ذكر
مال وقفه عبد الرحمن بن طريف لأم العباس ، وأم الأصبغ ، أختى

(١) ماردة ، بكسر الراء ودال مهملة : كورة واسعة من نواحي
الأندلس ومعجم البلدان (٤ : ٣٨٩) .

(٢) مقروء ريبيرا : « قرأ » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبيرا : « صكا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان .

الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وكان في ذلك الكتاب ، عند ذكر التوقيف: إذ كان المتوفى فلان مولاهما ، وجب^(١) لهما ميراثه ، وهما غائبان في الشام .

قال محمد : قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن إبراهيم بن الحباب يقول ، عن حدثه :

إن الأمير — رحمه الله — عبد الرحمن بن معاوية دخل عليه حبيب القرشي ، فشكا إليه القاضي عبد الرحمن بن طريف ، وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة أقيم^(٢) فيها عنده ، وادعى على حبيب فيها الغصب ، والعداء^(٣) ، فأرسل الأمير — رحمه الله — في القاضي ، وتكلم معه ، في ذلك ، وأمره بالتثبت ، ونهاه عن العجلة ، فخرج ابن طريف من فوره ، وأرسل في الفقهاء والعدول ، فنفذ القضية على حبيب ، وسجل وأشهد ، فدخل حبيب على الأمير فأغراه بالقاضي ، ووصفه بالبغض^(٤) له ، والاستخفاف به ، فغضب الأمير غضباً شديداً ، وأرسل إلى القاضي ابن طريف ، وأدخله على نفسه ، ثم قال له : من أقدمك أن تنفذ الحكم بعد أن أمرتك بالتثبت والأناة ؟ فقال له ابن طريف : أقدمني الذي أقعدك هذا المقعد ، ولولاه ما قعدته ، فقال له الأمير : قولك هذا أعجب من فعلك ، ومن أقعدني هذا المقعد ؟ فقال : رسول رب العالمين ، فأولا قرابتك منه ما قعدت

(١) مقروء ريبيرا : « وجب » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) الأصول : « قيم » . والذي أثبتناه أحق . وأقيم : أى فوض .

(٣) العداء ، بفتحيتين : الاعتداء .

(٤) الأصول : « بالبغضة » ، والبغضة ، بالكسر : مصدر بغض

الشيء ، ككرم ، إذا كان كريها . وما أثبتنا مصدر : بغض فلان الشيء ،

بفتحيتين ، إذا كرهه ومقته .

هذا المقعد ، وإنما بُعث بالحق ليقضى على القريب والبعيد . ثم قال له القاضى : أيها الأمير ، ما الذى يحملك على أن تتحامل لبعض رعيتك على بعض ، وأنت تجد من ذلك وجهاً : أن تُرضى من تغنى به من مالك ؛ فقال له الأمير : ففعل الذين استحقوا الضيعة أن يبيعوها فأشترىها لحبيب من مالى ، وأرضيهم فى ثمنها ، فقال له ابن طريف : إذن أرسل فى القوم وأخاطبهم فى ذلك ، فإن أجابوا إلى البيع وإلا فإن حكى قد نفذ^(١) .

فخرج القاضى ، فأرسل فى القوم ، وتكلم معهم فى الضيعة ، فأجابوا إلى البيع ، إن أجزل لهم الثمن .

فكان حبيب يقول ، بعد ذلك : جزى الله عنى ابن طريف خيراً ، كانت يدي ضيعة حرام فجعلها ابن طريف حلالاً .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم ، يقول :

إن حبيباً كانت له مع ابن بشير قصة تشبه هذه القصة ، فكان حبيب يلقاه من بعد فيقول : يابى أنت ، أردنا أن نأكل الحرام فأيدت إلا أن تجعله حلالاً .

(١) مقروء ريبيرا « نقد » بالنال المهمة . وعنبه المطبوعتان
المصريتان .

ذكر القاصي المصعب بن عمران الهمداني

قال محمد :

هو : المصعب بن عمران بن شفيّ بن كعب بن زيد بن عمرو بن
امرىء القيس بن زيد الهمداني ، من العرب الشاميين ، ومكتبه في
جند حمص ، دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن
معاوية — رضى الله عنهما — فنزل بسكورة جيان بقرية باذو^(١) ، ثم
رحل إلى موضع من عمل قرطبة بجوف المدور^(٢) الإذنى إليها ، وكان
سكنه بقرية تعرف بغليار^(٣) في الجبل من إقليم المدور .

وكان أبوه عمران من جند هشام بن عبد الملك بالشام ، وكان قد
تزوج امرأة من بنى حاطب بن أبي بلتعة ، وتزوج الأمير عبد الرحمن
أخت تلك المرأة . وولد له منها سليمان ، ابنه ، والسيدة ، ابنته ، وقد لحقت
مع أبيه ، ودفنت بمقبرة الربض .

قال محمد : ورأيت في بعض الأخبار .

أن هشام بن عبد الرحمن — رحمه الله — لما أدرك ، وخرج من
القصر إلى داره ، انتهى إليه زهد مصعب بن عمران ، وورعه ،

(١) كذا .

(٢) المدور ، ضبطت ضبط قلم في معجم البلدان (٤ : ٤٥٠) بفتح
فضم ، وضبطت ضبط قلم أيضا في صفة جزيرة الأندلس (ص : ١٤٣)
بضم ففتح فواو مشددة مفتوحة .

(٣) كذا

فاستجلبه إلى نفسه واستخلصه ، وجعله وزيره وسيره ، فلما احتاج الأمير إلى قاضى جماعة ، أشار هشام بالمصعب ، فقبل ذلك منه هنا (ص : ٦٩) .

وكان مسكنه بقرطبة ، إذ ولي قضاءها ، برجة عبد الرحمن بن معاوية ، رحمهم الله .

وكان كاتبه محمد بن بشير المعافى .

وكان مصعب فى قضائه من أهل العدل ، والسياسة المحمودة ، صلبا فى الحق ، منفذاله على الخاصة والعامة .

وكان ذلك أيام هشام — رحمه الله — ثم توفى هشام ، فأقره الحكم بن هشام — رضى الله عنه — على قضاء الجماعة وعلى الصلاة ، وكان يعرف صلابته وتنفيذه ، فكان يؤيده ولا يفت فى عضده ، ويجيز أفعاله ، وينفذ أحكامه ، وإن وقعت بغير المحبوب .

قال محمد :

ورأيت فى بعض الحكايات أن العباس بن عبد الله المروانى غصب ضيعة من رجل ، بجيان ، وتوفى الرجل وترك أطفالا ، فلما بلغوا وانتهى إليهم عدل مصعب بن عمران ، قدموا قرطبة وأنهبوا إليه مظالمهم ، وأثبتوها عنده ، فبعث القاضى فى العباس بن عبد الله وأعلمه بما ذكر القوم ، وعرفه بالشهود عليه ، وأباح له المدفع ، وضرب له أجلا بعد أجل ، فلما انصرفت الآجال ، وعجز عن المدفع ، أعلمه أنه ينفذ الحكم عليه . فدخل العباس على الأمير الحكم — رحمه الله — وسأله أن يوصى القاضى بالتخلي عن النظر ، وأن يكون الأمير الناظر بينه وبين خصمه ، فدعا الأمير بنفى له ، يسمى : بزنت ، وأرسله إلى مصعب بن عمران بأن يتخلي عن النظر ، فلما أدى الفتي

الوصية ، قال له مصعب : إن القوم قد أثبتوا حقهم ، ولزمهم في ذلك الأمير ، فدعا مصعباً إلى القضاء ، فأباه^(١) ، على ما وصفته في صدر الكتاب في باب : من عرض عليه القضاء فأبى قبوله^(٢) ، وانصرف إلى منزله .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

فلما ولي الخلافة هشام بن عبد الرحمن — رحمه الله — أرسل في مصعب بن عمران إلى ضيعته ، فذكر أنه أتاه الرسول وزوجته تنسج في منسج لها ، والمصعب بين يدي المنسج يعمل لها الوشائع^(٣) ، ففتحت^(٤) المرأة بإصبعها في المنسج ، ثم قالت له : ترد القضاء أيضاً على هذا الأمير كما رددته دلي أبيه ، ثم ترجع إلى وشائع المنسج ؟

فلما قدم المصعب على هشام ، قال له : قد علمت أنه إنما منعك من قبول القضاء من أبي الأخلاق التي كانت له ، وقد عرفت أخلاقه ، فتول^(٥) القضاء ، فأبى عليه ، فعزم عليه هشام — رحمه الله — عزماً شديداً حتى ولي القضاء .

وكان يخاطب بالناس ، ويصلي بهم ، إذا غاب الأمير هشام ، فاشتراط على الأمير هشام ، إذا قبل منه القضاء ، أن يأذن له في اطلاع^(٦) ضيعته كل يوم سبت ويوم أحد ، فرضى له بذلك .

(١) الأصول : « فأبى منها » . والوجه ما أثبتنا .

(٢) الأصول : « من قبوله » . والوجه ما أثبتنا .

(٣) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي المكوك ، وكل لفيفة من

القطن المندوف .

(٤) كذا .

(٥) الأصول : « فتولى » .

(٦) اطلع اطلاعا ونظر .

عناء طويل ، ونصب شديد ، لبعده مكانهم ، وقد ثبتت دعواهم ،
ولست أتخلى عن النظر حتى أحكم لهم . فرجع الفتى وأدى ما قال إلى
الأمير — رحمه الله — فجعل العباس يغريه ، ويقول له : قد أعلمت
الأمير باستخفافه ، وأنه يرى أن الحكم له للأمير . فصرف
الأمير الحكم — رحمه الله — الفتى إليه ، يقول له : لا بد أن
تكف عن النظر بينهم ، وأن أكون أنا الناظر في ذلك . فلما عاد
الفتى إلى مصعب بذلك من عند الأمير ، أمره بالعودة ، ثم أخذ كتاباً
فعمد حكمه للقوم بالضيعة ، ثم نفذ بالإشهاد فيه ، ثم قال للفتى :
اذهب فأعلمه أنى قد أنفذت ما لزمنى إنفاذه من الحق ، فإن أراد أن
ينقضه فذلك إليه يتقصد منه ما شاء . فذهب الفتى فحرف كلام القاضى ،
ونقل عنه إلى الأمير أنه قال : قد حكمت بحكم العدل فينقضه
الأمير إن قدر . فأتى الأمير الحكم — رحمه الله — وجعل
العباس يغريه ويوقد غضبه ، وثاب إلى الحكم من توفيق الله
وعصمته ، التى اكتشف^(١) بها خلفاءه ، ماصار به إلى ما هو أشبه
بخلافته ، وألقى بإمامته ، فقال للعباس : ما أشقاء من لطمه قلم القاضى !
ثم رجع إلى ما كان فيه ، ولم يعرض للقاضى ، ونفذ له حكمه .

وذكر بعض أهل العلم ، قال :

اعتل مصعب فى ضيعته . فكشف عنه الأمير الحكم — رحمه
الله — فذكرت له علة ، فخرج متنزهاً إلى جهة المدور^(٢) ، فقصده إلى
داره ونزل عليه فى منزله ، فقال له مصعب : إن الأمير — أعزه

(١) اكتشف : أحاط .

(٢) انظر الحاشية (رقم : ٢ ، ص : ٦٧) .

الله — قد خرج للترح ، فإن رأى^(١) أن يكون صدره^(٢) على فليفعل ، فاستعد له بطعام يصيبه ، فركب الحكم ، رحمه الله — فقضى من تروحه وطرا ، ثم انصرف إليه ، فأحضر طعامه . ثم نظر الحكم إلى خادم لمصعب تسمى : علة ، فاستسقاها ماء ، فقال لها مصعب : كفى يا علة ، ونادى بابنة له تسمى : ككوية ، فقال لها : اسقي مولاك ماء ، فقامت الصبية وسقته ، وتولت خدمته ، فقال له الحكم — رحمه الله — : هذا لقب أو اسم ؟ فقال له : بل اسم جدتي ، أم حاطب بن أبي بلتعة ، فسماها النساء به على عادتهن في الأسماء ، فقال له الأمير الحكم — رضى الله عنه — : إن وهبني الله ابنة سميتها باسمها ، فولدت له ابنة ، فسماها بذلك الاسم ، وهو أول من سمى بهذا الاسم من الخلفاء ، رضى الله عنهم .

وتوفى مصعب من تلك العلة ، وترك ولدين ، وعقبه باق ، ولم تزل الخلفاء — رضى الله عنهم — على محافظته لهم .

قال محمد : وأخبرني بعض رواة الأخبار :

أنه توافى على باب الأمير الحكم — رحمه الله — جملة من الناس شتى ، يذكرون كفايتهم في الخسمة ، ويسألون الأمير أن يشتروا له من مواليتهم ، فأمر أن يسألوا عن أسماء مواليتهم ، فكان فيهم عبد لولد مصعب ، فأمر الحكم — رحمه الله — بزجره ، وقال : من يختم ولد القاضي ، لو مات لهم هذا العبد لأخلفت لهم مكانه ، فكيف أن أنزعه منهم ؟

(١) مقررٌ ريبيرا : « وائى » .

(٢) الصدر : الصدور ، وهو الرجوع .

قال محمد :

ولم يكن مصعب بالمتسع في علم السنن ، ولا في رواية الأخبار .
قال أحمد بن زياد : حدثني محمد بن وضاح ، قال : حدثني يحيى
ابن يحيى :

أن زياد بن عبد الرحمن أول من دخل الأندلس بالفقه والحلال
والحرام ، وهو أول من أظهر سنة تحويل الأردية في الاستسقاء ،
وصاحب الصلاة والحكومات يومئذ ابن شفي ، فقال ، على الجهل
منه : هذا قدر نشرة (١) .

قال يحيى :

خُرِجَت من هاهنا إلى المشرق ، ولقيت مالك بن أنس ، والليث
ابن سعد ، ومن دونهما ، فوجدت سنة تحويل الرداء معروفة فاشية .
قال محمد : وذكر عبد الملك بن الحسن ، قال سمعت محمد بن بشير ،
يقول : سمعت مالك بن أنس ، يقول :
تكاد أحاديث ابن عمران تكون سيرا .

قال محمد :

فلا أدري أي ابن عمران أراد ؟ إن كان مصعب بن عمران ،
لأزابن بشير كان كاتبه ، فلعلة كان يحكي له أخباره ، أو أراد : محمد بن
عمران الطلحي قاضي المدينة ، والأقرب أن يكون المراد مصعب بن
عمران ، لمجالسة ابن بشير له ، وأنه كان كاتبه ، وأعرف الناس بأخباره .

(١) كذا .

ذكر القاضى محمد بن بشير المعافى

قال محمد :

كان محمد بن بشير بن شراحيل المعافى ، أصله من جند باجة ،
من عرب مصر .

قال أحمد بن خالد :

طلب محمد بن بشير القاضى العلم بقرطبة ، عند شيوخ أهلها ،
حتى أخذ منه بحظ وافر ، ثم كتب لأحد أولاد عبد الملك بن عمر
المروانى ، لمظالمه نالته ، على وجه الاعتصام به ، وتصرف معه
تصرفا لطيفا ، ثم انقبض عنه وخرج حاجا .

قال محمد :

وكتب محمد بن بشير فى حديثه للقاضى مصعب بن عمران ، ثم
خرج حاجا ، فلقى مالك بن أنس ، وجالسه وسمع معه ، وطلب العلم
أيضا بمصر ، ثم انصرف فلزم ضيعته فى باجة .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال :

لماتوفى المصعب بن عمران شاور الحكم — رضى الله عنه —
العباس بن عبد الملك المروانى فيمن يوليه قضاء قرطبة ، فقال له
العباس : إن مصعب بن عمران ، وإن كان حكم على فأغضبني
فتأفرت ونابدته ، فليس ذلك بالذى يبلغنى إلى الطعن عليه فى فضله
وحسن اختياره .

وقد كان اختياره وقع على محمد بن بشير ، فاستكتبه ، معرقى أنا بـ بن
بشير إذ تولى الكتابة لأخى إبراهيم ، فقبل الأمير — رحمه الله —
رأى العباس ، وأمر باستقدام محمد بن بشير .

قال محمد : رأيت فى بعض الكتب :

أن محمد بن بشير ، لما أتى فيه رسول الأمير ، أتى وهو لا يعلم
ما يراد به ، فلما صار بسهل^(١) المدور ، مال إلى صديق له كان بها من
العباد فنزل عليه ، وتحدث معه فى أمر نفسه ، وذكر أنه يتوقع أن
يضم إلى الكتابة التى تخلى عنها ، فقال له صديقه العابد : ما أراك
إلا بعث فيك للقضاء ، لأن القاضى توفى بقرطبة ، وهى الآن بلا قاض .
فقال له ابن بشير : إذ قلت هذه المقالة ، وتوهمت هذه الحالة ، فأنا
أستشيرك فى ذلك ، وأسألك أن تنصح لى ، وتشير بالصواب على ،
فقال له العابد : أسألك عن أشياء ثلاثة فاصدقنى فيها ثم أشير عليك
بعد ذلك ، فقال له محمد بن بشير : ما هى ؟ قال له : كيف جبك لأكل
الطيب ، ولباس الثلثين ، وركوب الفاره ؟ فقال له : والله ما أبالى
ما رددت به جوعتى ، وسرت به عورتى ، وحملت به^(٢) رجلى^(٣) ،
فقال له العابد : هذه واحدة ، ثم قال له : كيف للتمتع بالوجوه^(٤)
الحسان ، وما يشاكل ذلك من الشهوات ؟ فقال له محمد بن بشير : هذه
حالة والله ما استشرفت نفسى قط إليها ، ولا خطرت ببالى ، ولا اكترت
يفقدها . قال له العابد : هذه ثانية ، فكيف جبك لمدح الناس وثنائهم
عليك ، وكراحتك للعزل ، وجبك للولاية ؟ فقال له : والله ما أبالى فى

(١) الأصول : « بسهلة » .

(٢) كذا . يريد : ما تحاميت به واتقيت .

(٣) الرجل ، بالضم : أن تمشى راجلا ، ليس لك ما تركبه .

(٤) الأصول : « الوجوه » .

في الحق من مدحني أو من ذمني ، وما أسر بالولاية ، ولا استوحش
للزل ، فقال له العابد : فاقبل القضاء ، فلا بأس عليك .

فقدم قرطبة ، فولاه الحكم ، رحمه الله ، قضاء الجماعة والصلاة .
قال محمد :

فن مستفيض الأخبار التي لا يتواطأ على مثلها ، أن محمد بن
بشير من عيون قضاة الاندلس ، ومن وجوه أهل القضاء بها ، كان
شديد الشكيمة ، ماضى العزيمة ، مؤثراً للصدق ، صلباً في الحق ،
لا هوادة عنده لأهل الحرم ، ولا مراهنة في أحكام السلطان ،
ولا يعبأ بجميع^(١) أهل الخدمة ، ولا بمن^(٢) لا بالخليفة من
جميع الطبقات .

قال أحمد بن خالد :

كان أول ما أنفذه محمد بن بشير من أحكامه التسجيل على الأمير
الحكم — رحمه الله — في أرحاء القنطرة ، إذ قام عنده فيها بعض
من قام ، فسمع من البيئة فيها ، ثم أعذر إلى الأمير — رحمه الله —
ثم سجل فيها وأشهد ، ثم ابتاعها للأمير الحكم بعد ذلك ابتياعاً
صحيحاً .

فكان الأمير الحكم بعد ذلك يقول : رحم الله محمد بن بشير ،
فقد أحسن فيما فعل بنا ، كان في أيدينا شيء مشتبه فصحيحه لنا ،
وصار حلالاً طيباً ، فطاب لنا ملكه .

قال محمد بن وضاح :

(١) الأصول : « على جميع » .

(٢) الأصول : « ولا على من » .

حكم محمد بن بشير على ابن فطيس ، ولم يعرفه بالشهود ، فرفع ابن فطيس بذلك إلى الأمير الحكم ، رحمه الله .

فأمضى^(١) الأمير إلى ابن بشير : إن ابن فطيس ذكر أنك حكمت عليه بشهادة قوم ولم تعرفه بهم ، وإن أهل العلم يقولون : إن ذلك له .

فكاتب إليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه ، لأنه إن لم يجد سبيلا إلى تجريحهم طلب أذاهم في غير ذلك ، حتى يجليهم عن^(٢) أموالهم .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن فطيس ، قال : حدثنا يحيى بن يوسف بن يحيى المعافري : أنه سمع عبد الملك بن حبيب ، وذكر محمد بن بشير ، فقال :

كان من خيار المسلمين ، وذكر عدله .

قال عبد الملك : وكان يصلي بنا الجمعة وعليه قلنسوة خز .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن بشير يقضى في سقيفة معلقة بقبلي مسجد أبي عثمان ، وكانت داره في الدرب الذي بقبلي ذلك المسجد ، وكان إذا قعد للقضاء جلس وحده ، لا يجلس معه أحد ، وخربطه بين يديه ، ويتولى أكثر الكتاب بيده ، فيتقدم المنصوم على كسب^(٣) ، فيقف الحصان على أقدامهما ، فيدليان بحجتهما ، ثم يفصل بينهما ، وينصرفان .

(١) مقروء ريبيرا : « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « من » ، وهذا الفعل يتعدى بالحرف : « عن » .

(٣) مقروء ريبيرا : « كتبه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وكان يقعد لسماع الخصومة من غدوة إلى قبل الظهر بساعة ، ثم يقعد بعد صلاة الظهر إلى العصر ، لا يكون نظره غير السماع من الينبات ، ولا يسمع من بينة في غير ذلك الوقت ، وكان لا يخاليه أحد في مجلس نظره ، ولا في داره ، ولا يقرأ كتاباً لأحد في سبب من أسباب الخصومة .

قال محمد بن وضاح :

ولما ولي القضاء محمد بن بشير طبع طوابع^(١) عشرة ، فلم تزل في خريطته إلى أن مات ، كان إذا أتاه الرجل يسأل الطابع ، كاشفه عن^(٢) يحبه ، فإن كان قريباً بقرطبة أعطاه طابعا ، وأمر السكاتب برقم^(٣) اسمه ومسكنه ، وفيمن أخذ الطابع ، ويقول : إياك إن كنت ظالماً أن تقدم على أحد بطابعي ، ويعهد إليه بصرف الطابع بعينه ، وإن كان بعيداً أجل له بقدر ذلك .

فلم تزل تلك الطوابع تتردد على يديه حتى توفي .

وذكر بعض الرواة ، قال : شهد رجل من أكابر أهل زمانه مع رجل كان رفيقاً للقاضي ، في حجه ، وكان الناس يعدونه أثيراً عنده ، وأميناً لديه ، فقال للمشهود له : زدني بينة . وشاع ذلك في الناس ، وعلموا أن الشاهد الأول قبله ، وأن صديقه ورفيقه هو المردود الشهادة ، فقال له الخصم : يعرفني القاضي بمن قبل من شاهدهى

(١) مقروء ريبييرا « طابع » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبييرا : « كاشفه فيمن » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) مقروء ريبييرا : « بزم » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وبمن لم يقبل ، لأعده له ، فقال له : الذى لم أقبل لا ينفحك تعديله
عندى ، وهو فلان ، صاحبي ورفيقي .

قال : فلما تسكلم بذلك القاضى أتاه رفيقه ذلك فى مجلس النظر
على عيون الناس ، فقال له : أيها القاضى ، قد علمت أنى لا أقدر على
مخالاتك وسرالك عما أحب أن أسألك عنه ، إلا فى هذا المأى ، وقد
رأيت أن أوقف نفسى بين يديك هذا الموقف ، وأسألك عن السبب
الذى أوجب ردك لشهادتى ، فقد علمت أنه جمعنى بك المنشأ ،
والحضرار^(١) ، وطلب العلم ، وطريق الحج ، واطلعت من باطنى
على مثل ما اطلعت من باطنك ، فعرفنى السبب الذى أنكرت على
لأعرفه وأعترف بخطئى فيه أمام هذه الجماعة ، فقال له ابن بشير :
صدقت ، قد جمعنى بك ما ذكرت ، وعرفتنى كما وصفت ، وما أعثرت^(٢)
لك من خبره^(٣) فى دينك ، ولكن صدرنا عن الحج ونزلنا بمصر ،
وابتدأنا بالسماع من شيوخنا وعملنا على المقام بها ، فقلت لى : إن
الغربة قد أضرت بى ، وإنى أحبيت ابتياع جارية ، فحسنت ذلك لك ،
واستعرضت الرقيق ، فقلت لى : إنى وجدت جارية تساوى على
وجهها كذا وكذا ، ويدها صنعة ، ويسأل بها صاحبها من أجل
صنعتها كذا وكذا ، أكثر مما تساويه بغير صنعة ، فقلت لك : لا حاجة
بك لى صناعتها ، وأما أن تبتاعها للمتعة فدعها وابتع غيرها ، فإنها
تقوم لك مقامها ، فلامعنى للزيادة فيها ، فأظهرت منى القبول ،

(١) الحضار : الغدو والرواح ، يريد زمن الصبا .

(٢) أعثره على الأمر : أطلعه عليه .

(٣) الخربة : الزلة والعيب .

ومضيت فابتعتها وزدت فيها على قدرها ، فلما رأيت الشهوة قد غلبتك في ابتياع تلك الجارية ، ولم تلافك المال في المغالاة فيها ، خشيت أن تكون مثل تلك الشهوة قادتك إلى الشهادة لمال تأخذه ، أو ميل تميله ، فاحتطت لديني ، ولم أجدن في سعة من قبول شهادتك .

قال محمد :

وشهد عنده رجل من إخوانه من أهل الخاصة به والتسكّر عليه ، يكنى بأبي اليسع ، فرد شهادته ، فبلغ الرجل ما كان منه ، فتصدى له وهو رافع إلى الجامع ماشياً ، فقال له : على خاصك بك ، ومحبتى لك ، ترد شهادتى عندك ؟ فقال له محمد بن بشير : الورع يا أبا اليسع ! الورع يا أبا اليسع ! مرتين لم يزد على ذلك .

قال محمد بن أحمد الشيباني الزاهد : سمعت محمد بن وضاح ، يقول : أخبرني من كان يرى محمد بن بشير القاضي داخلا على باب المسجد الجامع يوم جمعة ، وعليه رداء معصفر ، وفي رجله حذاء يصر^(١) ، وعليه جمة مفرقة ، ثم يقوم فيخطب ويقضى ، وهو في هذا الزى ، وإذا رام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من الثريا .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس ، ويدور على ألسنتهم من أخبار محمد بن بشير : أنه أتاه رجل لا يعرفه ، فلما نظر إلى زى الحدائث من الجمة المفرقة ، والرداء المعصفر ، وظهور الكحل ، والسواك ، وأثر الحناء في يديه ، لم يتوسم فيه^(٢) القضاء ، فقال لبعض من يجلس إليه : دلوني

(١) يصر : يصوت .

(٢) الأصول : « عليه » والوجه ما أثبتنا .

على القاضي ، فقيل له : هاهو ذا ، وأشير له إلى القاضي ، فقال لهم :
إني رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بي ، وأنا أسألكم عن القاضي
وأتم تدلونسي على زامر ، فزجر من كل ناحية . وقال له ابن بشير :
تقدم فاذكر حاجتك . فلما أيقن الرجل أنه القاضي تذمم واعتذر ،
ثم ذكر حاجته ، فوجد من العدل والإنصاف فوق ظنه .

قال محمد :

وكان محمد بن عيسى كثير النادر ، كثير التطنيب ، فكان إذا رأى
الرجل من أصحاب محمد بن بشير قال له : متى رأيت عُشر الدلال ، ومتى
تمضى إلى عُشر الدلال ؟ فبلغ ذلك محمد بن بشير من قوله ، واستفماض
عنده ، فأحفظه ذلك ، فلما اجتمع معه عطف عليه محمد بن بشير ، فقال
له : أبا عبد الله ، إن الشر لا يعجز عنه أحد ، وكل من رضى به قدر
عليه ، وإن الخير لا يناله إلا أهل الصبر ، ومن يقوم على نفسه
بالرياضة المحموده ، فأقصر عما بلغني عنك ، فإنه أجمل بك .

قال محمد :

وهذا المعنى الذى أتى به محمد بن بشير قد قاله مالك بن أنس لبعض
الشعراء ، حدثني به بعض أهل العلم بمدينة تونس ، قال :

اختصم رجلان إلى عامل المدينة ، أحدهما شادر ، فرفعهما إلى
مالك بن أنس ليفصل بينهما ، فتكلما عند مالك بن أنس وتناظرا ،
فحكّم مالك على الشاعر لصاحبه ، فقال الشاعر ، وقد أحفظته^(١)
فنيا مالك عليه : أظن الأمير لم يكن يعرف هذا القضاء الذى قضيت به

(١) مقزوء ربييرا : « أحفظه » وعليه المطبوعتان المصريتان .

على ؟ إنما صرفنا إليك لتصلح بيننا فلم تفعل ، أما والله لأقطعن ظهرك هجاء ، ثم خرج عنه ، فأمر مالك بن أنس أن يُصرف إليه ، فصرُف ، فقال له : يا هذا ، تدري بأى شيء وصفت نفسك ؟ بالسفه والدناءة ، وهما اللذان لا يعجز عنهما أحد ، ولكن عليك بما تنقطع الرقاب دونه ، وهو الكرم والمروءة .

حدثني أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال :

كان فيما يجاورنا شيخان من أهل العدل في ذلك الزمان ، وكنا صديقين لمحمد بن بشير ، متكررين عليه ، يظن بهما خيراً ، ويحسب عندهما فضلاً ، كان أحدهما جد أحمد بن بشير ، المعروف بابن الأغبس ، فتوفي رجل من تجار قرطبة ، عظيم النعمة ، فقام مملوك له عند القاضي محمد بن بشير ، يذكر أن مولاه المتوفى أعتقه ، وأنه أنكحه ابنته ، وأوصى إليه بماله ، فدعاه بالبيثة على ما ادعاه ، فأثاه بالشيخين ، فشهدا عنده على مازعم المملوك ، فأنفذ شهادتهما ، وقضى للملوك بما قال ، ثم لم يلبث أحد الشاهدين إلا مدة يسيرة ، حتى حضرته الوفاة ، فأوصل^(١) إلى القاضي : إني أريد أن أراك ، وكان على القاضي حضور جنازة بمقبرة بلاط مغيث ، فلما صدر عنها دخل عليه ، فلما بصر به الشاهد ، رهو في مرضه وكر به يعالج الموت ، جثا على ركبتيه وجعل ينجر^(٢) إليه ، فقال له القاضي : ما شأنك ؟ ما عرض لك ؟ وظن به خبالاً من العلة التي به ، فقال له الرجل : أنا في النار إن لم تنقذني منها ،

(١) مقروء ريبيرا : « فأوصى » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « ينجر » وعليه المطبوعتان المصريتان .

وينجر اليه : ينجذب اليه .

قال له محمد بن بشير : يحريك الله من النار ، إن شاء الله ، فما خبرك ؟ فقال له الرجل : الشهادة التي شهدت بها عندك لفلان المملوك ، مملوك فلان ، لم يكن شيء منها ، فأتى الله وافسخ الحكم ، وانقض ما انعقد منه ، فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه في ركبتيه ثم قام ، وجعل يقول : مضى الحكم وأنت إلى النار ، مضى الحكم وأنت إلى النار ، وخرج عنه .

قال خالد بن سعد : أخبرني محمد بن عبد الأعلى ، عن حدثه : أن محمد بن بشير ولى القضاء بقرطبة مرتين ، وأنه لما عزل المرة الأولى انصرف إلى بلده .

قال خالد بن سعد : سمعت أحمد بن بسّاق القاضي ، يقول : كان بعض إخوان محمد بن بشير^(١) يعاتبه في صلابته ، ويقول له : أخشى عليك العزل ، فكان يقول : ليت ، من قد رأى الشقراء - يعنى بغلته - تقطع بي الطريق إلى باجة .

فما مضى إلا يسير حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابته ، فكانت سبباً لعزله كما يتمنى .

فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتى فيه ركاض^(٢) من قبل الأمير -

(١) الأصول هنا ، وفيما سيأتى بعد قليل : « محمد بن سعيد ابن بشير » .

والمراجع التي ترجمت له ، مثل : بغية الملتبس للضبى (ت : ٦٩) والمغرب لابن سعيد (ت ٧٦) وتاريخ قضاة الأندلس للنباهي (ص : ٤٧) والتكملة لابن الأبار (ص : ٩٠) والنفح للمقرئ (١ : ٥٥١) على نه : محمد بن بشير .

(٢) ركاض ، أى عاد مسرع ، صفة مبالغة من الركض .

رحمه الله — فرفعه إلى قرطبة ، فلما كان ببعض الطريق عدل إلى صديق له من أهل الزهد ، فاجتمع معه ، وقال له : قد أرسل في الأمير أنه يريد إعادتي إلى القضاء مرة ثانية ، فما ترى ؟ فقال له صديقه الزاهد : إن كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك ، وإن كنت تخاف ألا تعدل فترك الولاية أفضل لك ؛ قال محمد بن (١) بشير : أما الحق فلست أبالي على من أدركته ، إذا ظهر لي من قريب أو بعيد ، فقال له صديقه الزاهد : لست أرى لك أن تمنع الناس خيرك .

فلما قدم أعاده الأمير إلى القضاء ، فعدل في ذلك .

قال خالد بن سعد : وأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما منع محمد بن بشير من بعض الخاصة ، وقصرت يده عنه ، حلف بطلاق زوجته وبصدقة ما يملك على المساكين إن حكم بين اثنين ، فعزله الأمير بالحكم ، فبما أراد رده إليها ثانية اعتذر إليه بتلك الأيمان رجاء أن يعافيه ، فأخرج إليه الأمير جارية من جواريه ، ومالا عوضاً عن ماله ، فقبل القضاء ثانية .

أخبرني من أثق به ، عن أحمد بن زياد ، قال : [قال] (٢) محمد بن وضاح : أخبرني قاسم بن هلال ، قال :

دخلنا على محمد بن بشير نعدل (٣) عنده رجلا ، فقال : احلفوا

(١) الأصول هنا : « محمد بن سعيد بن بشير » أنظر الحاشية

(رقم : ١ من الصفحة السابقة) .

(٢) تكملة يستقيم بها المسند .

(٣) مقررء ريبيرا : « يعدل » وعليه المطبوعتان المصريتان .

بأنه الذى لا آله إلا هو أنه عدل رضى ، فقالوا : أيمن ؟ أصلحك الله !
فقال : والله لا كتبتها حتى تحلنوا .

قال قاسم بن هلال :

وكنت أحدث القوم سنًّا ، فنسلت .

فقال لابن وضاح : فما صنعوا ؟ قال : لا أدري .

قال محمد :

وكان محمد بن بشير إذا اختلف عليه العلماء ، وأشكل عليه الأمر ،
كتب إلى مصر ، إلى عبد الرحمن بن القاسم ، وإلى عبد الله بن وهب .
أخبرني عثمان بن محمد ، قال : أخبرني يزيد الله بن يحيى ، عن
أبيه ، قال :

حملني محمد بن بشير أن أسأل له ابن القاسم عن مسائل ، وحمل
أيضا ذلك محمد بن خالد ، فلما قدمت مصر سألت عنها ابن القاسم ،
فأجابني ، فكتبت عنه جوابه .

وقدم محمد بن خالد من المدينة ، فسأله عن تلك المسائل بأعيانها ،
فأجابه فيها ، وكتب عنه ، فاجتمعت مع محمد بن خالد فامتنحت ما أجابه
به ابن القاسم في مسائله ، فأصبتها مخالفة لما أجابني به ، فأتيت ابن القاسم
فأعلمته بذلك ، وقلت له : إن قدمنا البلد بأجوبة مخالفة أدركت كل
واحد منا التهمة في نقله عنك ، وأوقعت القاضى في شبهة وشك ،
فاحتاج أن يكاتبك ثانية ، فقال : صدقت ، فأرسل في محمد بن خالد ،
فقال له : أجبتك وقلبي مشغول ، ولكن رد الأجوبة إلى ما كتب
عنى يحيى ، ففعل ، وأتينا بأجوبة متفقة ، وكان محمد بن بشير جيد
الخطنة حسن الإدراك .

قال لى بعض أهل العلم :

كان ربما قبل الشاهد على التوسم والفراسة ، وكان ربما كشف
فى السر عن اليبنة .

قال لى عثمان بن محمد ، قال : [قال] ^(١) لى عبيد الله بن يحيى ،
قال : [قال] ^(١) يحيى لمحمد بن بشير القاضى : إن الحالات تتغير ،
فإذا عدل عندك الرجل فحكمت به ، ثم تطاول أمره وشهد عندك
ثانية ، فكلفه التعديل وأعد فيه الكشف ، فقبل ذلك ابن بشير ، فلما شعر
الناس بذلك أخذوا منه حذرهم .

قال محمد :

وكان يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيما لمحمد بن بشير ، وأحسنهم
عليه ثناء فى حياته وبعد وفاته .

سئل ^(٢) يحيى بن يحيى عن لباس العمام ، فقال : هى لباس الناس ،
وعليه كان أمرهم فى القديم ، فقليل له : لو لبستها لاتبعك الناس فى لباسها ؟
فقال : قد لبس ابن بشير الخنز فلم يتبعه الناس ، وكان ابن بشير أهلا
أن يقتدى به ، فلعلى لو لبست العمامة لتركنى الناس ولم يتبعونى كما
تركوا ابن بشير .

وكان يحيى بن يحيى كثيرا ما يحكى عن محمد بن بشير ، عن مالك
ابن أنس .

ذكر بعض أهل العلم ، عن يحيى بن يحيى ، قال : تظلم حمدون بن

(١) تكملة يستقيم بها السند .

(٢) المطبوعتان المصريتان : « سأل » .

فطيس من محمد بن بشير ، فى شىء حكم به عليه ، إلى الأمير الحكم ،
رضى الله عنه ، فقال لى : يا أبا محمد ، إني سألت الأمير أن يجلس لى
الفقهاء ، وقد سألته أن يجلسك مع من يجلس ، فقال له : إني لأعظم
أن أجلس المجلس الذى يتظلم فيه من مثل محمد بن بشير ، فإن كنتم لابد
فاعلين فعليكم بشيخنا يحيى بن مضر القيسى ، واعلم أن محمد بن بشير
على السخط خير لك منى على الرضا .

قال : فاستحيا حمدون ، وكان حليها دمثا ، وكف عن جمع الفقهاء .
ومما حكاه محمد بن بشير ، عن مالك :

قال عبد الملك بن الحسن ، قال محمد بن بشير : سمعت مالكا
يقول : انظروا فى هذه الكتب ولا تخطوها بغيرها .

قال محمد : أراه يعنى الموطأ .

قال عبد الملك بن الحسن : قال محمد بن بشير : سمعت مالكا يقول :
تسكاد أخبار ابن عمران أن تكون سيرا .

قال محمد : فلا أدرى أى ابن عمران أراد مالك بن أنس : ابن
عمران الطلحى قاضى المدينة ، أو مصعب بن عمران قاضى الجماعة
بقرطبة ؟ وأخلق به أن يكون أراد المصعب ، لأن محمد بن بشير كان
كاتباً للمصعب ، وكان عالما بأخباره ، ثم جالس مالكا^(١) من بعد ، فلعله
قص عليه من أخباره فأعجبه ، فقال فيه ما قال .

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز : ذكر محمد بن عمر
ابن لبابة ، ومحمد بن عبد الله بن القوق :

(١) مقروء ريبيرا : « جلس ملكا » .

أن محمد بن بشير سأل مالكا عن ابن الأتق ، فلم ير به بأساً .

قال محمد : قال لي بعض رواة الأخبار :

أكثر موسى بن سماعة ، صاحب الخيل ، على الأمير الحسك ، رضى الله عنه ، في محمد بن بشير ، وشكا إليه أنه يجور عليه ، فقال له الأمير : أنا أمتحن قولك الساعة ، اخرج من فورك هذا واقصد ابن بشير فاستأذن عليه ، فإن أذن لك عزلته ، وإن لم يأذن لك دون خصمك فليس بجائر ، وإنما مقصده الحق ، فخرج موسى بن سماعة من عند الأمير إلى دار ابن بشير ، ثم أمر الأمير ، رحمه الله ، من وثق به من الفتيان أن يقفوا^(١) أثره ، ويعرف ما يكون منه ، فلم يكن إلا ريثما بلغ ، ثم انصرف فجعل يحكي للأمير ، قال : لما خرج الأذن إلى موسى ثم انصرف وأعلم به القاضى ، خرج إليه ثانية فقال له : إن كانت لك حاجة فتقصد فيها إذا جلس القاضى فى مجلس القضاء ، فقال الأمير ، رحمه الله : قد أعلمته أن ابن بشير صاحب حق لا هوادة عنده فيه لاحد .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال :

كان محمد بن وضاح يحكى عن الأمير الحسك — رحمه الله — حكائتين ، إحداهما فى محمد بن بشير ، والثانية فى ذكر شىء من الحدثن ، فكان محمد بن وضاح يقول عند فراغ الحكائتين ، والله لو لم يكن للحسك غير هاتين لرجوت له الجنة .

وإحدى الحكائتين التى فى ابن بشير : أنه ذكر عن بعض الخاصة أن كريمة من كرائم الحسك — رحمه الله — ذكرت أن الحسك قام

(١) الأصول : « يقفوا » .

عنها ليلا فساء به ظنّها ، على ما يتوهم النساء ، ويسبق إليهن من وجه الغيرة ، قالت : فقفوت أثره فوجدته في بعض الأماكن يصلي ويدعو .

قالت : فلما انصرف أعلته بما ظننت ، وبما فعلت ، وبما رأيته عليه من الصلاة والدعاء ، قالت : فقال لي : كنت قد قلت محمد بن بشير القضاء بين المسلمين ، فكانت نفسي عليه طيبة ، وقلبي به واثقا ، وكنت مستريحا من أخبار الناس وظلامانهم ، لما علمت من عدله وثقته ، حتى أعلمت في هذه العشية أنه في السياق ، وأن الموت قد حضره ، فقلقت لذلك واغتممت ، وقت في هذه الساعة أدعو الله وأبتهل إليه أن يوفق لي رجلا يكون عوضاً منه ، تسكن إليه نفسي ، فأوليّه القضاء ، قضاء المسلمين بعده .

ذكر القاضي سعيد بن محمد بن بشير المعافري

قال محمد :

سعيد بن محمد بن بشير بن شراحيل المعافري ، كان نبيلاً فاضلاً ، وكان معيناً لأبيه على العدل ، ومؤيداً له في اتباع الحق ، وكانت بصيرته من بصيرة أبيه في جميل المذاهب ، واستقامة النظرائق .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : أخبرني بعض أهل العلم :

أن أهل إستانجه^(١) رفعوا إلى الأمير — رحمه الله — يسألونه قاضياً يقضى بينهم ، فأخرج الأمير — رحمه الله — كتابهم إلى قاضي الجماعة محمد بن بشير ، وأمره أن يتخير من يراه .

قال خالد : فأخبرني أحمد بن بريق ، قال : لما قرأ محمد بن بشير كتاب الأمير أقرأه ابنه سعيداً ، ثم قال له : أنت تعرف جميع من يختلف إلينا من الناس ، فما ترى أن تشير به على الأمير ؟ فقال له : لست أعرف ، ولا أقلد أحداً من الناس ، فقال له محمد بن بشير : ما ترى في المزدب الزاهد الذي يختلف إلينا من شققنة ؟ فقال : هو أمثل من يختلف إليك ، غير أني لست أشير به ولا أقلده^(٢) فقال له أبوه : فأنا أقلده^(٣) وأشير به ، ثم أخذ كتاباً وبدأ يكتب بنجر المؤدب إلى الأمير ،

(١) أنظر الحاشية (رقم : ١ : ص : ٦٣) .

(٢) الأصول : « أتقلده » .

(٣) الأصول : « أتقلده » .

إلى أن قرع عليهما الباب ، فقال له أبوه : اخرج واعرف من هو ؟
فخرج فوجد قوماً يسألون عن القاضي ، فقال لهم ابنه : هو بحال شغل ،
فبينما هو يتكلم معهم إذ أتى المذنب الزاهد فتعرض للدخول على
القاضي ، فقال له ابنه : هو مشغول بكتاب يخاطب فيه الأمير ، فقال :
لا بد من رؤيته لأمر أخشى فواته ، وذلك أنه ذكر لي أنه سأله الأمير
أن يشير بقاض لأهل إستجبه ، فأجبت أن يشير بي ، فدخل سعيد على
أبيه ، وهو يكتب ، فقال : ارفع يدك عن الكتاب ، فإن الرجل الذي
تخاطب فيه قد هدم نفسه ، وأعلمه الخبر ، فأسقط محمد بن بشير الكتابة
فيه ، وأشار بغيره .

قال محمد :

وكان السبب الذي من أجله ولى القضاء سعيد بن محمد ، قصة دارت
عليه في وديعة كانت في يديه .

قال خالد بن سعد^(١) : حدثني من أثق به من أهل العلم ، عن يحيى
ابن زكريا ، وكان من أثبت أصحاب محمد بن وضاح ، قال : أخبرني أصبغ
ابن خليل ، قال :

كنت جالسا عند يحيى بن يحيى ، حتى أتاه سعيد بن محمد بن بشير ،
جلس ، فرآه يحيى مغموماً ، فقال له : ماذا لك ؟ فقال : هم طرأ عليّ ،
قال : وما هو ؟ فما عليك أذن ولا عين ، فقال : إن ربيع القومس^(٢)
أودعني مالا عظيماً ، وهذا الهاتف يهتف : من كان عنده لربيع مال
أو وديعة فلم يظهره بعد ثلاث سنين دمه ، وأنهبنا ماله ؛ فاستهول يحيى

(١) الأصول هنا : « خالد بن سعيد » ، تحريف .

(٢) القومس : السيد الشريف ، والمتولى الناحية من النواحي .

الخبر واستعظمه ، وأكب طويلاً ، ثم قال له : وما تريد أن تصنع ؟
أرى والله ألا تخفر أمانتك ، للحديث الذى أتى : إن الأمانة تزدى
إلى البر والفاجر ، والرحم توصل ، برة كانت أو فاجرة ، والعهد يوفى
به للبر والفاجر . فسمى^(١) الحديث وفشاً حتى انتهى إلى الأمير ، فبعث
فيه بعد ثلاث ، فخرج إليه الآذن من عند الأمير ، فقال له : ما دعاك إلى
ستر ما أودعك ربيع ، وقد سمعت ما هتف عنا الهاتف ، وما أظهرنا من
العزيمة فى ذلك ؟ فقال للآذن : أعلم^(٢) الأمير — أصلحه الله — عني أنى
إنما فعلت ذلك للحديث الذى أتى ، ثم نص الحديث حتى انتهى إلى
قوله ، والأمانة تزدى إلى البر والفاجر ، ولا أجر من ربيعة . فأنهى
الفتى ذلك إلى الأمير عنه ، فأوصى الأمير إلى الوزراء : هذا
رجل صالح فولوه القضاء .

فكان ذلك سبباً لولايته القضاء .

قال محمد :

وكان سعيد بن محمد بن بشير صاحباً ليحيى بن يحيى ، وكان يحيى له
على محافظة وإكرام .

أخبرنى عثمان بن محمد ، قال : أخبرنى أبو مروان عبيد الله ، قال :

قال يحيى بن يحيى : الحلم يزين الرجال ، جئت عبد الملك بن مغيث
يوم أربونة^(٣) فى الغزو ، ومعنا سعيد بن محمد بن بشير ، فسكان يرسل
إلينا ويستشيرنا .

(١) نسمى : شاع .

(٢) الأصول : « يعلم » .

(٣) أربونة ، بفتح أوله ويضم ثم السكون وضم الباء الموحدة
وسكون الواو ونون وهاء (معجم البلدان : ١ : ١٩٠) . وبالوجه الأول
ضبطت ضبط قلم فى صفة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

قال يحيى : وكان ربما استخصنى بالإرسال دون سعيد بن محمد ، فقلت لعبد الملك : لا تفعل ، فإن صاحبي سيسوءه ذلك ، فقبل منى ، وبعث يوماً إلى بصللة ثمانية دنانير ، وإلى سعيد بن محمد بمثلها ، فقلت له : أما أنا فستغن عنها ، ولكن اجمعها^(٢) وابعث بها إلى صاحبي ، فإنه محتاج . فلما غنم المسلمون ، وعظمت في أيديهم ، قسم ما هنالك برأينا ومحضرنا ، فقلت له في بعض مدار بينى وبينه : أحب أن أكلك بشيء يرق^(٣) وجهى عنك فيه ، فقال له : يا أبا محمد ، كل ما بلغ بك الحشمة فضعه عن نفسك .

قال عبيد الله :

فكأن يحيى يعجب بهذا الجواب جدا .

قال : فلما قفلنا ، قال لى : يا أبا محمد ، أردت أن أكرمكما أنت وصاحبك ، قلت له : بماذا ؟ قال : بأن أسمعكما سماعاً حسناً ، قال : فقلت له : أنت والله تريد هواننا لا إكرامنا ، قال : فقال لى : يا أبا محمد ، لا تغان ذلك ، فوالله ما كان رأى من قبلك أن يبالغ فى إكرامهم حتى يفعل ذلك بهم ، قال : فقلت له ، لا جزاءم الله خيراً عن أنفسهم ولا عنك ، فقد خانوا الله ورسوله .

قال يحيى ، فاحتشم وكف .

(١) متروء ريبيرا : « اجمعنا » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) رق وجهة : استحيا .

ذكر القاضى الفرج بن كنانة الكنانى

قال محمد :

هو الفرّج بن كنانة بن نزار بن عتيان بن مالك الكنانى ، نسبة
فى كنانة ، ومكتبه فى جند فلسطين .

كان مسكنه بشذونة^(١) ، وكان من أهل العلم والتقيد ، وكانت له رحلة
إلى المشرق ، وسمع فيها من عبد الرحمن بن القاسم ، ومن غيره من أهل
العلم ، ولما قدم من رحلته استنصحه الأمير الحكيم بن هشام — رحمه
الله — واستقضاه قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

ولم يزل القضاء متردداً فى ولده بشذونة فى أيام الخلفاء — رحمهم
الله — إلى أن ولى أمير المؤمنين — أعزه الله — رجلاً من ولده ،
يسكنى بأبى العباس ، قضاء شذونة ، وكان قد عنى بطلب العلم عند
شيوخ الأندلس مع محمد بن عبد الملك بن أيمن ، وغيره من نظرائه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : حدثنى بعض أهل العلم :

(١) شذونة ، بفتح أو له ويبعده الواو الساكنة . كذا ضبطها
ياقوت فى كتابه بالعبارة (معجم البلدان : ٣ ٣١٧) ويمثله ضبطت ضبط
قلم فى حصة جزيرة الأندلس (ص : ١١) .

أن رجلاً^(١) من أهل الزهـد ، من آل الفرّج بن كنانة ، اتهم^(٢) بالحرّكة في الهيج ، فتسور عليه [الأعوان]^(٣) ليقتلوه^(٤) ، فصرخ النساء ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : جارك فلان أتاها الأعوان فهجموا عليه ليقتلوه^(٥) ، فخرج الفرّج إلى باب الدار فاجتمع مع الأعوان ، فقال : إن جرى هذا سليم الناحية ، وليس فيه مما تظنون شيئاً ، فقال له المرسل مع الأعوان ، وكان رئيسهم : ليس هذا من شأنك ولا مما عصب بك^(٦) ، انظر في أحباسك وأحكامك ، ودع ما لا يعينك . فغضب الفرّج بن كنانة عند ذلك ، فمضى إلى الأمير الحكيم — رضى الله عنه — واستأذن له عليه ، فلما دخل سلم ، ثم قال : أيها الأمير ، أصلحك الله ، إن قریش حاربت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وناصبته العداوة ، ثم إنه صفح عنهم وأحسن إليهم ، وأنت أحق الناس بالاعتداء به ، لقربتك منه ، ثم حكى له القصة وما عرض له ، فأمر بضرب الناظر في ذلك الشغب ، وعفا عن بقية أهل قرطبة ، وبسط الأمان لجماعتهم ، واستألفهم إلى أوطانهم .

قال محمد : ذكر محمد بن حفص ، قال :

قرأت في كتاب بخط أحمد بن فرّج ، فيه نبذ من أخبار الأندلس : أن الفرّج بن كنانة غزا معقودا له على جند شذونة من

(١) مقروء ريبيرا : « عن رجل » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٢) مقروء ريبيرا : « فاتهم » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٤) الأصول : « ليقتل » .

(٥) الأصول : « ليقتل » .

(٦) عصب بك ، أى لزمك وارتبط بك .

الغرب ، مع عبد الكريم بن عبد الواحد ، إلى جليقية^(١) ، وأن عبد
الكريم قدمه من استرقه^(٢) إلى جمع للنصرانية ، ففضضهم وقتل فيهم
قتلا ذريعا .

قال : وتقرأ في هذا الكتاب : أن الأمير الحكيم — رضى الله
عنه — استقدم الفرج بن كنانة من شذونة وولاه القضاء بقرطبة ،
وأنه لما أدال عبد الرحمن ابنه من سرقسطة وولاهها عبد الرحمن بن
أبي عبدة ، استخف به عمارة ، رجل من العرب ، على موالاة له ،
فولى سرقسطة الفرج بن كنانة ، إذ هو منهم ، فلحق الفرج بالشجر ،
وكان فيه مدة .

ثم إن عمارة استمال قوماً من البربر وأدخلهم المدينة ، وثاروا على
الفرج بن كنانة فملكوه ، ثم تداعى العرب ووجوه البربر على عمارة
ومن معه فقتلوه وأجلوه عن المدينة ، فقبضوا^(٣) على عمارة وابنه
وفروا بهما^(٤) إلى الفرج بن كنانة ، وسأله العرب ووجوه البربر مخاطبة
الأمير الحكيم — رحمه الله — بما كان من قيامهم معه ، ونصرتهم له ،
فكتب لهم ، وسكنت حالهم .
قال محمد :

وقرأت في الديوان جواب الحكيم — رضى الله عنه — إلى الفرج
ابن كنانة ، بما يصدق هذا الحديث ، ونسخته :
أما بعد . فقد بلغنا كتابك تذكر الذى زاولت من صلاح ما قبلك ،

(١) جليقية ، بكسرتين واللام مشددة وياء ساكنة وقاف مكسورة
وياء مشددة وهاء (معجم البلدان : ٢ : ١٠٩) .

(٢) نفح الطيب (١ : ٢٦٥) .

(٣) الاصول : « فقبضوا » .

(٤) مقروء ريبيرا : « به » . وعليه المطبوعتان المصريتان .

وشغلك عن الكتاب إلينا بأمر عمارة ، وما كان من أمره وأمر من خرج معه ، ونقض الذى اختلف عليك من أمر أهل المدينة ، بدخول من داخلهم من البربر ، وما كان من فقير من نفر إليك من خيارهم ووجوههم وأهل الدعة والصلاح منهم ، نصرة لك ومعرفة بما فى الطاعة من العافية والسعادة ، ووثوب من وثب عليك من شرارهم وأهل السفه منهم ، وحسن مراجعتهم بعد الذى كان منهم ، ومن تذكهم على ما فرط من فعلهم ، وزل من رأيهم ، وقد كان من استجماع كافة خيارهم ووجوههم وصالحهم على نصرتك ، ومدافعه من وثب عليك من سوادهم ، ماعنى على ما ركب رعاهم ، ومن شذ من سفاهتهم ، ودعا ذلك إلى العفو عنهم ، ونصفح عن زللهم ، ولما كاتبون إلى عامتهم مع رسالك إلينا بما سألتهم^(١) ، ومعجل ذلك إليهم [وقد] أصبت رأيك فيما جمعت من كبة الفريقين ، وأصلحت من أمرهم ، وقد عرفنا حسن رأيك ، وصواب سياستك ، فيما حملناك من أماتهم ، وعصبنا بك من أمرهم ، ووقع لك منا موقع المعرفة ، والسلام .

وكتب إليه مدرجة^(٢) فيها :

قد كان من أمر عمارة وابنه ، واستجماع من قبلك من العرب على دفعهما إليك ، ما قد عرفت ، ثقة بك وبنصيحتك ، وما بلوا من طاعتك ، فاحتفظ بهما فى ليالك ونهارك ، واحذر الضيعة فيها ، والغفلة عنهما ، إلى قدوم المغيرة ذلك الثغر ، إن شاء الله ، واعلم أنك ضامن لهما إن

(١) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت قراءتها على القارئ
فوضع مكانها نقطا . وبمثل ما أثبتنا يستقيم الكلام .
(٢) المدرجة : الورقة تكتب فيها رسالة .

فاتا من يدك ، فانظر لنفسك بالاحتفاظ بهم أبلغ التحفظ ، إن كانت لك بما قبلنا حاجة ، ولا تلومنّ إلا نفسك إن ضيعت ، والسلام .

وكان الفرج بن كنانة قد بعث عنه^(١) بكتابه بعض أهل الغناء^(٢) ، من العرب إلى الأمير الحكيم — رضى الله عنه — فأمر لهم بالكساء والصلات ، وبعث إلى قومه مثل ذلك .

وقرأت جواب الحكيم — رضى الله عنه — إلى الفرج في أمر من وجهه من العرب ، وما كان منه إليهم ، وهذه نسخته :

أما بعد . فقد قرأت كتابك بما ذكرت من حال عامة من قبلك من العرب ، في طاعتهم ومناحتهم ، وخاصة من سميت من أهل البلاء منهم ، وقد وقع ذلك لهم موقع جزاء ومعرفة ، وصرفنا إليك رسالك بجوابات كتبك وكتبهم ، وأجزناهم على وفادتهم بأوسع الجائزة ، والسلام .

وهذه نسخة كتاب الأمير الحكيم — رضى الله عنه — إلى حيدش ابن نوح ، ومن قبله من العرب :

أما بعد . فقد بلغنا كتابكم تذكرون أن الذى كان من صنع الله لنا في ذلك الثغر بما قسم فيه وحاولتم ، من صلاح ما فسد منه ، وأخطرتكم^(٣) من دمائكم وأنفسكم في نصرة عاملكم وعزه ، ومجاهدة من نزع عنه ودافع أمره ، حتى أصلح الله الأمر ، وجمع الكلمة ، وقوم الطاعة ، وكل الذى كتبتم تذكرونه ، وتمنون به ، قد وقع منا بأفضل

(١) مكان هذه الكلمة « عنه » جاء متأخرا بعد قوله : « الغناء » .

(٢) الغناء ، بالفتح : الكفاية .

(٣) أخطر : بذل .

موقع ، في معرفته ، وحسن الجزاء به ، وجميل المكافأة عليه ، وقد
وليننا المغيرة بن الحكم أمر نغرم ، وعهدنا إليه أن يعرف حق
بلائكم . وحسن طاعتكم وغنائكم ، وأن يتسع لكم فيما جعلته إليه
بما أتم أهله ، في طاعتكم وصبركم ومناحتكم ، وفضل ما قلتم من
ذلك ، والله المستعان ، والسلام .

قال محمد :

ولم أجد عند رواة الأخبار للفرج بن كنانة بعد مقدمه من
الفرج خبراً .

وقال عبد الملك بن أيمن :

عقب الفرج بن كنانة بشذوثة كثير ، وقد أدركت من ولده
أما العباس ، يطلب العلم معنا عند شيوخ بلدنا ، ثم ولاه أمير المؤمنين —
أعزه الله — قضاء شذوثة .

ذكر القاضى قطن بن جزء التميمى

قال محمد :

هو قطن بن جزء بن اللّجّلاج بن سعد بن سعيد بن محمد بن عطار بن
حاجب بن زرارة التميمى ، وكان من أهل جيسان ، وولاه الأمير الحكم
ابن هشام — رضى الله عنهما — قضاء الجماعة بقرطبة .
ولم أجد له عند رواة الأخبار خبراً أقيده عنه ، ثم تلاه فى القضاء
بشر بن قطن ، ثم ولى بشر بن قطن بعد ذلك .

ذكر القاضي عبيد الله بن موسى الغافقي

قال محمد :

هو عبيد الله بن موسى بن إبراهيم بن مسلم بن عبد الله بن مسلم بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن عمار بن عبيد الغافقي .

كان أصله من عرب الشام ، ثم من جند فلسطين ، سكن ناحية الجزيرة ، وسكن ولده لإشبيلية .

وبنو موسى الوزير يقولون : عبيد الله هذا ، القاضي المنسوب ، ولاء الحكم - رضى الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة .

ولم تحفظ الرواة له خبراً يوضع بهذا الكتاب عنه .

ثم تلاه محمد بن تليد بن حامد بن محمد الرُعيني .

ذكر القاضي حامد بن محمد الرعيني

قال محمد :

هو حامد بن عبد اللطيف الرُّعيني ، كان من أهل شذونة ، ولاء
الأمير - الحكم رضى الله عنه - قضاء الجماعة بقرطبة .
ولم يحفظ أهل العلم له شيئاً يحكونه عنه .

ذكر القاضي مسرور بن محمد بن بشير المعافى

قال محمد :

هو : مسرور بن محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل المعافى .
وقد تقدم في صدر هذا الكتاب ذكر أبيه : محمد بن بشير .

قال محمد :

ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رحمهما الله — قضاء الجماعة
بقرطبة ، وكان من الصالحين الفاضلين .

حدثني من وثقت به من أهل العلم ، قال : حدثني محمد بن أحمد بن
عبد الملك ، المعروف بابن الزرّاد ، قال :

كان عندنا بقرطبة قاض يعرف بمسرور ، وكان من الزهاد ،
استأذن من حضره من الخصوم يوماً في أن يقوم لحاجة يقضيها من
حوائج نفسه ، فأذنوا له ، فقام عنهم ثم خرج عليهم وفي يده خبزة
عجين ، وهو يسير بها إلى الفرن ، فقال له بعض من حضر : أنا أكفيك
أيها القاضي حملها ، فقال له : وإذا عزلت عن القضاء أين أجلك كل
يوم تكنينى حملها ، بل الذي حملها قبل القضاء هو يحملها اليوم .
ثم تلاه في القضاء سعيد بن محمد بن بشير ، مرة ثانية .

ذكر القاضى يحيى بن معمر الالهانى

قال محمد :

هو يحيى بن معمر بن عمران بن منير بن عبيد بن أنيف الأطلومى^(١)
الالهانى^(٢) ، من العرب الشاميين ، وكان من أهل إشبيلية ، ومنزله بها
فى حارة^(٣) تسمى : مغرانة ، حارة من طرف الحاضرة ، عليها عمر
السابلة ، وكان فى وقته فقيه إشبيلية وفرضيا^(٤) .

وكانت له رحلة لقي فيها أشهب بن عبد العزيز ، وسمع منه ، ومن
غيره من أهل العلم .

وكان فى مذهبه ورعا زاهداً فاضلاً ، مقبلاً على إقامة ضيعته وإصلاح
شأنه .

قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز :

(١) كذا ، ولم يذكرها المغرب (١ : ١٤٧ - ١٤٨) ولا بغية
الملتقى (ت : ١٤٩٢) ولا تاريخ قضاء الأندلس للنباهى (ص : ٤٤)
وهى المراجع التى ترجمت له .

(٢) الالهانى ، بفتح الألف وسكون اللام : نسبة الى الهان بن مالك ،
أخى همدان بن مالك بن زيد (الأنساب للسمعانى : ٤٨ ، والجمهرة
لابن حزم : ٢٩٩) .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٤) الفرضى ، بفتحتين : نسبة الى الفريضة ، وهو العالم
بتقسيم الموارث .

لهج الناس بأشيلية أن يحيى بن معمر يُستقضى بقرطبة .

قال لى : فحكى رجل من أهل لإشيلية ، يعرف بمرة بن ديسم ، قال : كنت مع يحيى جالساً فى قريته فى بعض الأبنية ، حتى نظرت إلى فارس يركض ، وهو مغذ فى السير ، مستقيم على المحجة العظمى .

قال : فأتبعته بصرى ، فلما بلغ إلى الطريق الذى يعطف فيه إلى منزل يحيى بن معمر ، وقف وقوف الجاهل بالمسكان ، المستدل .

قال : وظننت أنه رسول الخليفة من قرطبة فى يحيى بن معمر ليؤليه القضاء .

قال : فعطفت على يحيى ، فقلت : أبا زكريا ، لهج الناس من أمرك بشيء ، وأحب أن أعرف الحقيقة عما تعتقده ، فقد أزعج الأمر ، تقبل القضاء أو لا تقبل ؟ قال : أقبل : قال : فقلت له : إذا كنت قاضى الجماعة بقرطبة ما يكون حظ صديقك ومحبك من ذلك ؟ قال : حظ وافر ، إن شاء الله ، قال : فقلت له : هذا رسول مقبل فيك من قرطبة .

قال : فأنقضى الكلام حتى وقف بنا الركاض^(١) المرسل فى يحيى ابن معمر .

قال : فلما صار يحيى إلى قضاء الجماعة بقرطبة ، قصدت إليه من لإشيلية ، فنزلت عليه ، فخيا وأكرم وأنزل ، فلما صرنا إلى العشاء قدم من الإدام شيئاً مختصراً ، فقلت له : وما هذا ؟ وأين نعيم قرطبة وما فيها من ضروب الخيرات ، وأنت قاضى الجماعة ؟ ثم قلت : أخشى والله أن أندم على رحلتى إليك ، قال : لا ، إن شاء الله .

(١) الركاض ، الراكض ، وهو العادى المسرع .

قال : فلما أصبح يحيى بن معمر وضع يده ، وأنا لا أشعر ، فكتب
إلى الأمير^(١) عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنهما — يحكى له
القصة على وجهها ، وكيف كانت البعثة من يحيى ، وأن مرة بن ديسم
قدم عليه مستنجزاً ، ثم سأله أن يعقد له على قومه سنة كاملة ، وأن
يحملة^(٢) ويكسوه .

قال مرة بن ديسم : فما شعرت — وأنا قد استشعرت اليأس من خير
القاضى ، لما رأيت من زهده وما أخذه^(٣) فى نفسه — حتى أتت العقدة إلى
يحيى من عند الأمير ، مع صلة مائتى دينار ، وبغل حُملان^(٤) ، وثياب
كسوة ، وكتاب معها من الأمير ، يقول فيه : قد أنجزنا عنك عدتك
لمرة بن ديسم .

قال خالد بن سعد : أخبرنى أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن
ابن عبد الحميد بن أبى زيد ، قال : أخبرنا محمد بن وضاح ، وأحدهما
يزيد على صاحبه ، قال :

صليت صلاة الكسوف مع ابن معمر فى الجامع بقرطبة سنة ثمان
عشرة ومائتين ، فصلى وأحسن الصلاة ، ولم يقم للصلاة^(٥) ، وطول
فى صلاته ، بدأ بالصلاة ضحى ، وقوم^(٦) فى القائلة^(٧) ، وقد تجملت
الشمس ، وكنا فى زمن الصيف .

(١) الأصول : « أمير » .

(٢) يدمله : يعطيه ظهرا يركبه .

(٣) المأخذ : المنهج .

(٤) الحملان ، بالضم : ما تحمل عليه الهدايا من الدواب .

(٥) أقام للصلاة : نادى لها . وفى الأصول : « ولم يقم الصلاة » .

(٦) قوم وأقام ، بمعنى . وانظر الحاشية السابقة .

(٧) الأصول : « فى القابلة » . وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا :

والقائلة : الظهيرة .

قال أحمد بن خالد ، وعثمان بن عبد الرحمن : أخبرنا محمد بن وضاح ، قال :

صليت الجمعة في ولاية ابن معمر أربع ركعات ، وابن أبي عيسى حاضر ، وسعيد بن حسان ، وعبد الملك بن زونان ، وحارث بن أبي سعد ، وعبد الملك بن حبيب ، وصلوها أكثر الناس في صحن المسجد ركعتين . قال محمد :

وكان يحيى بن معمر إذا أشكل عليه الأمر ، واختلف عليه الفقهاء ، كتب إلى أصبغ بن الفرغ وغيره ، وكشفهم^(١) عن وجه ما يريد علمه .

وقد قرأت رسائل حسناً مما كتب بها أصبغ بن الفرغ إلى يحيى بن معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أجوبة في مسائل سأله عنها من أخبار القضاء طويلة مديدة ، هممت (بذكرها)^(٢) واجتلابها ، ثم رأيت ألا أخرج الكتاب عن حده ، ولا أصرفه عن وجهه .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : سمعت غير واحد من مشايخ أهل العلم يقول :

كان بين يحيى بن معمر وبين يحيى بن يحيى حداوة ، فسعى يحيى بن يحيى في عزل يحيى بن معمر القاضى عند الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — وأقام عليه البيئات من أهل العلم والعدل ، فشهدوا على يحيى بن معمر عند الوزراء بأحوال قبيحة نسبت إليه ، فرفع يحيى بن معمر إلى الأمير

(١) الأصول : « وكشفهم » .

(٢) مكان هذه الكلمة كلمة أخرى استعصت على القارئ فوضع

مكانها نقطا ، ولعلها هي ما اثبتنا .

عداوة يحيى ، وأنه هو ضم الفقهاء والعدول إلى الشهادة ، فطاعوا له بها .
فأخرج الأمير عبد الرحمن عهداً إلى الوزراء يأمرهم بأن يرسلوا
في وجوه التجار فيسألوهم عن يحيى بن معمر ، فأرسل الوزراء في غير
واحد ، فكان قول التجار من شاكلة الشهادات المتقدمة ، وذلك
لمطالبة من كان يطالبه من الفقهاء حينئذ ، فعزله الأمير عبد الرحمن
عند ذلك .

قال محمد :

كان يحيى بن معمر - فيما شهدت به أخباره وحكته - آذار فعله .. قليل
المداراة لفقهاء قرطبة ، لا يلين لهم فيما يريدون ، ولا يصغى إليهم فيما
يجبون ، فنفروا بأجمعهم عنه ، وصاروا كلهم إلماً عليه ، وبلغ من تحمل
يحيى بن معمر عليهم أن سجل بالشحطة ^(١) على سبعة عشر رجلاً منهم ،
فرموا كلهم عن قوس واحدة ، وقالوا فيه بأجمعهم قول سوء .

حدثني عثمان بن محمد ، قال : حدثني أبو مروان عبيد الله بن يحيى ،
قال : قال يحيى بن يحيى :

لما قام الناس على يحيى بن معمر ، قاضى الجماعة بقرطبة ، أتانى
سعيد بن حسان ، فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟ قال يحيى : فقلت
له : لا تقل ، وانظر أن تكون مشاوراً فيه ، فيكون رأيك فيه أنفذ
حينئذ من شهادتك .

(١) مقروء ريبيرا : « بالسحطة » وعليه المطبوعتان المصريتان .
تصديف ، صوابه ما أثبتنا : يقال : شحط فلان فى السوم ، اذا استام
بسبعته متباعدا عن الحق مجاوزا القدر ، والمصدر : شحوط ، وقد يكون
هنا على غير بابه ، أو هو للمرة .

قال : فغلبته شهوته فيه إلى أن ذهب فشهد عليه ، ثم أتاني فقال :
قد شهدت عليه .

قال يحيى : فلم ألبث أن أتاني كتاب الأمير عبد الرحمن بن الحكم —
رحمه الله — يقول فيه : قد تصفحت الشهادات على القاضي يحيى
ابن معمر ، فلم أرك فيها شهادة ، وقد وجهت إليك الشهادات عليه
فتصفحها واكتب برأيك فيها .

قال يحيى : فكتبت إلى الأمير : ما عندي من أخبار القاضي
علم ، لأنه لم يكن يحضرني مجلسه ، ولا يشاورني في أحكامه ، وأما
الشهادات الواقعة عليه ، فقد تصفحتها ، ولو وقع مثلها على مالك
والليث مارفعاً بعدها رأساً .

قال يحيى : فأمرني ابن معمر معزولاً عن القضاء .

قال محمد : قال خالد بن سعد : أخبرني أحمد بن عبد الملك ، قال :
أخبرني عثمان بن سعيد ، الرجل الصالح الفاضل ، قال :

لما عزل يحيى بن معمر عن القضاء بقرطبة بعث إليه أحد الوزراء ،
وكان من أخص إخوانه ، ابناً له بزوامل^(١) وأعوان ، وقال لابنه :
تذهب إلى القاضي^(٢) وتسأله أن يحمل على هذه الزوامل ثقلته^(٣) وما
احتاج إليه ، فلما أتاه ابن الوزير برسالة أبيه ، وأحضره الزوامل ،

(١) الزوامل : جمع زاملة ، وهي ما يحمل عليه من الأبل وغيرها .

(٢) بعد هذه الكلمة في الأصول : « رحمه الله » ولا مكان لهذه
الزيادة هنا .

(٣) الثقلة ، بالفتح : الثقل ، محركة ، وهو المتاع ، والشيء
النفيس الخطير .

قال له القاضى : ادخل حتى ترى ما عندنا من الثقلة . فدخل ، فإذا ببیت القاضى ليس فيه إلا حصير وخاوية بدقيق ، وصحفه ، وقلة للماء ، وقدح ، وسرير كان يرقد عليه ، فقال له ابن الوزير : وأين الثقلة ؟ فقال : هذه ثقلتي أجمع ، ثم قال للغلام : فرق الدقيق على من بالباب من الضعفاء ، وامض فى بعض القومة ^(١) يقبضوا ^(٢) هذا الحصير والأوانى ، ثم خرج وقال : جزى الله الوزير أباك خيراً ، تقرئه سلامى . ثم توجه إلى إشبيلية .

قال محمد : ذكر بعض أهل العلم ، قال :

فوجىء ابن معمر بالصلاة فى بعض الأعياد ، فأتى المصلى ، وقد أخذ أشراف الناس وخدم ^(٣) السلطان مواضعهم بقرب سترة الإمام ، فلما نظر يحيى إلى ذلك أمر الخدم ^(٤) بتقديم السترة ، فبادر سواد الناس حتى قربوا من الإمام ، وصار من كان متقدماً خلفهم متأخراً ، ثم قام خطبهم .

(١) القومة : من يقومون عن الوالى فى تنفيذ أوامره .

(٢) مقروء ريبيرا : « يفضوا » ، وعليه المطبوعتان المصريتان ، وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) الأصول : « خدمة » والمسموع ما أثبتنا .

(٤) الأصول : « الخدمة » والمسموع ما أثبتنا .

ذكر القاضي الأسوار بن عقبة النصرى

قال محمد :

هو أبو عقبة الأسوار بن عقبة بن حسان بن عبد الله النصرى ،
كان من أهل جيتان ، ولاء الأمير عبد الرحمن — رضى الله عنه — قضاء
الجماعة بقرطبة ، فكان من أهل التحرى والخير والتواضع وحسن
السيرة ، كان يحمل خبزه إلى القرن بنفسه ، ويتصرف فى مهنة أهله^(١) ،
ولما عزل له الأمير — رحمه الله — رأى بعد ذلك صرفه إلى القضاء ،
فأبى ، فكلّم فى ذلك ، فقال : لى عيوب كثيرة : كبر ولدى ، وضعف
بدنى .

وكان له ولد يسمى : حسيناً ، فقليل له : أو تجعل كبر ولدك عيباً من
عيوبك ؟ قال : من أشد العيوب .

قال أحمد بن محمد بن أيمن :

رأيت للأسوار بن عقبة حكماً فى حدود مقبرة الربض ، ومنتهى
أقطارها ، وشهدت أحمد بن يقيّ ، وهو على القضاء يومئذ ، قد ركب
إلى الموضع مع الفقهاء ، وذلك الحكم معه ، حتى امتحن الحدود ،
واحتمل على^(٢) ما وجد فى الحكم .

(١) مهنة أهله : خدمتهم .

(٢) احتمل على ، يريد : حمل على ، يعنى : غاب ولز .

قال محمد : أخبرني أصف بن عيسى الشقاق ، قال : سمعت أحمد
ابن بقر ، يقول :

دخل محمد بن عيسى الأعشى يوماً على الأسوار بن عقبة ، فقال له :
كيف أصبحت أبا عقبة ؟ فأطرق أبو عقبة القاضي عن إجابته . ثم شهد
عنده الأعشى في ذلك المقام بشهادة ، فقال له القاضي : أنت رجل يكثر
الهزل ، ولست أدري إن كانت شهادتك هذه من جدك أو هزلك ؟
فوقده^(١) بهذا الكلام .

(١) يقال : وقذ فلان فلانا ، اذا ضربه حتى استرخى واشرف
على الموت .

ذكر القاضى يحيى بن معمر ثانية

قال محمد : قال لى محمد بن عمر بن عبد العزيز :

كان السبب الذى من أجله صرف يحيى بن معمر إلى القضاء ثانية أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم - رضى الله عنهما - خرج فى زمان الخريف ، على ما كانت الخلفاء تلتزمه من التروح إلى إشبيلية وساحل البحر ، فنظر بعض خواص الأمير إلى ابن معمر وهو فى جنان له ويستقى الماء بخطارة^(١) ، ويستقى بقل الجنان ، فلما رأى ذلك دخل ذلك الرجل الناظر إلى يحيى بن معمر ، فى تلك الحال ، على الأمير وأعلمه بما رأى من يحيى بن معمر ، فقال الأمير ، عند ذلك : والله ما أشك فى فضل الرجل وورعه ، وإنى لأظن الرافعين عليه متبائلين بالباطل ، وأمر من ساعته تلك بتوجيهه إلى قرطبة قاضياً .

فلما قدم يحيى بن معمر إلى قرطبة قاضياً أقسم ألا يستفتى يحيى ابن يحيى ، ولا سعيد بن حسان ، ولا زونان ، فبقيت الأحكام معلقة إلى مقدم الأمير عبد الرحمن - رحمه الله - من وجهته ، وبلغ الخبر

(١) كذا . يريد رافعة ترفع الماء من النهر ثم تصبه على الأرض ، أشبه شىء بما يسمى فى مصر الشادوف ، ويبدو أنها كانت من مستعمل أهل الاندلس لخطرانها ، أى اهتزازها .

إليه^(١) ، فأوصى إليه بإنكار ذلك ، فقال يحيى : قد أقسمت على ذلك ،
وبالبيعة^(٢) رجل من أهل العلم والتقدم يستغنى به عنهم ، يعنى عبد الملك
ابن حبيب ، فأمر باستقدامه ، فكان المنفرد بفتياه .

وحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن عمه ، وكان خاصا بابن
معمر ، قال :

كنت عند ابن معمر القاضى يوماً فى بيته فى دولته الثانية ، فاستأذن
عليه عبد الملك ، فأذن له ، فلما أخذ مجلسه ، قال : قضية فلان أحب
إلى أن ينفذ الحكم فيها بما أشرت عليك ، فإنه الحق ، إن
شاء الله .

وكان ابن معمر يريد أن يحكم فى ذلك بقول ابن القاسم ، وكان
عبد الملك يريد أن يحكم فيها بقول أشهب . فقال له يحيى بن معمر : لا والله
لا أفعل ، ولا أفعل ، ولا أخالف ما وجدت عليه أهل البلد ، وإنما
وجدتهم يحتملون على^(٣) قول ابن القاسم ، وتريد أنت أن تصرفنى
إلى قول أشهب ؟ ثم ضرب له مثلاً بقوله العامة : سنة عَفْص وسنة
بلوط^(٤) .

قال : فما زال التراجع بينهما بالكلام حتى قام ابن حبيب
عنه مغضباً .

(١) كذا : والصواب : وبلغه الخبر .

(٢) البيرة ، الألف فيها ألف قطع وليس بألف وصل ، بوزن :
أخرطة (معجم البلدان : ١ : ٣٤٨) .

(٣) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ١١٠) .

(٤) العفص ثمر البلوط . والبلوط من أهم شجر الأحرار ، غليظ
الساق . يريد سنة ينتفع فيها بثمر البلوط وسنة ينتفع فيها بخشبه .

قال محمد بن أيمن : قال لي عمي :

فعدلته وقلت له : هذا الرجل أثبتته^(١) إلى^(٢) أعدائك ، كما أني أراه
قد صار في عددهم ، ثم يعزلونك ثانية ، فقال لي : بالعزل تخوفني ؟
والله ليت بغلتي قد عجرت^(٣) بي في سهل^(٤) المدور^(٥) منصرفاً إلى
إشبيلية .

فكان يقول : فما أنسى قوله : قد عجرت بي .

قال خالد بن سعد : أخبرني أحمد بن عبد الملك ، قال : أخبرني عثمان
ابن سعيد الزاهد ، قال :

لما احتضر يحيى بن معمر ياشبيلية وأيقن بالموت ، قال لمولى له ،
كان قد صحبه ، من أهل الخير : خرجت عليك^(٦) بالله العظيم إلا إذا مت
فأذهب إلى قرطبة ثم قف بيحيى بن يحيى ، وقل له : يقول لك
يحيى بن معمر : (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب منقلبون)^(٧) .

قال : فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك .
قال : فبكى يحيى حتى أخضل لحيته ، ثم قال : (إنا لله وإنا إليه
راجعون)^(٨) ، ما أظن الرجل إلا خلعنا فيه ، ووشى بيننا وبينه ، ثم
ترحم عليه واستغفر له .

(١) أثابة : أرجعه وأعادته ، واللازم منه ، ثاب ، بمعنى : رجع وعاد .

(٢) الأصول : « على » . وهذا الفعل يتعدى بالحرف : إلى .

(٣) عجرت : قمصت .

(٤) الأصول : « سهلة » .

(٥) انظر الحاشية (رقم : ٢ ص : ٦٧) .

(٦) خرج على فلان : ضيق .

(٧) الشعراء : ٢٢٧ .

(٨) البقرة : ١٥٦ .

قال محمد :

وهذه الحكاية التي حكاها محمد بن سعيد ، تدل على أن يحيى بن
معمر عزل مرة ثانية ، ولم يمت قاضياً .

وله حكاية ثانية لم نسندھا ، تدل على أن يحيى بن معمر مات قاضياً ،
سند كرها في افتتاح أخبار القاضى : إبراهيم بن العباس .

ذكر القاضى ابراهيم بن العباس القرينى

قال محمد :

[هو] ^(١) : ابراهيم بن العباس بن عيسى بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، رحمه الله .

قال محمد : قال خالد بن سعد :

لما توفي يحيى بن معمر القاضى بقى الناس بلا قاض نحو ستة أشهر ، فجعل الناس يتصدون للوزراء إذا ركبوا يسألونهم أن ينهوا إلى الأمير — رحمه الله — ذلك ، ففعلوا ، فعرض الأمير — رحمه الله — حينئذ القضاء على يحيى بن يحيى ، فأبى قبوله ^(٢) .

وقد ذكرت الروايات فى ذلك ، وشرحت خبر يحيى شرحاً حسناً فى صدر الكتاب ، فى باب : من عرض عليه القضاء من علماء قرطبة فأبى قبوله ^(٣) .

قال محمد :

كان ابراهيم بن العباس محموداً فى قضائه ، عادلاً فى حكمه ، متواضعاً فى أموره ، غير متصنع ولا متهيّب .

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) الأصول : « من قبوله » .

(٣) الأصول : « من قبوله » .

أخبرني فرج بن سلمة بن زهير البلوي ، قال : قال محمد بن
عمر بن لبابه :

كان إبراهيم بن العباس ربما جلس يقضى في بيته بين الناس ،
وخادمه تنسج في ناحية البيت .

أخبرني من أثق به من أصحابنا ، عن أحمد بن زياد ، عن محمد بن
وضاح ، قال :

لما أبي يحيى بن يحيى قبول^(١) القضاء ، وأشار بإبراهيم بن العباس
أن يستقضى ، وأن يكون كاتبه زوزان ، فقبل منه الأمير رأيته في ذلك ،
وولى إبراهيم بن العباس القضاء ، فشهد عنده يوما يحيى بن يحيى في الماء
الذى كان بفرن بريل^(٢) ، الذى قام فيه بنو العباس ، وابن عيسى ،
فلما خرج تناوله بعض الخصوم ، فانصرف يحيى إلى القاضى ، فقال : إن
هذا تناولنى فأدبه ، فقال : وما أدبه ؟ قال : أبعث به إلى السجن ،
فبعث به القاضى إلى السجن ، ثم خرج يحيى بن يحيى إلى باب الصومعة
فركب دابة ، ومضى نحو السويقة ، وانصرف ، فدخل على القاضى ،
فقال له : تأمر بإطلاق الذى حبست ، ففى الذى كان منك أدبه .

وكانت ولايته هذه الأولى سنة أربع عشرة ، أو خمس عشرة ،
ومائتين ، ثم عزل وولى غيره .

فلما كانت سنة ثلاث وعشرين ، على إثر سعيد بن سليمان ، ولى
القضاء أيضا .

قال محمد : قوله : على إثر سعيد بن سليمان ، يخيل إلى أنه غلط ،

(١) الأصول : « من قبول » .

(٢) بريل ، بالكسر ثم السكون وياء خفيفة ولام مشددة : مدينة
بالاندلس . (معجم البلدان : ١ : ٦٠١) .

لأن سعيد بن سليمان إنما ولى بعد محمد بن زياد ، وبعد موت يحيى بن يحيى ، وذلك كله بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين ، ولم أر فى شيء من الروايات أن سعيد بن سليمان ولى ولايتين ، حاشى ما ذكر لى أحمد بن عبادة الرعنى ، فإنه قال لى : عزل سعيد بن سليمان ساعة من نهار ، ثم استدرك الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — رأيه وأمره بإثباته ، فلما طلب ليعلم عن الأمير بالتمادى على القضاء ألنى قد ارتحل إلى بلده ، فأعلم بذلك الأمير ، فقال : إن هذا رجل صالح ، وازداد به غبطة ، وأمر أن يدرك ويصرف إلى قضائه ، فأدرك ورُد كما كان قاضياً .

قال محمد :

فإن كان إبراهيم بن العباس ولى القضاء سنة ثلاث وعشرين ومائتين أمكن أن يكون بعد بعض القضاة ، غير سعيد بن سليمان .

قال محمد بن وضاح :

وفى ولاية إبراهيم بن العباس الثانية رفع إلى الأمير — رحمه الله — أن القاضى ليس يقبل من أهل قرطبة إلا من أشار يحيى بقبوله ، وإنما يعملون هذا الأمر لهذا القريشى ، فبعث الأمير عبد الرحمن فى عبد الملك بن حبيب ، فقال له : قد تعلم يدى عندك ، وإنى أريد أن أسألك عن شيء فاصدقنى فيه ، فقال : نعم ، لا تسألنى عن شيء إلا صدقتك ، فقال : إنه رفع إلينا عن يحيى بن يحيى ، وعن القاضى : أنهم يعملون علينا فى هذا الأمر ، فقال عبد الملك : قد علم الأمير ما بينى وبين يحيى بن يحيى ، ولهكنى لا أقول إلا الحق ، ليس يحيى من^(٢) يحيى بن

(١) الأصول : « من عند يحيى » .

يحيي إلا ما يحيى مني ، وكل ما رفع عليه إليك فباطل ، وأما القاضي ،
فلا ينبغي للأمير أن يشركه في عدله من يشركه في نسبه .
فعرله الأمير حينئذ عن القضاء .

قال محمد : وأخبرني بعض العلماء ، قال :

قدم موسى بن حدير من الحج فعرض عليه الأمير عبد الرحمن —
رحمه الله — ولاية الخزافة ، فأبى قبولها^(١) ، وذهب إلى الانقباض عن
الخدمة ، فعافاه الأمير ، فلم يلبث موسى بن حدير إلا يسيراً حتى
استعدت عليه امرأة من جيرانه عند القاضي إبراهيم بن العباس ،
وذكرت أنه طلبها في دارها تلاصقه ، فأرسل فيه إبراهيم بن العباس
فأحضره ، فقال له : إن هذه المرأة تقول كذا وكذا ، وتدعي عليك
بكذا وكذا ، فما تقول ؟ فقال له موسى : أؤكل من يخاصمها ، فقال له :
تقر أو تنسك ، ثم توكل بعد ذلك من شئت على الخصومة ، فقال له :
أؤكل من يقر عني أو ينسك ، فأبى إبراهيم أن يقبل ذلك منه ، واضطره
إلى أن يجيب المرأة في دعواها مقرأً أو منكرأً ، فلما لم يجد من ذلك
بدأ قال له : جميع ما تلصق به حق ، وهي المصدقة ، ثم انصرف عنه ، وقد
اعتقد له ضغناً عظيماً ، وأضر له حقداً شديداً ، ثم وضع يده فكتب
إلى الأمير يسأله ولاية الخزافة ، ويذكر أنه تعقب أمرها فاستسلمه من
أجل أنها أمانة ، يعطى الأموال كما يأخذها ، فأسعفه الأمير عبد الرحمن
— رحمه الله — بذلك ، وولاه الخزافة ، فكان خازناً نحو الشهر ، ثم
كتب إلى الأمير يستأذنه للدخول عليه ، فأدخله على نفسه ، ثم قال

(١) الأصول : « من قبولها » .

له : أمر لا قرار عليه ، صح عندي أن القاضي إبراهيم بن العباس في مجلس قضائه يخاطب بأن يقال له : يا بن الخلائف ، فعزله عبد الرحمن بذلك .
قال محمد : وسمعت الأمير ولي عهد المسلمين ، الحكم ، أبقاه الله ، يقول : سمعت الحاجب موسى بن محمد بن حدير يقول : إن موسى بن حدير دستس امرأة من مواليه ، فوقفت للقاضي على طريقه ، ثم قالت له : يا بن الخلائف .

فكان ذلك سبباً لعزل إبراهيم .

قال أحمد بن أيمن ، أخبرني أبي :

أن عباساً القرشي ، جد بن العباس ، شكاه إلى الأمير ، في قصة دارت ، فقال : اذهب إليه ، فإن أذن لك مخلياً^(١) فقد عزله .

فلما توجه عباس استأذن عليه ، فلم يأذن له ، وأوصل^(٢) إليه : إن كانت لك حاجة فاقعد في المسجد حتى أخرج إلى العامة ، فيسمعك ما يسعهم .

فاتصل ذلك بالأمير ، فازداد بذلك عنده رفعة ودرجة .

(١) مخلياً : خاليا بك .

(٢) الأصول : « وأوصى » .

ذكر القاضي يخامر بن عثمان الشعباني

قال محمد :

هو : يخامر بن عثمان بن حسان بن يخامر بن عبيد بن أقنان بن وداعة بن عمرو .

ولى القضاء سنة عشرين ومائتين .

وهو أخو معاذ بن عثمان ، ومعاذ هذا ، والد سعد بن معاذ الفقيه ، وكانا من أهل جيان من قلعة الأشعث ، وكان اتسأبهما في العرب إلى جذام ، فيما أحسب ، وكانا^(١) ، فيما قيل لى : من جند قنسرين .

ولى يخامر القضاء فعامل الناس بخلق صعب ، ومذهب وعر ، وصلابة جاوزت المقدار ، فلم تحتمل العامة له ذلك ، فتسلطت عليه الألسن ، وكثرت فيه المقالة ، وانبرى له رجل من شعراء قرطبة ، في ذلك الزمان ، وهو المعروف بالغزال^(٢) ، فكان يهجو ويصفه بالبله والجهل ، ومن بعض ما ذكره فيه قوله في شعر له :

فسبحان من أعطاك بطشاً وقوة وسبحان من ولى القضاء يخامرا

(١) الأصول : « وكانوا » .

(٢) الغزال : بالتخفيف ، هو يحيى بن الحكم ، وكان مولده سنة ست وخمسين ومائة ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين . (جذوة المقتبس : ت : ٨٨٨) .

قال محمد :

قال لى ولى العهد — أبقاه الله — يوماً ، وقد ذكر القضية وأخبارهم : حدثنى محمد بن أبى عيسى ، قال : طرح ابن الشمر بين سحاء^(١) يخامر بن عثمان الشعبانى سحاءة فيها مكتوب : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فخرجت السحاءة إلى يخامر ، فأمر أن يدعى بهما ، فهتف الهاتف : يونس بن متى ، والمسيح بن مريم ، فصاح ابن الشمر : نزولهما من أشراط الساعة ، ثم أخذ سحاءة فكتب فيها :

يخامر ماتنفاك تأتى بفضحة دعوت ابن متى والمسيح بن مريما بما قلت حيناً ثم ناداك صامح بأنهما^(٢) ليسا^(٣) على الأرض فاعلما قفك قفا حربا^(٤) ووجهه مظلم^(٥) وعقلك مايسوى من البعدرهما^(٦) فلاعشت مودوداً ولاعشت سالماً ولامت مفقوداً ولامت مسلماً

قال محمد :

وتألب الناس ، ورفعوا إلى الأمير — رحمه الله — يشكون يخامر القاضى ، فلما كثر ذلك على الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — أمر الوزراء بسماع الشهادة والنظر فى أمر يخامر ، فذكرت عنه أشياء مدارها على قلة المدارة ، وترك حسن المعاملة .

(١) الأصول : « سحيات » . والمسموع فى جمع « سحاءة » : سحاء . والسحاءة : القشرة من كل شىء ، يريد بها هنا : الورقة المنزوعة .

(٢) مقروء ريبيرا : « فانهما » وعليه المطبوعتان المصريتان .

(٣) الأصول : « بقى » .

(٤) مقروء ريبيرا : « خربا » بالخاء المعجمة ، وعليه المطبوعتان المصريتان ، تصحيف . وحربا ، مقصور : حرباء ، وهى دويبة على شكل سام أبرص مخططة الظهر تتلون ألوانا .

(٥) أسوى يسوى : عادل .

(٦) الأصول : « مظلما » .

وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان ، يسمى : ينير ، وكان مقدما
عند القضاة ، مقبول الشهادة ، مشهوراً في العامة بالخير وحسن المذهب ،
فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية : ما أعرفه ،
إلا أنني سمعت الناس يقولون : إنه إنسان سوء ، وصغره باللفظ
العجمي .

فلما رفع قوله إلى الأمير — رحمه الله — عجب من لفظه ، وقال :
ما أخرج مثل هذه الكلمة من هذا الرجل الصالح إلا الصدق ، فعزله
عن القضاء حينئذ .

قال محمد : قال لي محمد بن عبد الملك بن أيمن :

فلما أتى الفتى إلى يخامر بعزلته ، من عند الأمير — رحمه الله —
قال له يخامر ، على رؤوس الناس : قل للأمير — أصلحه الله — إذ
وليتني أمرتني أن أتخفظ من السلسلة السوء ، واليوم تعزلي ببعيها على .
فلما بلغ الفتى قوله إلى الأمير ، قال : قبحه الله ، ذكر أسرارنا
على رؤوس الناس .

ذكر القاضى على بن أبى بكر الكلابى

قال محمد :

ولما عزل الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنهما — يخامر
عن القضاء ، ولى بعده رجلا من أهل قبرة^(١) ، يسمى : على بن أبى بكر
ابن عبيد بن على الكلابى ، وكان لقبه : يوانش ، ولا أحفظ له خيرا
أكثر من ذكره .

(١) قبرة ، بلفظ تأنيث : القبر ، أظنها أعجمية . (معجم البلدان :

٤ : ٢٩) .

ذكر القاضى معاذ بن عثمان الشعبانى

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنهما — قضاء الجماعة معاذ بن عثمان الشعبانى ، وكان من أهل جيان ، قاضياً سبعة عشر شهراً ، ثم عزله من بعد .

ورأيت فى بعض الحكايات : أنه إنما عزله لأنه حفظت عليه فى تلك المدة سبعون قضية قضى بها ، فاستكثرت منه .
قال محمد :

وهى ، فيما أرى ، حكاية مدخولة ، لأنه لا يذكر تنفيذ الأقضية وكثرتها مع حضور الحق ، وانكشف الصدق .
قال محمد :

فسكرت فى مخرج هذه الحكاية فاستربتها ، وذلك أن صاحبها الذى حكاها وكتب بها إلى ولى العهد — أبقاه الله — هو فلان بن فلان ، حكاها عن أبيه ، وأراه صادقاً على أبيه ، ولا تخلو هذه الحكاية من أن تكون صحيحة على أهل هذا الزمان الذى كان فيه معاذ قاضياً ، أو تكون غير صحيحة .

فإن كانت صحيحة فإنما طمس نور هذه الفضيلة ، وحجدها

أهل التفقه من أهل ذلك الزمان ، ولا سيما الذين كانوا يتساورون^(١) من تعجيل الأحكام وسرعة التنفيذ ، مما يفرّبهم من أهل الخصومات ، وينيلهم ما يحبون ، وكلما طالّت الخصومات كان أنفع لهم ، وأهل العلم بهم يعلمون ما أقول .

ولإن كانت غير صحيحة ، فهي من تشنيع فلان لـتشي^(٢) القضاة عن سرعة التنفيذ للذي أراغه^(٣) وكناه ، من المعنى الذي ذكرناه آنفاً ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وكان معاذ ، فيما سمعت ، حسن السيرة ، لين العريكة ، خالق الناس بغير خلق أبيه ، وأحسن التخلص منهم . وسمعت من يحكي أنه كانت معه صحة ، وسلامة قلب ، فكان لا يظن بأحد شراً .

وكان قد ولي أحباسه^(٤) بقرطبة رجلاً ظن به خيراً ، خالف ظنه فيه ، فقال في ذلك الغرّال :

يقول لى القاضى معاذ^٥ مشاوراً
وولى امرأ فيما يرى من ذوى النضل
فديتك ماذا تحسب المرءَ صانعاً
فقلت وماذا يصنع الدُّبُّ بالنَّحل

(١) مقروء ريبيرا : « يشاورون » وعليه المطبوعتان المصريتان .
ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . والتساور : التواشب .
(٢) مقروء ريبيرا : « لتشيبت » وعليه المطبوعتان المصريتان . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . وتناه عن الأمر : صرفه عنه .
(٣) أراغه : أرادته وطلبه .
(٤) الأحباس : ما يقفه الحابس فلا يباع ولا يورث ، وإنما تملك غلته ومنفعته .

يدقق خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذباب ما كان من فضل

قال محمد :

كان معاذ قاضياً بقرطبة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وفي هذا التاريخ كان على سوق قرطبة إبراهيم بن حسين بن خالد ، وفيه فسخ معاذ بن عثمان حكم إبراهيم عن بني قتيبة في الحوانيت التي هدمها عليهم إبراهيم ، وكان إبراهيم بن حسين بن خالد صاحب نظر ، خالف فقهاء زمانه : يحيى ، وعبد الملك ، وزونان ، فتظاهروا عليه وأبانوا خطاه ، وجاز قولهم عليه .

ذكر القاضى محمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

ثم ولى الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رحمه الله — قضاء الجماعة
محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناضرة بن لوذان بن حبس بن
حاطب بن حارثة بن راشد بن زيد حارثة بن جزيلة^(١) بن لخم
ابن عدى .

قال محمد :

ومحمد بن زياد هو والد القاضى الحبيب بن زياد .
فكان حسن السيرة ، محمود الولاية ، وكان من أهل الفضل والخير ،
وكان قد سمع من معاوية بن صالح الحضرمي سماعاً كثيراً .
قال محمد : وقال لى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى :
لما احتضر يحيى بن يحيى أسند وصيته فى أداء دين ، وبيع مال ،
إلى محمد بن زياد ، وكان القاضى يومئذ ، فكان وصيه فى ذلك الوقت .

قال محمد : أخبرنى بعض رواة الأخبار ، قال .
لما وضعت جنازة يحيى بن يحيى ، قال عبيد الله بن يحيى ، وهو

(١) مقروء ريبيرا : « جديلة » وعليه المطبوعتان المصريتان . صوابه
ما أثبتنا . (انظر جمهرة أنساب العرب : ٤٢٢) .

يومئذ ابن سبع عشرة سنة ، للقاضي محمد بن زياد ، وتقدم إسحاق بن يحيى للصلاة على أبيه ، فكبر محمد بن زياد وكبر إسحاق ، حتى بلغوا إلى السلام ، فسلم محمد بن زياد ، وسلم إسحاق بن يحيى . هكذا كانت الصلاة على يحيى بن يحيى ، فلما انقضت الصلاة نظر محمد بن زياد إلى إسحاق بن يحيى ، ثم قال له : ومن أقدمك على هذا ؟ فقال له إسحاق : ومن قدمك أنت على أبي ؟ فقال له حكم الصلاة عليه إلىّ دونك ، ومع هذا فإن أخاك قدمني ، وهو أرشد منك ، أما والله لولا حفظ هذا الميت لفعلت بك وفعلت .

قيل : فكان ثناء محمد بن زياد على عبيد الله بن يحيى ذلك اليوم أول سرّدد عبيد الله ، ثم كان له على إكرام ومبرة .
قال محمد :

حكيت هذه القصة لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فلم يعرفها ، وقال : كان عبيد الله من أشد الناس إعظاماً لأخيه إسحاق ، وكان يأخذ بركابه إذا أراد أن يركب ، فما أدري إن كان فعل مثل هذا في أبيه .

قال محمد : ذكر أحمد بن زياد ، عن ابن وضاح ، قال :

شهد شاهد عند محمد بن زياد بشهادة ، فقال غراب لمحمد بن زياد : ومن شهد عليّ ؟ لو كان الشاهد مثل الليث بن سعد ، فقال له محمد بن زياد : وما ذكر الليث بن سعد هاهنا ؟ فأمر به ، وذلك في المسجد وهو والى الشرطة ، فقمع^(١) أسواطاً

قال : فكان ذلك من فعله صواباً .

قال ابن وضاح :

(١) قمع : ضرب .

وابن القاسم يرى أن يعزر^(١) السلطان الرجل في المسجد بالسوط ،
وسخنون يأبى ذلك .

قال :

ولما ولي سخنون بن سعيد القضاء ، حمل الضرب على الذى
لا يريد غرم ماعليه ، وهو مليء ، بعد أن حبسه ، ف قيل له : من أين
أخذت الضرب ؟ وإنما كنا نحبس حتى يغرم . قال : من حديث
النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : مطل الغنى ظلم ، فإذا كان ظالماً ،
كما سماه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أدبته على ظلمه .

قال محمد بن وضاح : وقعت شهادات على بعض آل السلطان
عند القاضى محمد بن زياد ، فأرسل القاضى إلى المشهود عليه رجلين ،
يقولان له : إن فلانا وفلاناً شهدا عليك بكذا وكذا ، فإن كان عندك
مدفع فهاه ، ولم يمكنه من نسخة الكتاب ، فكتب بذلك المشهود عليه
إلى الأمير — رحمه الله — فأوصى الأمير إلى القاضى فى ذلك ، فقال :
محمد بن زياد : إننى خفت أن يفرضها على الزينغ والفجور فيحمل له
الحجج حتى تعطل الشهادات ، وقد عرفته بهذا ظاهراً .

قال محمد : ذكر لى بعض أهل العلم ، قال :

كان محمد بن زياد يوماً يمشى مع محمد بن عيسى الأعشى ، حتى
لقيا رجلاً يتهايد سكرأ ، فأمر القاضى محمد بن زياد بأخذه ليقيم عليه
الحد ، فأخذه أعوازه ، ثم مشوا^(٢) قليلاً ، فأتوا^(٣) إلى موضع ضيق ،

(١) يعزر : يعاقب بما هو دون الحد الشرعى .

(٢) الاصول : « مشى » .

(٣) الاصول : « فأتى » .

فتقدم القاضى وتأخر الأعشى ، ففى تأخره عن القاضى التفت إلى الذى كان يمسك السكران ، فقال : يقول لك القاضى : أطلقه ، فأطلقتهم فترقا جميعا .

ونزل القاضى ، ودعا بالسكران ، فقيل له : أمرنا عنك أبو عبد الله الفقيه أن نطلقه ، فقال : وفعل ؟ قيل^(١) له : نعم ، قال : أحسن .

قال محمد :

وما أتى عن القضاة فى هذا المعنى خاصة ، من الإغضاء عن السكرانى ، والتغافل لهم ، والرقعة عليهم ، فلا أعرف لذلك وجهاً من الوجوه يتسع لهم فيه القول ، ويقوم لهم به العذر ، إلا وجهاً واحداً ، وهو أن حدّ السكر من بين الحدود كلها لم ينص عليه^(٢) الكتاب المنزل ، ولا أتى فيه حديث ثابت عن الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما ثبت أن النبى . صلى الله عليه وسلم ، أتى برجل قد شرب ، فأمر أصحابه أن يضربوه على معصيته ، فضرب بالنعال وبأطراف الأردية ، ومات النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يحدّ فى ضرب السكران حداً يلحق بسائر الحدود ، فلما نظر أبو بكر - رضى الله عنه - فى ذلك بعد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، واستشار أصحابه ، قال له على بن أبى طالب ، رضى الله عنه : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى اقترى ، ومن اقترى ، وجب عليه الحد ، أرى أن يضرب الشارب ثمانين ، فقبل ذلك منه الصحابة .

فذكر أهل الحديث أن أبا بكر عند موته ، قال : ما شئ فى نفسى

(١) الأصول : « قال » .

(٢) الأصول : « لم ينص » وما أثبتنا أنسب .

منه شيء غير حد الخمر ، فإنه شيء لم يفعله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو شيء رأيناه من بعده .
قال محمد :

كان السبب في عزل^(١) محمد بن زياد عن القضاء ما كان من أمر ابن أخى عجب ، وذلك أنه شهد عليه بلفظ نطق به عابثا^(٢) في يوم غيث ، فأمر الأمير عبد الرحمن — رحمه الله — بحبسه ، فأبرمته عجب في إطلاقه ، وكانت مدلة^(٣) عليه ، لمكانها من أبيه ، فقال لها : نكاشف^(٤) أهل العلم عما يجب عليه في لفظه ، ثم يكون الفصل في أمره . فأمر الأمير — رحمه الله — محمد بن السليم ، وهو يومئذ والى المدينة ، أن يحضر القاضي محمد بن زياد ، وفقهاء البلد ، لجمعهم في مجلس النشمة^(٥) فحضر حينئذ عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، وعبد الأعلى ابن وهب ، وأبو زيد بن إبراهيم ، وأبان بن عيسى بن دينار ، فشاورهم في أمره ، وأخبرهم بما كان من لفظه ، فتوقف عن الإشارة بسفك دمه القاضي محمد بن زياد ، وأبو زيد ، وعبد الأعلى ، وأبان ، وأشار بقتله عبد الملك بن حبيب ، وأصبع بن خليل ، فأمرهم محمد بن السليم أن ينصوا^(٥) فتياهم على وجهها في صك ، ليرفعها إلى الأمير — رحمه الله — ففعلوا ، فلما تصفح الأمير قولهم استحسّن قول عبد الملك ، وأصبع ، ورأى ما رأيا من قتله ، وأمر حسان خرج عليهم ، فقال لصاحب المدينة : قد فهم الأمير — أكرمه الله — ما أفتى به القوم

(١) الأصول : « عزلة » .

(٢) الأصول : « متعيثا » وهى غير واردة .

(٣) الأصول : « تكشف » .

(٤) كذا . والنشمة ، واحدة النشم ، وهو شجر من الفصيلة

الزيزفونية . ولعله يريد مكانا فيه هذا الشجر .

(٥) نص الفتيا : رفعها وأسندها إلى من رويت عنه .

في أمر هذا الفاسق ، وهو يقول للقاضي : اذهب فقد عزلناك .
وأما أنت — يعنى : عبد الأعلى — فكان يحيى بن يحيى يشهد عليك
بالزندقه ، ومن كانت هذه حاله فخرى ألا نسمع فتياه ، وأما أنت
يا أبان بن عيسى ، فإننا أردنا أن نوليكَ القضاء بجيستان ، فرعمت أنك
لاتحسن القضاء ، فإن كنت صادقاً فما آن لك أن تتعلم الفتيا ، وإن
كنت كاذباً فالكاذب لا يكون أميناً .

وقال للآخر كلاماً أمسك عنه صاحب الجناية ، وأراه ذهب إلى
حفظ بعض ولده .

ثم قال حسان الفتى لصاحب المدينة : والامير — أكرمه الله —
يأمركَ أن تخرج الساعة مع هذين الشيخين : عبد الملك ، وأصبغ ،
وأمر لهما بأربعين غلاماً من الغلمان ينفذون نقماً في هذا
الفاسق مارأيا .

نخرج عبد الملك ، وهو يقول سبّ ربّ عبدناه إن لم نتصر له ،
إنّا لعبيد سوء .

ثم أخرج المحبوس ، فوقفا حتى رفع في خشبته ، وهو يقول
لعبد الملك : أبا مروان : اتق الله في دمي ، فإنني أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . وعبد الملك يقول : (الآن وقد عصيت قبل)^(١) ،
حتى صلب ، وانصرفا .
قال محمد :

ولم ينقم على محمد بن زياد في ولايته شيء من الأشياء ، فيما ذكر
أهل العلم ، غير دالة كانت تظهر من امرأته عليه ، على ما يفعله الأزواج

(١) يونس : ٩٠ .

بيعولتهن ، والناس إلى تقنى المعايير سراع ، فكان ذلك مما يغمص^(١) به عليه فى ذلك الوقت .

وكانت تلك المرأة تسمى : كفات .

قال أحمد بن أئمن : وأخبرنى أبى محمد بن عبد الملك بن أئمن ، قال : لما أفضت الخلافة إلى محمد — رحمه الله — كسّم فى إعادة محمد بن زياد إلى القضاء والصلاة ، وكان له صنعة قبل ولايته ، فأبى وقال : ترانى أنسيت ماكان الناس يشنعون به فى أمر كفات ، فصرفه إلى الصلاة وحدها .

قال محمد بن وضاح :

سمعت محمد بن زياد ، لماولى الصلاة المرة الثانية ، فى أيام محمد الأمير — رحمه الله — يقول للقومة^(٢) ، وقد دعاهم : إنما بلغتنى عنكم (أشياء)^(٣) ، فاتقوا الله واستقيموا وأعينونى على الحق ، لئن وجدت أحدا منكم قد خلط لأجلعنه نكالا .

ثم قال : انظروا إلى ، واجعلونى من بالسكم ، فإن رأيتمونى أخلط فأتّم فى سعة من التخليط ، وإن رأيتمونى أريد الحق فأعينونى ، ولا تجعلوا إلى أنفسكم سبيلا .

(١) الأصول : « يغمص » بالضاد المعجمة ، تصديق • ويغمص : يعساب •

(٢) القومة : الذين يقومون بأمر الناس من قبل السلطان ، ولعلها جمع قائم •

(٣) بمثل هذه الكلمة يتصل الكلام ، فمكانها كلمة أخرى استعصت قراءتها على القارىء •

ذكر القاضى سعيد بن سليمان الغافقى

قال محمد :

أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب ، كان أصله من مدينة غارق .
ولى قضاء ماردة وغيرها قبل ولايته قضاء قرطبة ، ثم ولاه الأمير
عبد الرحمن بن الحسكـم -- رضى الله عنهما -- قضاء الجماعة بقرطبة .

قال محمد :

وسليمان بن سعيد ، غير سليمان بن أسود ، قاضى الجماعة بقرطبة .
قال محمد : وكان الفقيه أبو عثمان العراقى يحكى عن أبى عبد الله
محمد بن وضاح ، فيما أخبرنى فرج بن سلمة ، وذكره أيضاً خالد بن
سعد ، قال :

ولى القضاء أربعة ، فاتصل العدل بهم فى آفاق الأرض : رُحيم بن
اليتيم بالشام ، والحارث بن مسكين بمصر ، وسجنون بن سعيد بالقيروان ،
وأبو خالد سعيد بن سليمان بقرطبة .

قال محمد بن حارث :

فأما رُحيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم فكان من أهل دمشق ،
وولاه قضاء الشام جعفر المتوكل . وكانت وفاة رُحيم بن عبد الرحمن ،
المعروف بابن اليتيم ، بالرملة ، سنة خمس وأربعين ومائتين . ولم أعلم
بتاريخ ولايته القضاء متى كان .

وأما الحارث بن مسكين فإنه ولاه قضاء مصر جعفر المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، جاءته ولاية القضاء وهو بالإسكندرية ، ثم حمل إلى مصر ، فكان قاضياً إلى أن عزل يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين .

وأما سحنون بن سعيد التنوخي ، فإنه ولاه قضاء إفريقية محمد بن الأغلب التميمي سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفي سحنون قاضياً غير معزول يوم الثلاثاء لسبعة أيام مضت من رجب سنة أربعين ومائتين .
وأما سعيد بن سليمان ، فإنه ولاه قضاء الجماعة بقرطبة عبد الرحمن ابن الحكم — رحمه الله — فكان قاضيه حتى مات عبد الرحمن — رحمه الله — ثم أقره على القضاء محمد بن عبد الرحمن — رضى الله عنه — فقضى له نحو السنتين ، ثم مات بقرطبة قاضياً غير معزول .

قال محمد :

ولم أسمع بتاريخ ولايته القضاء متى كان ، غير أنه كان بلاشك بعد سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال خالد بن سعد : أخبرني بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن أحمد بن عبد الله بن أبي خالد :

أنه أدرك القاضي سعيد بن سليمان ورآه يقضى بين الناس ، وأنه لما أراد الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رحمه الله — أن يوليه القضاء بقرطبة أرسل فيه رسولا ، فوافقه وهو يقف على أزواج له يحرثن بفحص البلوط في ضيعته ، فقال له الرسول : تركب إلى قرطبة ، فإن الأمير ذهب إلى توليتك القضاء ، قال له : دعني حتى أبلغ إلى منزلي أتجهز بما أحتاج إليه ، فأبى الرسول أن يتركه ، وقال : كن هاهنا معي ، وأرسل إلى منزلك في دابتك وما تحتاج إليه من الزاد ، ففعل ،

فلما قدم قرطبة ولاة الأمير — رحمه الله — القضاء ، فجلس للحكم في المسجد ، وعليه جبة صوف بيضاء ، وفي رأسه أقروف^(١) أبيض ، وغفارة^(٢) بيضاء من ذلك الجنس ، فلما نظر الخصوم إليه احتقروه ، فجاءوا في مغيبه عن المسجد بقفزة مملوءة من قشر البلوط فوضعوها تحت الحصير الذي كان يصلي عليه ، فلما أتى القاضي بعد ذلك ، وقام على الحصير ، أحس تحته شيئاً يتكسر ، فلما فرغ من الصلاة أخذ يرفع الحصير ، فنظر إلى قشر البلوط ، فقليل له : إن بعض الخصوم فعلوا ذلك ، وصح عنده ما قيل له فيهم ، فلما أتوه من بعد ذلك قال لهم : يامعشر الخصوم ، غيرتموني بأنى بلوطى ، أنا أشهد على نفسى أنى بلوطى . عودته والله صليب لا تملوه^(٣) ، ثم حلف لهم يأثر كلامه هذا : ألا يتخاصموا^(٤) عنده سنة ، فمكاد أن يورثهم الفقر .

قال محمد : حدثنى فرج بن سلمة البلوى ، قال : حدثنا سعدون ابن ناصر بن قيس ، وكان شيخاً من أهل الحركة :

أن أباه كيان وكيلا لسعيد بن سليمان ، وأنه قدم فى بعض الأيام من فخص البلوط على القاضى سعيد بن سليمان ، فألقى بين يديه رجلا وزوجته .

قال ناصر بن قيس :

فلما دخلت على القاضى قام إلى مسلما ، ثم جلس ، فقال لمن

(١) كذا .

(٢) الغفارة ، بالكسر : خرقة يغطى بها الرأس ، ما قبل منه وما دبر ، غير وسطه .

(٣) الأصول : « لا تفلوا فيه » والفعل متعد بنفسه ، يقال : فلأ ، اذا كسره .

(٤) الأصول : « يخاصموا » ولا يستقيم بها المعنى .

حوله : هذا مقيتى ومقيت عيالى بحول الله ، ثم سألتنى عن رفعه فى ذلك العام ، فقلت له : رفع القاضى بسبعة أمداد^(١) من شعير وثلاثة أمداد من قمح . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم عاد إلى التسكلم بين الرجل وزوجته اللذين ألفيتهما بين يديه ، فقال الرجل : يا قاضى ، تأمرها بالنهوض معى إلى منزلى . فلصقت بالأرض المرأة وتأتأت ألا تمشى معه فى الأرض شبرا ، ثم قالت للقاضى : بالله الذى لا إله هو ، لئن صرفتنى إليه لأقتلن نفسى ، وتكون المسئول عن دى .

قال ناصر :

فلما سمع القاضى كلام المرأة عطف على رجل إلى جنبه ، حسبته كان فقيها ، فقال له : ماترى ؟ قال له : إن كان القاضى ، وفقه الله ، لم يظهر له أن هذا الرجل يضر بزوجه فليجبرها على المسير معه ، أحبت أو كرهت ، إلا أن يشاء الرجل أن يفارقها بفدية أو غيرها ، فإن أبى إلا الفدية فذلك حلال له ، ويخلعها^(٢) ولو من قرطها ، إن لم يسكن له منه ضرر إليها ، فقال الزوج : والله ما لها مال ، قال له : فلو ذهبت إلى الاقتداء منك أكنت تفارقها ؟ فقال له : كنت أسمح .

قال ناصر : فعاد على القاضى ، فقال ، هل جلبت من الطعام فى جيشتك هذه شيئا ؟ فقلت له : بلى . جلبت مدا من قمح ، ومدين من شعير .

قال ناصر : فرأيتة يقلب أصابعه ، ثم قال : قوت تسعة أشهر كثير . ثم قال لزوج المرأة : خذ ما بقى من رفعى فى ضيعتى وأرحها

(١) أمداد : جمع مد ، بالضم ، وهو مكىال قديم .

(٢) يخلعها : يطلقها بفدية من مالها .

من نفسك ، وأرح نفسك منها ، فقال الزوج : كنت أفعل ، لو كان الطعام بقرطبة ، فقال له القاضى : أحسبك مغتما ، ثم وضع يديه فى الأرض وقام ودخل الدار ، وأخرج شقة بيضاء من صوف ، فدفعها إليه ، وقال للزوج : هذه شقة عملت فى بيتى لشتوتى ، وأنا ، إن شاء الله ، غنى عنها ، نغذيها واستغن بشمها فى جلب الطعام إلى نفسك ، فأخذها وبارأ زوجته ، وأمرنى بدفع الطعام إليه ، فأقبضته إياه .

قال خالد بن سعد : أخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن رجل فاضل من خيار المسلمين أدرك سعيد بن سليمان القاضى ، قال :

قضى سعيد بن سليمان يوماً فى المسجد إلى أن مضى صدر النهار ، ثم قام منصرفاً إلى داره ، فلما هم بدخول الدار ، فإذا بوالد نصر الفتى مقبلاً وأعوانه بين يديه ، وكان أعجمى اللسان ، فصاح على البعد بالعجمية : كلوا القاضى ، يثبت على أكلمه ، فقال القاضى : قولوا له بالعجمية : إن القاضى قد أدركته الملاة والسامة من طول الجلوس للقضاء ، فإذا جلس بالعشى فى المسجد للنظر بين الناس تعود إليه لينظر فى حاجتك ، إن شاء الله ، ثم دخل القاضى داره ولم يقف عليه .

قال خالد بن سعد :

وكان محمد بن عمر بن لبابة يصف سعيد بن سليمان القاضى بالخير والفضل ، ويثنى عليه ، ويصفه بالتواضع .

قال محمد بن عمر بن لبابة . أخبرنى محمد بن أحمد العتبى ، قال :

صلى بنا سعيد بن سليمان القاضى صلاة الجمعة فى المسجد الجامع بقرطبة

ثم خرجنا معه ، فشئى ولم يركب ، ومشينا معه حتى بلغ إلى الفرن الذى كان يطبخ فيه خبزہ ، فقال للفران : خبزتى مطبوخة ؟ فقال له : نعم . فقال له : هاتها ، فناولها له ، فأخذها فجعلها تحت عضده ، وأقبلنا نمشى حتى بلغنا الدار فدخل ، وانصرفنا عنه .

قال محمد : ذكر أهل بعض العلم ، قال :

كان سعيد بن سليمان القاضى يحكم فى المسجد الجامع ، ويأتى إليه ماشياً ، وأنه كان يوماً من الأيام مقبلاً ضحى ، فلما أتى باب اليهود التقى بسعيد بن حسان الفقيه ، وكان سعيد بن حسان متقبضاً عنه ، فقال له القاضى : أبا عثمان ، مالك تنقبض عنى فلا تأتينى ؟ فوالله ما أريد إلا الحق ، ولا أقصد غيره ، فقال له سعيد بن حسان : والله لو أعلم هذا ما قدمت عنك ، ولتجملت هذه الخريطة^(١) بين يديك .

ثم عاد سعيد إلى إتيانه .

قال محمد :

ولبت سعيد بن سليمان قاضياً إلى أن مات الأمير عبد الرحمن بن الحكم — رضى الله عنه — سنة ثمان وثمانين ومائتين .

فحكى محمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن أخبره ، ممن شهد البيعة للأمير محمد ، رحمه الله :

أنه لما دخل عليه القاضى سعيد بن سليمان ودنا منه ، قال له محمد الأمير : أيها القاضى ، امض على نظرك ، فتمادى قاضياً فى أول أيام الأمير محمد — رحمه الله — نحو عامين ، ثم مات غير معزول .

(١) الخريطة : وعاء من جلد لحفظ الأوراق ، يريد محافظة القاضى التى به أوراقه .

ولا أعلم له عقباً .

قال محمد :

وجدت في تسمية المستخرجة من ديوان القضاء : أنه تلا سعيد بن سليمان في القضاء محمد بن سعيد ، فلا أدري إن كان محمد بن سعيد بن سليمان ، أو غيره ، ولم أجد له خبراً ، ولا سمعت له عند من أدركت من العلماء ذكراً ، حاشى اسمه ، فإنه موضوع مع جملة أسماء قضاة الجماعة في التسمية المستخرجة من الديوان .

ذكر القاضى أحمد بن زياد اللخمي

قال محمد :

أحمد بن زياد بن عبد الرحمن ، أخو محمد بن زياد ، المتقدم ذكره من قبل ، وقع عليه اختيار الأمير محمد — رحمه الله — فاستقدمه من شذونة ، وولاه قضاء الجماعة ، فسار بخير سيرة وأجملها ، وكان رجلاً صالحاً ، صحيح المذهب ، حسن السيرة .

ويقال : إنه كانت فيه عجرفة^(١) مع حسن حاله^(٢) ، واستقامة حاله .

قال محمد : قال لى بعض رواة الأخبار :

كان أحمد بن زياد شديد التهيب في قضائه ، لا يخاطب في شيء من أمر الخصوم إلا في مجلس نظره ، ولا يأذن لأحد بلقائه في طريق في مواكبه^(٣) ، ولا أن ينصرف معه ، ومن ألح فيما لا ينبغي من ذلك أمر بحبسه .

وذكر أنه لقيه محمد بن يوسف عند باب القنطرة يوماً من الأيام ، وقد أمر أحمد بن زياد بحبس رجل (أعرج)^(٤) اعترضه بكلام لا يصلح له أن يسكلمه به ، وكان الأعرج ضيق الخلق ، شديد الحرج ، فقال له حينئذ :

(١) العجرفة : العجرفة ، وهى الجفوة فى الكلام .

(٢) كذا ، ولعلها : « حسن سيرة » أسوة بما سيجىء بعد قليل .

(٣) المواكبة : المبادرة .

(٤) تكلمة يستقيم بها الكلام .

هيمية الجبارين ، ومذهب المتكبرين ، لا يكلم على الطريق ، فأمر أحمد ابن زياد بحبس الأعرج ، واتصل الخبر بأهل الجامع لقرب الموضع ، وكان في تلك الساعة في الجامع صاحب الشرطة محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم ، فخرج إلى أحمد بن زياد ، فعاب عليه ، وكسر رأيه ، فانصرف القاضي عن رأيه ، وأمر بترك محمد بن يوسف .

قال محمد :

وكان أحمد بن زياد قاضياً تسعة أعوام وأشهرآ ، إلى أن أحدث بعض أولاده بشذونه حدثاً ، فاتصل ذلك بالأمير محمد — رحمه الله — فوجه لامتحان ذلك ولدأ لمحمد بن موسى الوزير ، يسمى بموسى ، وكان لقناً ذكياً ، من أهل النظر والحركة ، فقدم بتصحيح ذلك الحديث ، فدارت على القاضي فيه غضاضة ، ونالته منه ذلة .

قال محمد : أخبرني أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة :

أن هاشم بن عبد العزيز أراد القاضي أحمد بن زياد على أن يبيع داراً كانت بالمدينة للأيتام من بعض أولاد الأمير محمد — رحمه الله — فأبى وبلغ ، وقال : لا أبيعها ، وكان كاتبه يومئذ عمرو بن عبد الله ، فعمد لنفسه في القضاء مع هاشم بن عبد العزيز ، ثم زين لأحمد بن زياد أن يكتب إلى الأمير يستعفيه عن القضاء ، فأطاعه أحمد بن زياد وكتب بذلك ، فلما خرج الكتاب من حكمه دخل عليه من خاصته رجل ، فقال له : أنت قصير ، وأنا قصير ، فاحذر أن يغلبك ويغلبني كتابك عمرو ، فما الذي أشار به عليك ؟ قال : بأن أستعفى وأكتب بذلك إلى الأمير ، وقد فعلت ، قال : أنت والله معزول .

قال : خفي ذلك الرجل ، قال :

فأبرحت من بين يديه، حتى أتى صاحب الرسائل ، فقال له : يقول
لك الأمير - أصلح الله - : تبرأ بالديوان إلى قاضينا عمرو بن عبد الله .

وحكى بعض أهل العلم ، قال :

لما نالت أحمد بن زياد الكسرة ، وأدركته الغضاضة فيما أحدث
ولده بشذوثة ، شاور كتابه عمرو بن عبد الله في أمر نفسه ، وما يحمل
عليه في السبب الذي دار عليه ، فقال له عمرو : أرى أن تكتب إلى
الأمير تستعفيه ، فإن الملوك من شأنهم إذ استعفوا أن يلجوا ، فيكون
إقراره لك بعد الاستعفاء ولاية مجددة ، فأصغى أحمد بن زياد إلى
ذلك ، وكتب بطاقة وجرها عن رأيه ، وكان على أحباس أحمد بن
زياد ، أى ذلك الوقت ، رجل من أكياس الناس ودهاتهم ، يعرف بزيد
الغافق ، فدخل زيد على أحمد بن زياد ، وعمرو بن عبد الله خارج عنه ،
وقد أحكم البطاقة ، فلما دخل عليه زيد ، قال له : أيها القاضى ، إن هذا
الخارج عنك - يعنى عمراً - قصير وأنا قصير ، وليس فينا خير ، فقال
له زيد : وإنه خدعك ، فوالله لئن رفعت إلى الأمير تستعفيه ليغتنمها
منك^(١) بسبب ما دار عليك . فعصاه القاضى ، وأمضى البطاقة على وجهها ،
فغزله الأمير ، رحمه الله .

فسكان محمد بن أيمن يحكى عن زيد ، قال :

بينما أنا في السوق إذ ضرب علىّ شرطى ، فقال : أجب القاضى ،
فقلت : أى قاض ؟ فقال : عمرو بن عبد الله ، فأتيته فوجدته في
الجامع قاعداً .

(١) الأصول : « منها » ولا يستقيم بها المعنى .

وكان زيد يحكي قصة طويلة عرضت له مع عمرو في ذلك :
قال خالد بن سعد ، أخبرني بعض أصحابنا ، قال : أخبرني يحيى
ابن زكريا ، قال :

لما ولي عمرو بن عبد الله القضاء أبى أن يقبض الديوان إلا من
أحمد بن زياد ، فبعث فيه عمرو ، وعزم عليه أن يأتيه بالديوان بنفسه ،
لا يسكل ذلك إلى أحد سواه ، وأتاه به إلى الجامع ، فدفعه إليه ، فلما قدم
أحمد أخذ بعضده ثم قال له : يا عمرو ، لقد فتحت على القضاء باباً
لا يخطئك شره .^١

ذكر القاضي عمرو بن عبد الله بن لبث القبعة

قال محمد :

هو : مولى ابنة عبد الرحمن بن معاوية .

وهو : عمرو بن عبد الله ، كان مولى ، وهو أول من ولى قضاء الجماعة للخلفاء من الموالى ، فشق ذلك على العرب . . . (١) وتكلموا فيه ، فبلغ ذلك الأمير محمداً — رحمه الله — فقال : وجدت فيه ما لم أجد فيهم ، فقال العرب : أما القضاء فإننا لا نعترض فيه ، لأنه من سلطانه ، وأما الصلاة فإننا لا نصلى وراءه ، فولى الأمير — رحمه الله — الصلاة النخري عبد الله بن الفرج .

وكان عمرو بن عبد الله صنيعة للأمير محمد — رحمه الله — من قبل أن يلى الخلافة ، وكان عارفاً بفضله وعقله وأدبه ، فقدمه على تجربة ، وولاه عن خبرة ، وقلده قضاء الجماعة سنة خمسين ومائتين .

قال محمد :

ومن قبل أن يكتب عمرو بن عبد الله لأحمد بن زياد القاضي كان قاضياً على كورة إستجه (٢) .

فأخبرنى من أثق به ، قال :

(١) مكان هذه النقط كلمة استعصت على القارىء .
(٢) استجة ، مر الكلام على ضبطها . (انظر: فهرست هذا الكتاب)

أتاه عيسى بن فطيس متظلماً من ابن عائشة القرشي ، فقال وشكا وأكثر ، فسكت عنه عمرو بن عبد الله ولم يجبه بحرف ، واستمر ابن فطيس في الشكوى ، فلما بلغ عمرو إلى دار سكناه دخل من الباب وحول وجهه إلى ابن فطيس ، وألقى إليه كلاماً فصلاً ، قليل اللفظ ، كثير المعاني ، عجيب الحكم ، قال له : الغالب في القرية هو الغالب عندي ، فلقنها عنه ابن فطيس ، فجمع عبيده ، ومن لا فـ^(١) به من سلطانه ، على خصمه فغلبه ، ثم اجتمعاً عند القاضي من بعد ، فأنكر ابن فطيس جميع ما ادعى به عليه خصمه ، وانصرف غير محكوم عليه ، وكلف ابن عائشة البيعة على دعواه ، فغاب ابن فطيس في الظاهر كما غلب في الباطن .

قال محمد :

وجملة القول في وصف عمرو بن عبد الله : أنه كان جميل الرأي ، حسن السميت ، طويل الصمت ، قليل الحركات ، إذا نطق كأنما ينطق من صدع صخرة ، مع الهيبة الشديدة ، والمروءة الظاهرة ، لا ينظر إلا للحأ ، ولا ينطق إلا تبسماً ، حكى في ولايته الأولى محمد بن بشير ، في صحة الأمور ، وشدة النقاوة ، وحسن السيرة ، وإيثار العدل . وكان إذا قعد لا يتقرب منه خصم ، ولا يدنو منه أحد ، وكذلك كان إذا ركب لا يصحبه صاحب ، ولا يصير إلى جانبه راكب ، مع قوة الشكيمه^(٢) ، والصلابة الشديدة ، والتنفيذ الوشيك ، وقلة المداواة لمن لصق بالخليفة من وجوه خاصته ، وعيون رجاله .

أخبرني بعض رواة الأخبار ، قال :

حكم عمرو بن عبد الله على هاشم بن عبد العزيز في مجشر^(٣) ، كان في

(١) الأصول : « لا فـ »

(٢) المطبوعتان المصريتان : « السكينة » .

(٣) مجشر ، كنبر : مرعى للدواب .

يده بجانب جيان ، بعلمه ، بلايينة ولا إعدار ، وسجل ، وأشهد ونفذ .
وذكر أهل العلم ، قال : حدثني بعض شيوخ مسجد أبي عثمان ،
قال :

التقى عمرو بن عبد الله بهاشم بن عبد العزيز ، فلم يزد القاضي على أن
سلم على هاشم ، فلوى لم يثن معه عنانا ، ولا وقف عليه فواقا^(١) .
قال خالد بن سعد :

كان محمد بن مسور يذكر أنه توجه ذات يوم إلى القاضي عمرو بن
عبد الله ، وذلك قبل الظهر ، قال : فوجدت الناس ينتظرون خروجه
إلى المسجد ، فخرج وبين يديه رجل يحمل خريطته بكتب ، وشيخ
يمشي إلى جنبه ، فإذا هم رجل أن يدنو من القاضي ليكلمه في مسيره
إلى المسجد دفعه عنه ، وقال : اذهب حتى يجلس القاضي في مجلس
القضاء .

قال محمد : وذكر بعض أهل العلم ، قال :

مات ابن عمرو بن عبد الله فمشت قريش في جنازته ، في حفل لم
يشهد أحد أخف منه منظراً ، ولا أكثر عدداً .

قال محمد :

وكان عمرو بن عبد الله حليماً وقوراً ، ضابطاً لنفسه عند ساعه الغضب ،
ومعانية المكروه .

حكى أحمد بن محمد بن عبد الملك في كتابه ، قال :

(١) الفواق ، بفتحتين : الوقت بين الحلبتين ، يريد وقتاً قصيراً

كان عمرو بن عبد الله يلقب بالقبة^(١)، وذلك أنه كان دحاحاً قصيراً ، يسكاد يخفى إذا قعد .

وكان إذا قعد مقعد القضاء أمر من كانت له عنده خصومة أن يكتب اسمه في رقعة ، ثم يجمع الرقاع ويخلطها بين يديه ، ويدعو بأصحابها : الأول فالأول، على ما يخرج إلى يده من الرقاع ، فأتى رجل إلى مؤمن بن سعيد الشاعر ، وكان كثيراً ما يلزم المسجد الذي كان يجلس فيه عمرو بن عبد الله ، لقرب جواره منه ، فسأله أن يوقع له اسمه في رقعة ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : عقبة ، فكتب له مؤمن بن سعيد رقعة ، فأخذها الرجل ففذفها بين الرقاع ، فلما خرجت إلى يد القاضى شعر^(٢) به ، وجعل يثرخها حتى انقضت الرقاع ، فقال القاضى ، لما خف الناس عنه : من عقبة ؟ فتقدم إليه الرجل ، فقال له : من كتب اسمك ؟ فوصف له صفة مؤمن ، فقال له : إياك أن تقعد إليه ثانية .

قال لى عثمان بن محمد : أخبرنى أبى ، قال :

شهدت مجلس عمرو بن عبد الله يوماً من الأيام فى المسجد المجاور لداره ، فرأيت جالساً يحكم بين الناس ، وعليه ثوب ، وهو جالس فى ركن المسجد ، مع من جلس إليه من أهل الحوامج والخصومات ، وفى الركن الثانى الذى يقابله مؤمن بن سعيد ، قد جلس مع من جلس إليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الأدب ، قال : فتلاحى حدثان من جلاس مؤمن فى شىء ، فرفع أحدهما يده بخف فضرب صاحبه

(١) القبة ، بضم ففتح : طوير أصغر من العصفور .

(٢) الأصول : « شعر له » . وشعر له : قال له شعراً ، وما أثبتناه

يتفق والسياق ، وشعر به : أحس .

فأصابه ، ثم سقط الخف بعد الضربة في مجلس القاضي ، وظن من حضر أنه ستكون منه صولة ، فإزاد أن قال : لقد آذانا هؤلاء الأحداث .
قال : فرأيت الأحداث يتسللون لوإذا فرقا من القاضي ، وحشمة^(١) مما أتى من جهتهم .
قال :

ثم لم أبرح من المجلس حتى قام عمرو بن عبد الله متوجهاً إلى داره ، وقام الناس معه ، فلما بلغ باب الدار وقف ، وحول وجهه ، واتكأ على عصاه ، ثم قال : من كانت له حاجة فليتكلم فيها ، فتكلم الناس ، ثم قال عمرو : أين رسول الأمير أبي إسحاق ، حفظه الله ؟ فدنا رجل فقال : أنا هو . فقال : أبلغ الأمير ، أكرمه الله ، السلام ، يعني أخا الأمير ، رحهما الله ، وقل له : ظلمت وأساءت فيما فعلت ، عمدت إلى رجل قد أخذه حكماً فأوثقته وسترته ، تريد أن تمنع الحق من أن ينفذ عليه ، إن لم تخرجه وتبرزه ، ليؤدى ما عليه ، وبصير فيه إلى الواجب ، وإلا أرسلت إليك من يسمر^(٢) أبواب دارك ، ثم دخل إلى داره .

قال محمد : بعض أهل العلم يحكى ، قال :

اختصم رجلان إلى عمرو بن عبد الله ، فأظهر أحدهما وثيقة ، ثم صار إلى سترها ، فقال له عمرو : أظهر الوثيقة ، فأبى ، فعزم عليه عمرو واشتد ، فأخرجها الرجل ، وهو مغضب ، من كفه ، فرمى بها القاضي ، فأصاب وجهه ، فاصفر وجه عمرو حتى امتقع لونه^(٣) ، وظن

(١) الحشمة ، بالكسرة : الحياء .

(٢) يسمر : يدق بالمسمار .

(٣) امتقع لونه ، بالبناء المجهول : اصار . وفى الأصول : « انتقع » .

تحريف .

الناس أنه سيأمر به ، فأدركه حلمه وأعرض عن ذلك ، ونظر في الوثيقة ،
ثم قال للرجل : أليس هذا أحسن ؟

وكان سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، يكتب إلى عمرو بن
عبد الله :

من سليمان بن عمران ، قاضى القيروان ، إلى عمرو بن عبد الله .
فكان عمرو يسوغه ذلك ، ولا يذكره عليه ، ويكتب إليه
الجواب بتقديم ، سليمان بن عمران وتأخير نفسه .

فلما ولى سليمان بن أسود ، عامله سليمان بن عمران تلك المعاملة ،
فلم يحتملها سليمان بن أسود ، فجأوبه بتقديم نفسه ، فكان سليمان بن
عمران يقول : يا عجبا ، يعزل مثل عمرو بن عبد الله عن القضاء ويلى
مثل سليمان بن أسود ، ذلك الجلف الجافى !

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان مَرْمَن بن سعيد الشاعر يوماً جالساً عند عمرو بن عبد الله ، وكان
فى مَرْمَن من الهزل والنادر ما قد عرف وحفظ ، فقال : هذا أبو زيد
الحدري اتخذ غلماناً لخدمته ، فقال الناس : كيت وكيت ، فعرض بالشيخ ،
فاستغرب كل من حضر ضحكا ، فلم يزد عمرو على أن وضع يديه على
فمه وأشار إلى التبسُّم^(١) .

قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد بن إبراهيم ، قال :

أرسلنى أبى إبراهيم بن ليلى ذات يوم فى حاجة إلى عمرو بن
عبد الله القاضى ، وكان صديقاً لأبى ، فدخلت عليه فى المسجد ، وهو

(١) كذا

يقضى بين الناس ، إذ أتاه رجل ضعيف ، عليه أظفار ، فشكا إليه بعض عمال الأمير محمد — رحمه الله — وكان ذلك العامل عظيم الشأن والقدر ، مرشحاً في وقته للمدينة ، ثم صار إثر ذلك إلى ولاية المدينة ، فقال له : يا قاضى المسلمين ، إن فلانا غصبني داراً ، فقال له عمرو بن عبد الله القاضى : خذ فيه طابعا^(٢) ، فقال له الرجل الضعيف : مثلى يسير إلى مثله بطابع ، لست آمنه على نفسه ، فقال له القاضى : خذ فيه طابعا كما أمرك ، فأخذ الرجل طابعه ، ثم توجه إليه به .

قال وليد : فقلت في نفسى : لأفعلن حتى أعلم كيف تكون صلابته في أمره ، فلم تكن إلا ساعة إذ رجع الرجل الضعيف ، فقال له : يا قاضى . إنى عرضت عليه الطابع عن بعد ثم هربت إليك ، فقال له عمرو : اجلس ، سيقبل .

قال وليد بن إبراهيم : فلم أنشب أن أتى الرجل في ركب عظيم ، وبين يديه الفرسان والرجالة ، فثنى رجله ونزل ، ثم دخل المسجد ، فسلم على القاضى وعلى جميع جلسائه ، ثم تهادى كما هو ، وأسند ظهره إلى حائط المسجد ، فقال له القاضى عمرو بن عبد الله : قم هاهنا فاجلس بين يدى مع خصمك ، فقال له : أصلح الله القاضى ، إنما هو مسجد ، والمجالس فيه واحدة ، لا فضل لبعضها على بعض ، فقال له عمرو : قم هاهنا كما أمرتك واجلس بين يدى مع خصمك ، فلما رأى - زم القاضى في ذلك قام فجلس بين يديه ، وأشار القاضى إلى الرجل الضعيف أن يقعد مع صاحبه بين يديه ، فقال عمرو للرجل الضعيف : ما تقول ؟ فقال : أقول : غصبني داراً لى . فقال القاضى للبدعى عليه : ما تقول ؟ فقال :

(١) طابع : كتاب مختوم بخاتم القاضى .

أقول: إن لي عليه الأدب فيما نسب إلى من الغضب، فقال القاضى : لو قال ذلك لرجل صالح كان عليه الأدب ، كما ذكرت ، فأما من كان معروفاً بالغضب فلا . ثم قال لجماعة من الأعوان ، ممن كانوا^(١) بين يديه : امضوا معه ، وتوكلوا به ، فإن رد إلى الرجل داره وإلا فردوه إلى حتى أخطب الأمير — أصلحه الله — فى أمره ، وأصف له ظلمه وتطاوله .

خرج مع الأعوان ، فلم تكن إلا ساعة حتى انصرف الرجل الضعيف والأعوان ، فقال الرجل للقاضى : جزاك الله عنى خيراً ، قد صرف إلى دارى . فقال له القاضى : اذهب فى عافية .

قال محمد بن وليد :

لم يزل عمرو بن عبد الله فى ولايته الأولى عظيم القدر ، ظاهر الفضل ، معروف العدل ، تضرب به الأمثال ، ويهدد به الظالم ، لا يعدل به أحد فى جميل مذاهبه ، إلى أن أقيم^(٢) عنده على بقى بن خلد ، بتلك الأسباب الناجمة ، وتشاهد^(٣) عليه بياض البلد^(٤) ، وشيوخ المصر ، عازمين على سفك دمه ، وقطع أثره ، وشنعوا عند الأمير — رحمه الله — من ذلك شنعاً^(٥) عظم اهتمام الأمير به^(٦) ، فشاور الأمير فى ذلك هاشماً ، وقال : قد شهد شيوخ البلد ووجوهه على هذا الرجل بما شهدوا به ، فإن أردت أن أرد شهادتهم ، وأسقط مقاتلتهم ، صعب

(١) الأصول : « كان » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الأصول : « قيم » ولا يستقيم بها الكلام . وأقيم على : فوض .

(٣) كذا . يريد شهد ، وهى غير واردة .

(٤) بياض البلد ، يريد : المتميزين من أهل البلد .

(٥) شنع به شنعاً ، كفرح فرحاً : استنكره واستقبحه .

(٦) الأصول : « بها » .

ذلك على ، وإن أوقعت بالرجل على زهده وخيره ، فعلت عظيماً ،
فاترى ؟ قال له هاشم : أرى أن تعزل القاضى الذى قام هذا السبب
عنده ، فإنك إذا عزلته سكن القوم وانكسر حدهم ، وصعب عليهم
استئناف الخبر عند الوالى بعده .

فعزل الأمير محمد عمرو بن عبد الله لهذا السبب .

ذكر القاضي سليمان بن أسود الغافقي

قال محمد :

سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب ، من مدينة غافق ، ولي
كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة بقرطبة ،
وولي خالد بن سعيد هذا ، قضاء فخص البلوط .

قال محمد :

وبمدينة ماردة كان تزوج سليمان بن أسود أخت سليمان بن
سليمان بن هاشم المعافري .

ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن — رضى الله عنهما — قضاء
الجماعة بقرطبة ، إذ عزل عن القضاء عمرو بن عبد الله ، وكان السبب
الذى قدمه عند الأمير ، وأحله بقلبه محل الجلالة أمرين :

أحدهما: أن الأمير محمداً — رحمه الله — إذ كان بماردة ، فى حياة
الأمير عبد الرحمن — رضى الله عنه — تناول بعض أعوانه فانتزع
من رجل ابنته ، وكان سليمان بن أسود حينئذ قاضياً بماردة ، فليجأ
الرجل المظلوم إلى سليمان القاضي فاستغاثه ، فكتب إلى الأمير محمد
يعليه بالخبر ، فأبطأ عليه الجواب بما أحب منه من الإنصاف ، فركب
دابته ووقف بباب القصر بماردة ، وكتب إلى الأمير — رحمه الله —
هذه طريقى إلى أهلك إن لم تغير على أعوانك ما صنعوا ، فبلغه الأمير
محمد إلى ما أحب من الإنصاف .

فلما ولي محمد — رضى الله عنه — قيل لسليمان : اخرج الأرض
وادخل فيها ، فقد علمت ما قدمت إلى الأمير محمد ، إذ كان بماردة ،
فلم تر^(١) منه مكروها .

وكان حظيا عنده ، مقبلاً لديه ، وكان أحد الأربعة الداخلين على
الأمير محمد — رحمه الله — فيما يحتاج من إرشاد واستفتاء .

والثانية : أنه لما عزل سليمان عن قضاء ماردة ، وافى باب القصر
بقرطبة ، وكتب إلى الأمير محمد ، رحمه الله :

إن يبدى ما لا تجمع من أرزاقى ، وجب على صرفه إلى بيت المال ،
وهو مما حاسبت فيه نفسى من أيام الجمع وأوقات الأشغال ، والأحيان
التي وجب على فيها النظر ، فلم أنظر .

فخرج إليه الجواب من عند الأمير : هو لك صلة من عندنا .
فأبى أن يقبله حتى يقبض منه .

وأما القصة الأولى ، فشهرة مستفيضة عند العامة والخاصة .
وأما القصة الثانية فأخبرنى بها فرج بن سلامة البلوى ، عن محمد بن
عمر بن لبابة .
قال محمد :

وبلغنى أن سليمان بن أسود كان له حظ من علم الأدب ، وربما
صنع الأبيات من الشعر يخاطب بها الخلفاء والخاصة من الإخوان .
قال خالد بن سعد : أخبرنى وليد بن إبراهيم بن ليث ، قال :
أخبرنى سليمان بن [بنت]^(٢) سليمان بن أسود ، قال :

(١) الاصول : « فلم ير » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

حضرتُ ختنى^(١) سليمان بن أسود ، إذ ولى القضاء وعزل عمرو ابن عبد الله ، وكانا جميعا فى ذلك الحين مجتمعين فى الجامع ، فخرجا جميعا فى وقت واحد : الوالى والمعزول ، فلما أتيا باب العطارين ، وخرجا مع سليمان من المدينة ، افترقا ، فقال الناس كلهم مع سليمان بن أسود ، ومال عمرو بن عبد الله وحده إلى داره ، ليس معه أحد ، وكان من قبل ذلك بياغة^(٢) قاضيا .

قال سليمان^(٣) :

فهمت أن أميل مع عمرو بن عبد الله مما استعيت ، وعجبت من غدر الناس وقلة وفائهم ، فلم يمنعنى من ذلك إلا مخافة أن يعدو على ختنى سليمان بن أسود .

قال : وأخبرنى بعض أصحابنا من أهل العلم ، عن يحيى بن زكريا ، وكان من كبار أصحاب محمد بن وضاح ، قال :

حضر سليمان بن أسود صنيعا عند بعض الوزراء فى يوم جمعة ، فسأله الوزير أن يطعم وحده ، فاعتذر إليه بأنه صائم ، فدعاه بغالية ليغلفه بها ، فأبى ذلك^(٤) وقال : إن هذا يوم جمعة ، ولا بد من الاغتسال فيه ، فيصير هذا الطيب إلى الذهاب والتلف . فتوقف الوزير عما كان أمر به من ذلك ، فلما خرج سليمان بن أسود من عنده ، قال لبعض إخوانه : كرهت والله أن أكون خطيب المسلمين اليوم وواعظهم ، وعلى طيب فيه ما فيه .

قال محمد : أخبرنى غير واحد من أهل العلم ، قال :

(١) الستن ، محركة : كل من كان من قبل المرأة ، كأييها وأخيها .

(٢) بياغة : مدينة بالأندلس من كورة البيرة (معجم البلدان : ١ : ٤٧٤)

(٣) هو سليمان بن أسود .

(٤) الأصمولى : « من ذلك » ، والفعل يتعدى بنفسه .

كان سليمان بن أسود فيه ذكره^(١) وصلابة وتحامل على حاشية
السلطان ، وقلة مداراة لمن لا ذ^(٢) بالخليفة من وجوه رجاله ، وأكابر
وزرائه .

قال لي بعض رواة الأخبار ، قال هاشم بن عبد العزيز :
كتب القاضي سليمان بن أسود إلى الأمير كتاباً عرض فيه على
السيف ، وعزل أمية بن عيسى عن المدينة ، وحبس ابن أبي أيوب
القرشي في الحبس .

وكان المعنى في ذلك الكتاب أنه قال للأمير ، فيما خاطبه فيه : إن
ابن أبي أيوب خرج نهاراً بالسيف مشتهراً^(٣) ، فجرح به رجلاً وأخاف
آخرين ، وقد كانت لفعلته هذه نظائر كتبت فيها إلى صاحب المدينة ،
فلم يقمعه عن شره ، ولا أخذ فنه على يده ، ومن قبل ذلك ما كتبت
إليه في عبيد الله بن عبد العزيز ، إذ ظهرت دعارته^(٤) وشره ، فتهاون
بذلك حتى أحدث ما أحدث ، واضطر فيه الأمير إلى ما اضطر .

فذكر الأمير — رحمه الله — بقصة أخى هاشم ، وفيها من
الغضاضة والتوبيخ لهاشم ما فيها ، وشهد بالتقصير على أمية صاحب
المدينة ، وحكى فعل ابن أبي أيوب القرشي ، فأمر الأمير بحبسه .
قال محمد :

ذكر لي أن هاشم بن عبد العزيز كمايد سليمان بن أسود ورام

(١) الذكرة ، بكسر ففتح : الذكورة •

(٢) الأصول : « لاث » •

(٣) مشتهراً : شاهراً •

(٤) الأصول : « دعارته » بالذال المعجمة ، تصحيف ، والدعارة :

النسرة والسوء •

خديعته في تركة القومس ، ابن أنتنيان ، فلم ينفذ له عليه من ذلك ما أحب .

وذلك أن هاشم بن عبد العزيز كان محله من الأمير — رحمه الله — محلاً لطيفاً ، فكان الناهض بأعباء الخلافة ، والمتصرف في وجوه النظر ، والمستولى على أسباب التدبير ، لا تنفذ العقود إلا به ، ولا يحكم الأمير إلا على يده ، وكان لا يجد معارضا^(١) ، ولا يعرف لنفسه ملاحياً ، فلما نجم القومس ، ابن أنتنيان ، وظهر فضل أدبه ، وتولى الكتابة ، واضطلع بالأنثقال ، وخاطب ، وفيه ، وعارض في الأمور ، ودس^(٢) بالرفع^(٣) ، ولم يرض أن يكون قابلاً لغيره ، ولا محتذياً^(٤) لسواه . اشتغل به قلب هاشم ، ونفس^(٥) علمية مكآته ، ورد فكره إلى ضره ومطالبته ، فلما أحس بذلك القومس استشعر الحذر ، ونخلق بالحزم .

فبلغ من حذره وحزمه أن محمد بن يوسف بن مطروح كان له صديقاً ، وبه خاصاً ، فطرقة ليلاً ، نخرج إليه قومس ، نخاطبه من وراء الباب ، فقال له : افتح ، فقال : لست بالله أفعل ، ولكن قل حاجتك ، فقال له محمد بن يوسف : إنها من الحوامج التي لا تقال من وراء الباب . قال له القومس : فأخرها إلى الصباح .

فانصرف عنه مغموماً ، إذ أقامه ذلك المقام ، فلم ينم محمد بن

(١) الأصول : « معاوضا » تحريف .

(٢) دسس : دس .

(٣) بالرفع ، أي بما كان يرفعه إلى الأمير من أخبار .

(٤) الأصول : « مستحذيا » ولا يستقيم بها المعنى ، فلاستحذاء :

طلب العطاء .

(٥) الأصول : « ولبس » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

يوسف باقى ليلته ، فلما صلى الصبح غدا إليه ، فأعظمه القومس وأكرمه
وبجمله ، فقال له محمد بن يوسف : الآن ، تكرمنى ، ولإذ أتيتك
البارحة لم ترنى أهلاً أن تفتح بابك ؟ فقال له : اعذرنى ، فإنى رجل
مطلوب ، وأنت تعرف من يطلبنى ، وقد أخذت نفسى من الحزم
بما رأيت ، ورأيت أن أجعل تحفظى منك حجة فى التحفظ بمن هو
دونك ، فلا تلبنى . فذكر له حاجته .

فلما مات القومس ، ابن أثنين ، طالب هاشم ورثته بتركته^(١) ،
وأثار الشهادات من كل جانب ، وأقام محتسباً تقدم إلى القاضى سليمان بن
أسود ، فقال له : إن القومس ، ابن أثنين ، مات على النصرانية ، فماله
ليبت المال .

ورفع هاشم أيضاً بذلك إلى الأمير ، وقال له : أنت أحق بماله من
ورثته ، ولكن تأمر القاضى بالنظر فى ذلك .

فأمر الأمير محمد — رحمه الله — سليمان بن أسود ، بالنظر فيه ،
فوقعت عند سليمان شهادات عظيمة كثيرة من وجوه الناس ، وأعلام
العسول : أن قومساً مات على النصرانية ، ولم يتخلف عن الشهادة
بذلك من بياض الناس وفقهائهم إلا الأخص الأقل ، منهم : محمد بن
يوسف بن مطروح ، فإنه كان إذا قعد فى الجامع ، قال على رموس
الناس : من مثل القومس ، السجادة العباد ، حمامة هذا المسجد ، يقال
فيه : مات على النصرانية ؟

ثم ترجع^(٢) .

(١) الأصول : « وتركته » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) ترجع : قال : أنا لله وأنا إليه راجعون .

وتعجب النَّاسُ مَنْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَاتَّصَلَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ — رَحِمَهُ اللَّهُ — فَأَوْصَى إِلَى الْوُزَرَاءِ أَنْ يَبْعَثُوا فِي الْقَاضِي سُلَيْمَانَ بْنِ أَسُودٍ وَيَسْأَلُوهُ عَمَّا ثَبَتَ عِنْدَهُ عَلَى الْقَوْمِ بْنِ أَيْتَيْنَانَ ، فَخَضِرَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَسُودٍ ، فَقَالَ لَهُ الْوُزَرَاءُ : إِنَّ الْأَمِيرَ — أَبْقَاهُ اللَّهُ — أَمَرَ بِالْإِرْسَالِ فِيكَ ، وَأَنْ يَكْشِفَكَ^(١) عَمَّا أَقِيمَ^(٢) بِهِ عِنْدَكَ مِنْ أَمْرِ الْقَوْمِ ، فَأَخْرَجَ سُلَيْمَانُ طُومَارًا^(٣) مِنْ كَمِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا مَا شَهِدَ بِهِ عِنْدِي فِي أَمْرِهِ ، وَلَسْتُ يَرْسِلُ إِلَى الْأَمِيرِ فَيَتَصَفَّحُهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ فِيهِ بِمَا يَرَاهُ .

فَأَرَادَ هَاشِمٌ أَنْ يَعْتَرِضَهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا قَاضِي ، الطُّومَارُ كَبِيرٌ ، وَالشَّهَادَاتُ كَثِيرَةٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَعْرِفُهُمُ الْأَمِيرُ ، وَلَكِنْ اقْصِدْ إِلَى أَسْمَاءِ الشُّهُودِ الَّذِينَ قَبْلَتَهُمْ فَادْكُرْهُمْ وَادْكُرْ شَهَادَاتِهِمْ .

فَفَطَنَ سُلَيْمَانُ لِمَذْهَبِهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَسْتُ أَفْعَلُ ، وَلَا بَدَأُ أَنْ يَرَى الْأَمِيرُ الشَّهَادَاتِ عَلَى وَجْهِهَا .

فَأَرْسَلَ بِالطُّومَارِ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ ، فَلَمْ يَسْكُنْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى خَرَجَ الْفَتَى مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ ، فَقَالَ لِلْقَاضِي : يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ : دَعْنِي مِنَ الشَّهَادَاتِ وَطَوَّلْهَا ، وَأَخْبَرَنِي بِمَا ثَبَتَ عِنْدَكَ مِنْهَا ، فَقَالَ لِلْفَتَى : قُلْ لِلْأَمِيرِ — أَبْقَاهُ اللَّهُ — لَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ مِنَ الْمُسْكُورِ ، وَجَمِيعُ الشَّهَادَاتِ الْوَاقِعَةِ فِيهِ مَعْلُومَةٌ ، لَمْ يُرِدْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ هَاشِمٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا قَاضِي ! شَهِدَ عِنْدَكَ ابْنُ قَلْزَمٍ ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ! فَقَالَ : الَّذِي صَحَّ عِنْدِي قَدْ أَعْلَمْتُ بِهِ الْأَمِيرَ .

(١) الأصول : « يَكْشِفُكَ » وَيَبْدُو أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٢) الأصول : « أَقِيمَ » وَيَبْدُو أَنَّهَا مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتْنَا .

(٣) الطُّومَارُ : الصَّحِيفَةُ .

نُخرج التوقيعُ إلى القاضي : اقسم مال القومس بين ورثته . فقسمه
القاضي ، وكان مالا عظيماً .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : أخبرني محمد بن قاسم ، قال :
أخبرني عمُّ محمد بن بزيع القيم ، قال :

حضرت عند سليمان بن أسود ، وقد أتاه رجل فتظلم عنده من
صاحب المدينة ، فأمر سليمان شيخاً بين يديه من أعوانه ، وذلك
بالعشي ، فقال : تغدو فتكون في طريق صاحب المدينة ، عند موضع
جلوس الحُرَّاس^(١) ، فإذا أقبل للنزول فخذ بعنانه ، وتأمره أن
يرتفع إلى ، فإنه تظلم منه عندي ، فإن رجع طوعاً وإلا فاحمل العصا على
دابته حتى تردها إلى كرهاً .

قال : هم ابن بزيع :

فغدوتُ مع الشيخ المأمور ، فوقفْتُ معه في طريق صاحب المدينة
حتى أتى ، ومعه جمل^(٢) من الناس ، قد ركبوا معه ، فأخذ الرسول
بعنانه ، فذهب صاحبُ المدينة أن يأمر بزجره ، فقال له الرسول :
القاضي أرسلني فيك بسبب رجل تظلم عنده منك ، فارتفع إليه ، إن
شئت طوعاً وإن شئت كرهاً ، فقال صاحبُ المدينة : بل طوعاً .
فانصرف حتى أتى القاضي ونزل عليه ، فنظر^(٣) فيما بينه وبين الرجل
المدعى عليه بالحق ، ففضى بينهما بالذي ظهر له ، ثم انصرف عنه .

قال : أخبرني محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال :

(١) الأصول : « الخزان » . ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الجمل ، بضمّتين : الجماعة .

(٣) الأصول : « ونظر إليه » صوابه ما أثبتنا .

لما عزل يوسف بن بسيل عن شذونة ، قام عليه بعض أهلها في مال
ادّعاه في يديه ، فبحث فيه بطابع ، فلما وقف إليه بطابع القاضى زجره
وأمر بضربه ، فجمع سليمان الأعوان ثم بعثهم في يوسف ، فترصدوه ،
فلما خرج أتوا به على عنف ، فلما صار إليه وقفه موقف الحق
بالإقرار والإنكار ، فأبى الاستجابة^(١) إلى ذلك ، فأمر بامتهانه ، فلما
رأى العزيمة من القاضى تسكّم .

قال خالد بن سعد : وأخبرنى ثقة من أصحابنا ، عن رجل فاضل
قديم ، كان اسمه أحمد بن خالد ، وكان قد أدرك القاضى سليمان
ابن أسود :

أن رجلا طالب رجلا عند سليمان بن أسود ، وهو عبد الملك بن
العباس القرشى ، فوقفه سليمان موقف الإقرار والإنكار ، فأبى
ذلك^(٢) ، فعزم القاضى على امتهانه ، فقام الناس إلى عبد الملك من كل
جانب ، وقالوا : اتق الله على نفسك وشرفك ، وصنّ عرضك ، فإنك
إن لم تفعل نفذ فيك ما أمر به ، فكانت سبة عليك وعلى عقبك . فلما
رأى ذلك قال : اشتريت ، قال له القاضى : أثبت عندى أنك اشتريت .
قال محمد :

وهذا قول بعض أهل الفتيا في العمال المعروفين بالغصب
والتعدى .

قال محمد : أخبرنى من أثق به من أهل العلم ، قال : سمعت الوزير
أبا مروان عبد الملك بن جهّور يحكى ، قال :

(١) الأصول : « من الاجابة » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .

كانَ الفقيه ابن الملون يعنىَ بأسباب الوثائق ، وكان حسنَ الفطنة فيها ، لطيف الحيلة في أبوابها ، وشنع عليه أرباب الفجور والتدليس فيما يعقد منها ، فطلبه سليمان بن أسود ، تخافه ابن ملون على نفسه ، فتواري عنه ، وقصد الوزير محمد بن جمهور ، فكشفه وآواه .

قال : ثم أرسل الوزير محمد بن جمهور أخاه إلى القاضى يسأله فيه ، ويذكر له ما انعقد بينه وبين ابن الملون من الأذمة^(١) الموجبة للطلب إلى القاضى ، فكان جواب القاضى أن قال : لا بدَّ من تنفيذ الحقِّ عليه فيما بلغنى عنه ، وقد بلغنى أنه في دار الوزير يختف منى ، ولم يصحَّ ذلك عندى ، فتي صح أرسلت من يدخل داره ويخرجه منها . قال : فشغل بنفسه ، وكان لا يطمئن أن يبعده في داره حتى ينقل عنها إلى بعض مواضعه الخارجة عن الدار .

قال محمد : قال لى ابن عمر بن عبد العزيز :

أخبرنى شيخٌ من أهل إشبيلية ، يسمى ، هاشم بن رزين ، قال : كنت يوماً في موكب^(٢) محمد بن موسى الوزير ، وهو يومئذ أعظم وزراء الأمير محمد وأقربهم محلاً منه ، فلما حاذى الجامع خرج إليه ابن عمه زوج ابنته ، فقال له : القاضى جالسٌ في المسجد ، وهذا طابعه ، وهو يأمرُك بالنزول إليه ، فقال : سمعاً وطاعةً ، وثنى رجلاً ونزل ، فلما توسط باب المسجد بدر إليه من حضر من القومة^(٣) ، فقال لهم : تنقذوا إلى أحد الخُصوم ، واستقبل القبلة فركع ركعتين ، فلما سلَّم وجد

(١) الأذمة : جمع ذمام ، وهو العهد .

(٢) الأصول : « فى مركب » تحريف .

(٣) القومة : هم الذين يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع

قائم .

القَّوْمَةَ قد أَحْضَرُوهُ رجلاً^(١) من الخصوم ، فقال : أنا اشهدكم أني قد وكَّنته على مناظرة ابن عمي ، فُلجَّ ابنُ عمِّه في تقديمه إلى القاضي ، وأن يُوقِفَه موقِفَ الإقرار والإنكار ، فوبَّخَه الناس وقالوا : قد أنصفك إذ وكل من يناظرُك ، فانكسر ، وخرج الوزير فركب .

قال محمد : ذكر خالد بن سعد ، قال : كان محمد بنُ عمر بنِ لبابة يحدث ، قال :

كنتُ جالساً عند القاضي سليمان بن أسود ، فجاءه رجل يخاصم خَتَنَه ، زوج ابنته ، وكانت الابنةُ في ولاية الأب ، وكان الزوجُ ساكناً معها في دارها ، فطلب الأبُ من الزوج أن يُرَحِّلَ الابنةَ من دارها ، وأن يُكْرِيهَا فتنتفع بكرايتها لها^(٢) ، فقال سليمان بنُ أسود للزوج : ألك دار ؟ فقال لا : وصدَّقه أبو الجارية ، فقال القاضي لأبي الجارية : ولا كرامةَ لك أن تُتَخَرَّجَ ابنتك من دارها إلى دارٍ مع زوجها ، فتمشى بفراشها إلى عُنُقِهَا من دار إلى دار ، فتهتك سِتْرُهَا ، ليس هذا منُ حُسْنِ النَّظَرِ لها .

فكان ابنُ لبابة يُعْجِبُهُ ذلك من قضاء سليمان .

قال :

وكان محمد بن عمر بنِ لبابة يقول : حضرتُ سليمان بن أسود يَقْضِيْهَا ، على الاستئذان لها من قضاء سليمان .
ومن ذلك : أنَّ أحمدَ بنَ خالدٍ ، أخبرني : أنه سمِعَ محمد بن عمر بنِ لبابة ، يقول :

(١) الأصول : « أحضروه برجل » وهذا الفعل مما يتعدى الى اثنين .

(٢) الكراء ، بالكسر : أجر المستأجر .

حضرت وقد خاصمَ إليه رجلٌ في قُرنٍ بناه صاحبه، فأضرَّ الدُّخانُ به وبالجيران — وهذه المسألة يقول ابنُ قاسمٍ: إن ذلك من الضرر الذي يجب قطعه ولا يُباح اتّخاذه — فقضى سليمانُ بنُ أسود بغير ذلك. أن يجعل أنبوباً في أعلى القُرن، فيخرج الدُّخان من أعلاه، فلا يضرُّ ذلك بمن جاوره.

فكان محمد بن عمر يُفتي بهذا، ويحمل الناس عليه، فيما أخبرني أحمدُ ابنُ خالد.

قال محمد:

أحسبُ سليمانَ بنَ أسود رأى تلك الصَّنعة، أو بلغته عن أفران المشرق، فإنها مصنوعة على تلك الشَّكلة التي ذكرَ، فاستحسن ذلك، فأمر بامتثالِه بالأندلس.

قال خالدُ بنُ سعد، وأخبرني بعض مشايخنا من أهل العلم: أن القاضي سليمانَ بنَ أسود أرسل في عبد الله بن خالد ليشهده في كُتُبِ الأمير — رحمه الله — فأبى ابنُ خالد أن يقومَ إلى القاضي، فكُتِبَ سليمانُ بنُ أسود إلى الأمير — رحمه الله — يُكثِرُ على عبد الله ابنَ خالدٍ ويصفُ ثَنًا قله، وكتبَ عبدُ الله بنُ خالد إلى الأمير محمد في سبب القاضي سليمان، فوقع الأمير في بطاقة سليمان بن أسود: نحن أحقُّ من عظم العلم وأهله، فإذا أردتَ أن يشهدَ في كُتُبنا فأجلسْ إلى الفقيه عبد الله بن خالد.

قال محمد: وذكر لي غير واحد من أهل العلم:

أن سليمان بن أسود كانت فيه دُعابة تليق به، وتحسنُ منه، وحاكوا عنه في ذلك حِكَاية حُفِظت عنه في مجلس حُكْمه، وذلك أنه كان في وقته

رجل من العدول ، يعرف بابن عمار ، كان يختلف إلى مجلس القاضى ويلتزمه ، ولا يقوم عنه إلا بقيامه ، وكانت لابن عمار بغلة هائلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد ، قد أنضاه^(١) الجهد ، وغيرها الجوع ، فتقدمت امرأة إلى القاضى ، فقالت له بالعجمية : يا قاضى ، انظر لشقيتك هذه ، فقال لها بالعجمية : لست أنت شقيتى ، إنما شقيتى بغلة ابن عمار التى تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار .

قال محمد ، قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

كان بعضُ فقهاء البلد ، وهو فلان بن فلان ، وذكر رجلا عظيم القدر ، قد أخذ من رجل هدية ، على حسن المعونة ، جبة خضراء ، ف شعر بذلك^(٢) خصم المهدي ، فأعلم سليمان بالقصة ، وجعل الشيخ الفقيه ، بصحة المذهب ، وسلامة الضمير ، يلبسها فى المحافل ، فقال سليمان لخصم الرجل صاحب الجبة : إذا رأيت الشيخ وعليه الجبة واقف^(٣) عليك ، فقل : يا قاضى ، ليس الشيخ يكلمك إنما تكلمك الجبة التى عليه ، فإنك إذا فعلت ذلك خرجت عليك وأمرت بسجنك ، فلا يلينك ذلك عن قولك .

ف فعل انهم ما أمره به القاضى ، فاستجيا الشيخ وانقلب خجلا .

قال لى أحمد بن عبادة الرُّعَيْنى :

أخبرنى من سمع سليمان بن أسود القاضى ، وهو يقول لمؤذنى الجامع : إذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها عن وقتها ، وإن أحسستم أنى نزلت عند باب الصومعة فلا تنتظرونى . وأقيموا الصلاة وصلوا .

(١) أنضاه : أكدها وهزلها .

(٢) الأصول : « لذلك » ، والمعنى به يختلف ، يقال : شعر له ، اذا قال شعرا . وشعر به اذا أحس .

(٣) الأصول : « وأفتى » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

قال محمد:

ثم عزل الأمير محمد بن عبد الرحمن قاضيه سليمان بن أسود عن القضاء ، وأعاد عمرو بن عبد الله .

قال محمد: قال لي أحمد بن عباد ، قال لي أبو صالح بن سليمان :
أول من شاورني من القضاة سليمان بن أسود .

قال محمد :

واختلف في عزلة^(١) سليمان بن أسود الأولى كيف دارت ؟ ولأى شيء كانت ؟

فأما خالد بن سعد ، فذكر أن عبد الله بن يونس أخبره :

أنَّ الأمير — رحمه الله — أمر بعض الوزراء بالإرسال في القاضي سليمان بن أسود ، وأن يتكلمَّ معه في دار كانت ليتيم ، كان في نظر القضاة^(٢) ، أحبا الأمير لبعض ولده ، فأرسل الوزير من نظر إلى الدار وقومها ، ثم بعث في سليمان بن أسود ، وأعلمه بما أحب الأمير من شراء تلك الدار ، بما قومها المقومون ، فقال له سليمان : لست أبيع نقضها^(٣) بهذا الثمن فكيف الدار جميعا ؟ وسأل القاضي لليتيم أضعاف تلك القيمة ، فأنهى ذلك الوزير إلى الأمير ، فأمر الأمير — رحمه الله — بالكف عن شراء تلك الدار .

وكان ذلك الوزير يشنأ سليمان ويلوم^(٤) عليه عند الأمير من قبل ، فلا يضره بكبير شيء ، فلما امتنع من بيع الدار ، أمكنته الفرصة ،

(١) الأصول : « على في عزلة » .

(٢) في نظر القضاة ، أي في طلب الحكم .

(٣) النقض ، بالكسر : ما نقض من البناء وهدم .

(٤) الأصول : « ويكدم » ويبدو أنها محرفة عما اثبتنا .

فجعل يذكر للأمير تقيسته^(٥) ، ويذكره بما كان يصفه له ، فلم يزل بذلك حتى ثقل على نفس الأمير ، فأمر بعزله .

وحكى أحمد بن عبد الملك ، قال :

لم يزل سليمان قاضياً في الدولة الأولى ، إلى أن خرج الأمير غازياً سنة ستين ، فخرج القرشي عمرو بن عيص مشيعاً له ، وشاكياً سليمان بن أسود في كل محلة ، حتى انتهى [إلى]^(٢) قلعة رباح^(٣) ، فكتب الأمير محمد — رحمه الله — إلى أمية بن عيسى ، صاحب المدينة يومئذ ، يأمره بعزل سليمان عن القضاء ، وأن يبعث إليه أربعة من عدول قرطبة يقبضون الديوان منه ، ثم يجعله في بيت الوزراء ، فتعل ذلك أمية ابن عيسى .

فلما قدم الأمير - رحمه الله - صرف عمرو بن عبد الله إلى القضاء .

(١) الأصول : « بغضته » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

(٣) رباح ، بفتح أوله وآخره حاء (معجم البلدان : ٢ : ٧٤٧) .

ذكر القاضي
عمرو بن عبد الله
للمرة الثانية
وكان ذلك في سنة ستين ومائتين

قال محمد :

ذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن ، فيما حكى
ابنه عنه :

أنه لما عزل سليمان بن أسود خاض الناس فيمن يلي بعده .
قال : فأخبرني من سمع عمرو بن عبد الله يقول في تلك الفترة ، وهو
قاعده على باب داره : القضاء ! القضاء ! قل لمن شاء الله يليه ، والله
لا أفلح فيه .

قال : ثم ولّاه الأمير محمد - رضى الله عنه - القضاء .

فأخبرني بعض أهل العلم ، قال :

لما ولي عمرو بن عبد الله المرة الثانية ، استخرج^(١) إلى سليمان بن
أسود ، وتعقب عليه بعض أقضيته ، ونظر عليه نظراً وقعه به موقف
الضيق ، فنصح عمرآ في ذلك بعض إخوانه ، ونهاه عن الاستفساد^(٢)
مع سليمان ، فأبى ، وتماذى عليه ، ثم انقضت تلك الأمور ، وخلص
سليمان من مضايقة عمرو بن عبد الله .

(١) كذا .

(٢) الاستفساد : العمل على الفساد .

وأخبرني من أثق به من أهل العلم ، قال :
لما ولى عمروُ المَرَّةَ الثانيةَ ، تنكرت أحواله وتغيرت سيرته ، وكان
السبب في ذلك أن كبر بنوه ، وغلب عليه ولده ، المكفيُّ بأبي عمرو ،
فمشت إليه التحف ، ودخلت عليه الهدايا .

حكى لي بعض رواة الأخبار ، قال :
جلس أبو عمرو - ولد القاضي عمرو بن عبد الله - يوماً في مجلس
أبيه في حفل من الناس ، فقال لبعض أهل السوق ، ممن كان في المجلس :
أحببت أن أشتري لزمة^(١) محببة حسنة لفرس اكتسبته ، فانظر لي فيها .
قال : فما أمسى الليل من ذلك النهار ، إلا وفي بيته سبع عشرة لزمة^(١) ،
هدايا كلها .

وكثرت القالة في ولده أبي عمرو ، ونسب إليه تدليس في الديوان في
مال مستودع ، سنده مفسراً ، إن شاء الله ، على ما ذكره
الواصف له .

وقال في ذلك الوقت مـُـن بن سعيد الشاعر :
لَعَمْرِي لَقَدْ أُرِّى بَعْمَرٍ وَأَبُو عَمْرٍو
وَمِثْلَ أَبِي عَمْرٍو بَوَالِدِهِ مُبْزَرِي
وَقَدْ كَانَ عَمْرُؤُ مُسْتَضَاءُ بِشُورِهِ
فَأُضْحَى أَبُو عَمْرٍو كَسُوفاً عَلَى السِّدْرِ
وَمَا عُرِفَتْ مِنْ عَمْرٍو النَّدْبِ سَوْمَةٌ
سِوَاهَا وَهَلْ تَنْجُو الْعِتَاقُ مِنَ النُّعْثَرِ

(١) كذا .

قال محمد :

واختلف الناس في السبب الذي عزل به عمرو مرة الثانية ،
ف قيل لى :

إن هذه الثلاثة الأبيات ، التى قالها مؤمنه ، لما سمعها الأمير - رحمه
الله - قال : قد أكثر الناس فى عمرو ، وفى ولده ، فعزله حينئذ .

وقيل : إن هاشماً كان يستثقله ، بسبب ما تقدم له من التحامل على
بقي بن مخلد ، فسعى فى عزله .

وذكر أحمد بن عبد الملك : أن عمروا كان قاضياً فى المرة الثانية ،
من سنة ستين ، إلى أن غزا وليد بن هاشم فى سنة ثلاث وستين ، إلى
أرض الحرب ، الغزاة التى تعرف بغزاة البربر ، فغزا القاضى عمرو تلك
الغزاة ، فلما قدم لم يؤمر بالنظر ، وكان الرسم حينئذ إذا غزا القاضى ثم
قدم ، لم ينظر حتى يعهد إليه بالنظر ، فأقام الناس يومئذ نحواً من ستة
أشهر ، لا قاضى لهم ، ثم أعاد الأمير - رحمه الله - سليمان بن أسود إلى
القضاء ثانية ، وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين .

ذكر القاضي
سليمان بن أسود
المرّة الثانية
وكانت ولايته هذه في سنة ثلاث وستين ومائتين

قال محمد :

ثم ولي سليمان بن أسود المرّة الثانية ، فتعقب على عمرو بن عبد الله ، وكافاه بمثل ما فعل به عمرو من قبل ، وتصفح الديوان فأصاب فيه ذكر مال عظيم ، نحو عشرة آلاف دينار ، وكان ثلثاً أوصى بتفرقة رجل من التجار ، يعرف بابن القضيبي ، وكان موقوفاً على يدى بعض العدول ، فأرسل سليمان في الرجل العدل . الموقوف على يديه المال ، فقال له : أحضرني المال . فقال له الرجل العدل : كان المال على يدى وقتاً طويلاً ، ثم قبضه مني القاضي عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، وأبرأني منه ، فقال له سليمان : أقم البيّنة على ما تقول . فأتاه بصحيفة فيها براءة من عمرو بن عبد الله ، إذ كان قاضياً ، للرجل من المال ، وأقام عليه ستة عشر شاهداً من الناس . فكاشف^(١) عمرو بن عبد الله عن ذلك ، فأنكر القبض ، وكذب الشهود ، وزعم أنها حيلة احتيلت فيه ، ودائرة أدبرت عليه ، ووقف^(٢) سليمان على الحكم عليه بالمال ، فاستعاذ عمرو بالأمير محمد - رحمه الله - ورفع إليه في ذلك متنصلاً بما قذف به .

(١) الأصول : « فكشف » .

(٢) كذا : ولعلها ووافق .

فخـي لي بعض أهل العلم ، قال : أخبرني رجل كان خاصاً بعمر بن عبد الله ، قال :

إني لقاعد مع عمرو ، حين أتاه من لدن الأمير محمد فتى من أصحاب الرسائل ، فسأله أن يدخل معه في بيته ، فقام معه عمرو وأدخله إلى بيته ، فأقام معه ساعة ، ثم خرج الفتى عن عمرو ، فلما خرج استأذنت على عمرو ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فوجدته واجماً مطرقاً ، فقلت له : ما الذي أتاك به الفتى ؟ قال : فسكت عن ساعة ، ثم أنشأ يقول :

تَضْحِي عَالِي وَجَلِّ تَمْسِي عَالِي وَجَلِّ
مُكَلِّ الشَّرَابِ وَلَا تَعْمَلْ كُلُّهُمْ عَمَلًا

ثم قال : أتاني الفتى بمصحف في كفه ، وأمرني أن أحلف إنني بريء من المال ، خلعت .

قال : فأبرأه الأمير محمد - رحمه الله - من أمره ، وأمر أن يغرم ورثه القصبي ثلثاً ثانياً بما في أيديهم من المال ، فغرموه بعد أن كانوا أنفقوه .

ف قيل لي : إنه كان سبب فقرهم .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد بن عبد الملك :

أنه كان في الديوان مال عظيم ، موقف عند بعض العدول ، فمات ذلك العدل ، فعامل أولاده أبا عمرو - ولد عمرو بن عبد الله - على أن يقسموا ذلك المال ، ويأخذ أبو عمرو أكثره ، على أن يقتلعه من الديوان ، وكان الديوان يومئذ لاشهود عليه ، إنما ذكره في دفتر مطلق ، فاقسموا المال ، وغفل أبو عمرو عن قلعه حتى عزل عمرئو ، فوجده سليمان في الديوان المذكوراً ، فدارت بين القاضيين : سليمان ، وعمرئو ، أحوال

شنيعة^١ ، ثم آل الحال في ذلك إلى أن شاور الأمير - رحمه الله - الفقهاء ، فأشاروا بتحليف عمرو ، غير بقي بن مخلد ، فإنه قال : إن اتصل ببنى العباس أنا نخلف قضائنا كان ذلك من أعظم ما نعاب به عندهم . فاستحسن الأمير قول بقي بن مخلد ، وأوصل^(١) إلى عمرو أن يكتب إليه بيمينه في السر ، ففعل .

قال : وكان مما يحتج به عمرو على سليمان ، عند اجتماعهما بمحضر الوزراء ، أن يقول : لو دلت في هذا المال لما أبقيت ذكره في الديوان ، فكان سليمان يقول : بخذلان الله تركته .

وكان عمرو ، فيما يقول أهل العلم والمعرفة في الزمان ، مبرأ من ذلك منزهاً ، سيما أنه لم يزل الغم يسرى في قلبه ، ويعمل في نفسه ، حتى أخذه ذهول أخرجه عن حده ، حتى إنه لقد كان يخرج إلى الزقاق حاسراً ، بعد تلك المروءة الكاملة ، والنزاهة العظيمة .

قال خالده بن سعد : حدثني أبو العباس وليد بن إبراهيم بن لبيب ، قال :

أتيت عمرو بن عبد الله ، وقد عزل عن القضاء ، وكان الذي سعى في عزله هاشم بن عبد العزيز ، من أجل بقي بن مخلد ، إذ كانت الشهادات على بقي عنده ، وكانت له شهوة في إنفاذ ما شهد به على بقي ، فلما عزل ولّد عليه هاشم أشياء غمته ، فخلط في عقله من أجل ذلك .
قال وليد :

قال لي عمرو بن عبد الله ، قبل استنحاکم ذلك الذّهول فيه : يا بني ، ما يتمنى منه الموت ، أشد من الموت ، ولوددت أني قد مت .

(١) الأصول : « وأوصى » .

قال خالد بن سعد :

سمعت أسلم بن عبد العزيز ، وقد نزل من القصر بالعشي ، فأتاه بقي ابن مخلد ، فخرج عليه هاشم وعنفه . وقال له : مه ، والله ما كانت بيني وبين عمرو حالة موجبة لعداوة ، ولا سعييت في عزله عند الأمير ، إلا من سبيك ، ولما أراه يفعل^(١) بك ، فعلت ذلك لله ، عز وجل ، فأتيت أنت اليوم فأفتيت في أمره بفتيا هدمت علينا ما كنا بنينا في أمره ، وخالفت جميع أصحابك من الفقهاء .

قال أسلم :

وكان هاشم قد أرسل في الفقهاء قبل ذلك واستفتاهم في مسأله ، فأوجبوا فيها اليمين على عمرو بن عبد الله في مقطع الحق ، من أجل مال يتيم كان قد أودعه عند بعض من أودعه ، وقال : لست أحفظ عند من أودعته ، فأقضى أهل العلم أن يحلف في ذلك ، ولم يرسل أخى هاشم في بقي بن مخلد ، من أجل ثقته به ، وظن أنه لا يخالف أصحابه في الفتوى ، لاسيما أن الحاجة كانت لبقى ، إذ كان عمرو بن عبد الله عدوه ، فاجتمع الفقهاء في بيت الوزراء فأفتوا باليمين ، وأتى بقي بن مخلد في آخرهم ، فقال : لا يمين عليه ، لأن القضاة أمرهم على السلامة حتى يثبت عليهم غير ذلك ، والأمير ، إذ قسمه ، إنما قدمه وهو عنده من أهل العدل .

فلما رفعت الآراء إلى الأمير محمد أمر أن يؤخذ في أمر عمرو بفتيا بقي بن مخلد .

فلما عدد أخى على بقي فعله ذلك بحضرتي ، قال له : أصلحك الله ، كنت ترضى لشيخ مثلى أن يفتى على عدوه بغير ما يعتقد من الحق ، والله ما أفتيته في أمره إلا بما اعتقدت أنه الحق ، فلا تلبنى .

(١) الأصول : « أن يفعل » .

قال أسـ ـلم :

ومكث أخى هاشم بعد ذلك عاتباً على بقی بن مخلد نحو الشهرين ، ثم أسقط معاتبته فى ذلك .

قال محمد :

ثم استمر سليمان بن أسود على القضاء ، بعد عمرو بن عبد الله فى المرة الثانية ، حتى أخذت منه السن وظهر فيه الهرم^(١) ، فرفعت بطاقة إلى الأمير محمد - رحمه الله - على لسان عمرو بن عبد الله ، يقال فيها : إن سليمان بن أسود كبرت سنه ، وضعف بدنه ، ولا طاقة له على القضاء .

فأمر الأمير - رحمه الله - الوزراء أن يعيشوا فى سليمان ، وعمرو ، ويسأل عمرو عن البطاقة ، إن كان هو^(٢) رافعها ؟ ويسأل سليمان عما يحدث فى بدنه من القوة على القضاء .

فأحضر الوزراء إلى أنفسهم الرجلين ، جلسا ، وكان عمرو بن عبد الله وقوراً ساكناً متشاقلاً ، وكان سليمان فى ضد هذه الصفة ، كانت به هشاشة وحركة ، وخفة بدن ، فأخرج الوزراء البطاقة ، ثم قرئت على عمرو ، وقيل له : أنت رافعها إلى الأمير ؟ فقال : أعوذ بالله ، ولا والله ما كتبها ، فقال له سليمان : إن كنت لم تكتبها أبأ عبد الله فقد أملتيتها ، فقال : لا والله ، ولا أملتيتها ، ولا علمت بها ، فقال له سليمان : إن كنت صادقاً فى نفسك فصاحب البطاقة ولدك أبو عمرو ، واستطال عليه سليمان فى اللفظ ، فأطرق عمرو بن عبد الله ، واستعمل الحلم ، والأخذ بالفضل ، فقال له سليمان : وتتغافل أيضاً وتتحم كآناً لا نعرفك ؟ فقال عمرو :

(١) الأصول : « الهدم » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « هذا » .

حسبنا الله ! حسبنا الله ! ثم وضع يديه جميعاً في الأرض ليقوم ، فوثب سليمان إلى عمرو بخفة بدنه وهشاشته ، فدفأ يده إليه ، ثم قال له : هات يدك أبا عبد الله لتقيمك ، فنظر إليه عمرو ثم رجع واستوى جالساً ، وقال : الله المستعان ، الله المستعان ، الله المستعان ، ثم افترقا .

قال محمد : قال لي أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن أيمن :

مرض سليمان بن أسود مرضة أشنى فيها على الموت ، وكان حينئذ صاحب الصلاة ، وكان إبراهيم بن قلزم مترشحاً^(١) للصلاة ، وكانت له ناحية من هاشم^(٢) ، فأناه يوم خميس ، فقال له : قد تعلم ما فيه سليمان ، وغداً الجمعة ، فكتب هاشم إلى سليمان بن أسود يسأله إن كانت به نهضة للصلاة بالناس ، وإلا فيعلم بذلك لينظر فيمن يقوم بالخطبة والصلاة ، فكتب سليمان إلى هاشم : أنا متخفف ، وبى أكثر من نهضة ، فلما كان من الغد تحامل ، وأتى يتهادى بين اثنين حتى خطب بكلمات مختصرة .

قال محمد :

وسمعت بعض رواة الأخبار يحكى عن سليمان وابن قلزم في الصلاة حكاية مستطرفة ، قال :

كان سليمان بن أسود يعلم شدة شهوة ابن قلزم في الصلاة ، وترشحه لها ، فلم يشعر سليمان يوماً من أيام الجمعة في ضحى النهار حتى استأذن عليه ابن قلزم للدخول عليه ، فحضرت لسليمان فيه حيلة^٣ ، فقال لغلामه : أخرج إليه وأنت تبكى ، وقل له : مولاي في الموت ، ثم أدخله على من بعد ، ثم اضطجع سليمان ، وسجى على نفسه ، وجعل يسوق النفس ،

(١) مترشحاً : متهيئاً .

(٢) كذا . ولعله يريد أنه كان مقرباً إلى هاشم .

كما يفعل من احتضر ، فدخل ابن قلزم ، فتوجع واستعبر ، ثم خرج من فوره ذلك إلى هاشم ، وقال : سليمان يحشرج للموت^(١) ، وما أظنه يبلغ وقت الجمعة حتى يموت ، فتدارك بالكتاب إلى الأمير - أبقاه الله - فإن المقام في ضيق الوقت صعب ، فقال له هاشم : أنت رأيته بهذه الحال ؟ فقال : نعم ، هذا خروجي من عنده إليك ، فقال هاشم : ما بعد هذا شيء ، ثم وضع يده فكتب إلى الأمير يخبره أن ابن قلزم أتاه وحكى له أنه دخل على القاضى سليمان وهو يحشرج ، وقد ضاق الوقت ، فليستظر الأمير - أبقاه الله - في ذلك ، ففكر الأمير - رحمه الله - سادة ، وكان من الكمال بحيث ما عرفت الخاصة والعامة ، فوقف على أن ابن قلزم كان يشتهى الصلاة ، ولم يسمع لسليمان قبل تلك الساعة بعلة ولا مرض ، فأدرك بنظره ما لم يدرك هاشم ، وعلم أن في الخبر دخلاً^(٢) ، فقال لفتى من وجوه فتياه : اذهب الساعة وادخل على القاضى وانظر حالته وما هو عليه ، فإن وجدته يتكلم ويبين عن نفسه ، فأسأله إن كانت به طاقة على الخطبة والصلاة اليوم ؟

فأتى الفتى فدخل على سليمان ، فوجده جالساً جلوس الصحة ، فذكر له الأمر وأعلمه ببعض الخبر ، فقام سليمان من مقعده ذلك في حضرة الفتى وجلس على كرسي ، وأمر أن يؤتى بالماء يتوضأ ، فتوضأ ، ولبس ثيابه ، وخرج مع الفتى راجلاً إلى الجامع ، ورجع الفتى إلى الأمير ، فأدله بالقصة على وجهها .

فقال له الأمير - رحمه الله : لقد طيب^(٣) سليمان في ابن قلزم ، ولعب به كيف شاء ، ثم ضحك على ذلك ضحكا عظيماً .

(١) الأصول : « الموت » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الدخل ، محركة : الفساد والعيب .

(٣) كذا ، يريد وقع فيه .

قال محمد :

وكان سليمان قويًّا جلدًا ، حديد النفس ، مع كبرة السن ، وكان يروح إلى الجامع راجلا من داره .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن : أخبرني بكر بن حماد القسام ، وكان جارا لسليمان ، قال :

خطرت عليه آخر جمعة عاشها ، فركبته للرواح معي إلى الجامع ماشيا ، ثم انصرفنا ، وذلك في دولة الأمير عبد الله - رحمه الله - والقاضي حينئذ النضر بن سلبية .

قال محمد :

وأقام سليمان في قضائه الثاني عشرة أعوام ، من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين ، وتوفي في ذلك العام الأمير محمد - رضوان الله عليه ورحمته - وكان الناس يذكرون موت الأمير من غير أن يصح ذلك عنه عندهم ، حتى خطب سليمان بن أسود ، فلما بلغ ذكر الدعاء له خنقته العبرة ، فنعاه بذلك إلى الناس ، فأيقنوا بموته .

ثم ولي الأمير المنذر - رحمه الله - فأقر سليمان بن أسود على القضاء . قال لي أبو محمد قاسم بن أصبغ البياني :

أقام سليمان بن أسود قاضيا في خلافة المنذر نحو أربعين يوما ، ثم عزله المنذر ، وولى أبا معاوية .

قال محمد :

وما أحسب أنه كانت لعزل^(١) سليمان المرة الثانية عن القضاء علة غير كبر السن ، وظهور الهرم^(٢) .

(١) الأصول : « لعزلة » .

(٢) الأصول : « الهرم » تحريف .

قال بعض أهل العلم :

كان سليمان بن أسود ، صنيعةً للأمير عبد الله - رحمه الله - قبل ولايته ، فكان سليمان يستبطئ تيام دولته طمعاً في العودة ، فلما ولي وأغفله ، جعل سليمان ينشد في بعض مداخله عليه مع جملة الفقهاء للاشهاد :

لَمَّا بَلَّغْنَاكَ الْبَقَى كُنْتَا نُرْمَلُمَا

صَرْنَا مُشْهُوداً [كَأَنَّا]^(١) مِثْلُ غِيَابِ

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :

دخل ناسٌ على سليمان بن أسود ، في الشهر الذي مات فيه ، فسألوه عن عمره ، فسكت عنهم ساعة ، ثم دعا خادماً له ، فأتته ، فأمرها أن تأتية بنفليجة^(٢) كانت عنده ، فأتته بها ، فاستخرج منها صحيفة ، فرماها إلى القوم ، وقال : اقرءوا ، فقرأ القوم الصحيفة ، فإذا فيها كتاب من عند الأمير هشام بن عبد الرحمن إلى قاضيه على جهة الجوف ، فخص البلوط وما يليه من تلك الجهات ، أسود بن سليمان ، يأمره فيه بقبض الصدقات عند وجوبها ، وتفريقها على وجوها ، على ما فسر في ذلك الكتاب .

وفي آخر الكتاب مكتوب بخط القاضي أسود بن سليمان : ولد سليمان ابن أسود - أمتع الله به - يوم كذا ، من شهر كذا .

فعد القوم ، من وقت المولد الذي ولد فيه إلى وقتهم الذي كانوا فيه ، تسعة وتسعين عاماً وعشرة أشهر .

فقال لهم سليمان : إن عشت شهرين أتممت مائة عام .

فمات في ذلك الشهر قبل أن يتم المائة العام^(٣) .

(١) بمثل هذه التكملة يستقيم الوزن .

(٢) كذا . ويبدو أنها من مستعمل أهل الأندلس ، ومعناها في الترجمة الأسبانية : محفظة للخرطوش .

(٣) الأصول : « عام » .

ذكر القاضى عامر بن معاوية اللخمى

قال محمد :

لماولى المنذر الخلافة — رحمه الله — رأى الاستبدال بسليمان ،
فاستشار الوزراء ، فأشاروا بزياد بن محمد بن زياد ، فعرض المنذر القضاء
على بقى بن مخلد ، فلم يقبله ، فاستشاره فى زياد بن محمد بن زياد ، فقال له :
نعم الحديث ، فسأله أن يشير عليه ، فأشار عليه بأبى معاوية اللخمى ،
وهو عامر بن معاوية بن عبد المسلم بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن
ناشرة بن لوزان اللخمى ، فقبل المنذر - رحمه الله - منه ، وولاه قضاء
الجماعة بقرطبة .

فقال (١) :

حدثنا خالد بن سعد ، قال : سمعت عبد الله بن يونس ، يقول :
كان الحبيب بن زياد خاصة لبقى بن مخلد ، وكان رجلا فى أيام الأمير
المنذر — رحمه الله — أن يشير به لقضاء قرطبة ، فلما شاوره الأمير ،
وأشار عليه بأبى معاوية ، أتى الحبيب بن زياد إلى بقى بن مخلد فعاتبه فى
ذلك ، فقال له بقى : لا تلنى فيما فعلت ، فإنى إنما أشرت بمن هو عندى
أفضل منك ، فسكت عنه الحبيب بن زياد .

قال محمد : قال لى أبو عبد الله محمد بن عبد المالك بن أيمن :

(١) فقال : يعنى محمدا .

كان أبو معاوية اللخمي من بني زياد ، وكان مسكنه برية^(١) ، وكانت له رحلة في أيام عبد الرحمن بن الحكم — رحمهما الله — سمع فيها من سحنون بالقيروان ، ومن أصبغ بمصر ، ومن غيرهما ، وكان من أهل الرواية ، لا بأس به ، وقد سمعت منه وكتبت عنه .
قال محمد :

وعنه كانت تروى في ذلك الزمان : آداب القضاة ، من تأليف أصبغ .
وذكر بعض أهل العلم أن روايته اختلطت عليه ، فترك .
قال محمد : وقال لي ابن أيمن :

قدم أبو معاوية قرطبة في آخر أيام الأمير المنذر ، حتى مات المنذر ، رحمه الله .

قال خالد بن سعد : أخبرني أبو عمر صاحبه^(٢) ، قال : أخبرني أبو يحيى ابن خيس :

أنه لما ولي عامر بن معاوية القضاء ، وقعد في الجامع ، رأى سليمان بن أسود أتاه بالديوان ، فلما سلم قال : الحمد لله الذي جعل على أئمة مثلك . فلما خرج من عنده سليمان بن أسود ، تلقاه رجل من قريش ، ممن كان يخاصم عنده ، قبل أن يعزل ، فلبَّسه^(٣) بردائه ، وقال : الحمد لله الذي جلا الظلمة ، وأخذ الجور ، أجبنى إلى القاضي .
فانصرف معه إلى عامر بن معاوية ، فقال له سليمان : إني معزول ، وأنت وال ، وما فعلت في اليوم ستكافأ غداً بمثله .

(١) برية ، بفتح أوله وتشديد ثانيه . (معجم البلدان : ٢ : ٨٩٢) .

(٢) كذا .

(٣) لبَّيه : جمع ثيابه عند نحره ثم جره . والذي في الأصول :

« لبَّيه . واللب : ضرب اللببة ، وهي موضع القلادة من العنق . »

نخرج عامر بن معاوية على القرشي ، ودفعه عنه .

قال أحمد بن محمد بن عبد الملك :

حكم أبو معاوية لأيدون الفتى بالفدان المعروف بفدان أجل ، بعدوة الوادى ، بعد خصومة طويلة دارت فيه عند سليمان بن أسود ، كان متوليها محمد بن غالب بن الصفار ، فأبى سليمان الحكم فيها ، فقال يوماً لابن الصفار : إن هذا الرجل قد ألح على أن أحكم له ، ولا أجد سبباً إلى هذا ، إذ لم يتضح لى ما أحكم به ، والله لا يأتينى من أمر أكرهه إلا آخرت به .

فضم ابن الصفار الفتى إلى الأمساك^(١) ، حتى عزل سليمان ، وولى أبو معاوية ، فقام عنده ، وكان يلزم مجلسه ، فإذا رآه أبو معاوية قال له : من أنت ؟ يرحمك الله ! فيقول له : أنا محمد بن غالب المعروف ، يسأله كل يوم بسلامة قلب كانت فى أبى معاوية .

فلم يزل محمد بن غالب متردداً عليه فى تلك الخصومة حتى قضى له بالفدان ، وأشهد له على القضية ، ثم صار الفدان بعد ذلك إلى محمد ابن غالب .

ولم يزل أبو معاوية قاضياً ، وصاحب الصلاة ، حتى مات المنذر — رحمه الله .

قال محمد بن عبد الملك بن أيمن :

سمعت القاضى أبا معاوية يخطب على الناس فى الاستسقاء بخطبة أرميا ،

(١) كذا ، ولعل المراد : الأحباس ، وهى فى الترجمة الأسبانية بمعنى : القضاء الملى .

التي قام بها في بني إسرائيل ، وكانت فيه رقة تستميل القلوب وتبكي
العيون .

قال خالد بن سعد :

وكان أحمد بن خالد ، ومحمد بن مسور ، يصفان أبا معاوية بالخير
والفضل ، غير أن أحمد بن خالد كان يذكر عنه طرفه .

ذكر أنه أتاه يسأله أن يسمعه سماع أصبغ بن الفرج ، وأن يجعل
له فيه دولة ، فلما أتى إلى السماع أخرج إليه الشيخ كتب أصول العلم من
تأليف أصبغ ، فظن أن الأصول والسماع شيء واحد .

ذكر القاضي النضر بن سلمة الكلبي

قال محمد :

النضر بن سلمة بن وليد بن أبي بكر محمد بن علي بن عبيد الكلبي ،
كان أصله من قَبْرَة ، وولى قضاء كورة شدونة ، والأمير عبد الله بن محمد
— رحمهما الله — بها ، فأدخله وقربه من خاصته ، وكان النضر من أهل
الذكاء والنبل واليقظة .

ولما ولى عبد الله بن محمد — رحمهما الله — الخلافة ، ولى النضر بن
سلمة قضاء الجماعة والصلاة معاً ، فأحسن السياسة ، وخالق الناس بخلق
حسن ، وخطب فأبلغ في الخطابة .

وأمره الأمير — رحمه الله — بالتزام خطبة استحسناها منه ، وهي
مشهورة في الناس ، فالتزمها طول ولايته الأولى ، وكانت ولايته نحواً من
عشرة أعوام ، حتى حفظت عنه ، وصارت مسطرة لولاة القضاء ،
يحتذون عليها في أول مقاماتهم ، ومبتدأ ولايتهم .

وكانت له خطبة أخرى في الأعياد حسنة مهندبة ، مشتملة على السنة .

قال محمد : وذكر أحمد بن محمد ، قال :

كان النضر بن سلمة يتصرف للأمير — رحمه الله — في كل الأسباب
تصرفاً كاملاً .

أخبرني من أثق به :

أن الأمير - رحمه الله - كان في السباط يوم جمعة منتظراً للصلاة ، صلاة العصر ، فورده ككتاب حرك منه ساكناً ، فالتمس عبد الله بن محمد الزجاليّ ليكتب الجواب ، فألني غائباً ، فهم بالإرسال فيه ، فقال له النضر ، وكان بحضرته : ما الأمر الذي حرك من الأمير - أصلحه الله - ما أرى؟ فأخبره الخبر ، ورمى إليه الكتاب ، فعرض عليه نفسه في المجاوبة^(١) ، فأذن له الأمير - رحمه الله - بجواب^(٢) وأحسن ، وكتب فأبلغ ، فأعجب الأمير - رحمه الله - بيقظته ، وشكر له فضل منته .

قال محمد :

وكان النضر عالماً بعلل الوثائق ، وممدركاً بموضع الزلل منها ، والإغلال فيها ، يوقف الفقهاء على ذلك فيقرون له بالإصابة ، ويعترفون له بفضل الإدراك .

والنضر بن سلمة أول من شاور في الأحكام محمد بن عبد الملك ابن أيمن .

قال محمد : قال لي أحمد بن عبادة الرعيني :

كان النضر بن سلمة حسن المذهب ، ظاهر الحلم ، حضرته يوماً في مجلس قضائه ، دخل عليه رجل فوقف بين يديه ، ثم قال له : يا قاضي ، ظلمتني ، وتحاملت علي ، حسبك الله !

قال : فسكت عنه حتى فرغ من كلامه ، ثم قال له النضر : أما لولا أن سبك لم يجاوزنا إلى غيرنا لأحسنت حسن الجواب . وأعطى الرجل^(٣)

(١) كذا . والمجاوبة : أن يرد كل واحد من المتكلمين على الآخر .

(٢) المناسب : أجاب : (أنظر الحاشية السابقة) .

(٣) الأصول : « رحلاً » .

من الصدقة فأرضاه ، فشكر له الرجل ، فأخذ بركابه ، وأعاد القول بمدحه . فقال النضر : (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون)^(١) .

قال خالد بن سعد : سمعت محمد بن مسور ، يقول :

سمعت القاضي يقول ، وهو النضر بن سلية ، وقيل له : إن محمد بن أسباط يقع فبك ويتناولك ، يجب لك أن تهديه ، فقال النضر : لا والله لا أتعرض لذلك ، ولا أهدم من بناه الله .

قال محمد : أخبرني بعض الشيوخ ، قال :

كان عندنا بقرطبة رجل يعرف بابن رحمون ، وكان كثير النادرة^(٢) والتطبيب^(٣) ، فندر^(٤) في مجلس النضر على خصم كان يخاصم عنده يناديه^(٥) أضحك منها^(٦) الحاضرين ، فها زاد النضر على أن ضحك ، ولم تكن له عليه صولة ، وذلك أن خصم ابن رحمون قال للنضر : إن خصمى هذا إذا خرج من بين يديك لا يقلع عن شتمى ، وذكر أُمى ، فقال النضر^(٧) : ما أحب أن أعطيه شيئاً ، ولا آخذ منك شيئاً ، فقال ابن رحمون للقاضى : يا قاضى ، اقبلوا منى على ما أفعل به كذا^(٨) ، وكذا

(١) التوبة : ٥٩ .

(٢) لأصول : « النادر » وما أثبتناه أولى .

(٣) المسموع : الاطناب ، وهو المبالغة والاكثار فى الكلام أو الوصف أو الأمر .

(٤) المسموع : أندر ، أى أتى بالنادر .

(٥) الأصول : « بنادر » .

(٦) الأصول : « منه » .

(٧) الأصول : « فقال خصمه » ولا يستقيم بها المعنى .

(٨) الأصول : « وكذا » .

بأمة^(١) في النادرة^(٢) ، فلا أرضى أن أفديه^(٣) بأربعين درهما .
فضحك ، وضحك من حضر ، واحتملها له النضر .

قال محمد :

وكان النضر بن سلمة متصرفاً في علم الأدب ، وكان - فيما بلغني -
ربما قال من الشعر شيئاً يخاطب به الأمير ، ومن كاتبه من طبقة الخاصة .
وسمعت بعض رواة الأخبار يحكي ، قال :

مات وزير من بني شهيد ، وترك ابناً ، فرثاه رجل بشعر ، وأتى به
النضر فعرضه عليه ، فسمع النضر شعراً سخيلاً بعيد المعاني ، فقال له :
إن ابن المتوفى نبيل كيس ، فاذهب بهذا الشعر إليه ، فلعله أن يظن
أنك أردت أن ترثي أباه ، فيشكر لك ذلك^(٤) .

قال محمد :

وكان النضر قاضياً إلى أن أمره الأمير - رحمه الله - بالنظر في المال
الموقف بالجامع ، فنظر في ذلك ، وجمع أهل العلم فاستشارهم ، فاختلفوا
عليه ، فأبى النضر أن يحكم بصرفه إلى بيت المال إلا بإجماع^(٥) أهل
العلم ، فكان فعله ذلك سبباً لكثرة القول فيه عند الأمير ، فحرف
معناه ، وصرف القول في ذلك إلى أسوأ الوجوه ، فعزله الأمير -
رحمه الله - حينئذ .

(١) الأصول : « من أمة » .

(٢) الأصول : « في المنادى » .

(٣) الأصول : « فلا يرضى أن يفديه » .

(٤) الأصول : « بذلك » .

(٥) الأصول : « باجتماع » .

ذكر القاضي

موسى بن محمد بن زياد الجذامى

قال محمد :

ولما عزل الأمير - رحمه الله - نضراً عن القضاء استقضى بعده موسى بن محمد بن زياد بن يزيد بن زياد بن كثير بن يزيد بن حبيب الجذامى ، وهو من العرب الشاميين ، من جند فلسطين ، وكان أصله بالأندلس ، من كورة شدونة ، ولأه الأمير - رحمه الله - الشرطة والرد ، ونقله إلى الشرطة العليا ، ثم ولى القضاء فصلى بالناس جمعة ، واستعفى فى الثانية .

قال خالد بن سعد :

سمعت محمد بن عمر بن لبابة يذكر موسى بن محمد ، فكان لا يوفيه^(١) ، ولا يحسن الثناء عليه ، غير أنه كان يصفه بالحلم .
ذكر أنه شهده ، وقد أرسل فى رجل ، فلما أتاها وكل به الأعوان ، وأمر ألا يفارقوه حتى يحضر بوثيقة كانت عنده ، فتوكل به الأعوان ، ومضوا معه ، ثم عادوا بالرجل والوثيقة معه ، فرمى بالوثيقة ف ضرب صدر القاضي موسى بن محمد ، وكانت الوثيقة كبيرة ، فأوجعه بها .

قال ابن لبابة : فلم أشك أنه سيؤدبه على ذلك ، فما زاد على أن قرأ

(١) الأصول : « يستوفيه » ولا يستقيم بها الكلام .

الوثيقة وصرفها إلى الرجل ، وقال له : خذ وثيقتك يا جافى ، لم يزدده على ذلك .

وهذه قصة محفوظة لموسى يحكيها الفقهاء عنه .
قال محمد :

ولما صار موسى بن محمد إلى القضاء حكم في المال الموقوف بما بلغه إليه اختياره ، مما اختلف فيه أهل العلم من قبل ذلك على النضر ابن سلمة .

قال محمد :

وسمعت من يحكى من العلماء :

أن موسى بن زياد كان حسن السميت ، أديباً ، ظاهر المروءة ، بادی الوقار ، إلا أنه كان جاهلاً عيباً .

حكى أنه ذكر يوماً محمد بن غالب بن الصفار ، فقال^(١) : صام رمضان كله إلى يوم العرفة ثم يوماً .

فأخطأ خطأين بشعين^(٢) : توهم أن في رمضان يوم عرفة ، كما في ذي الحجة ، وأدخل الألف واللام في : يوم عرفة :

وسمعت من يحكى اسم « مرة » بالألف ، واسم « أسماء » بالهاء .
قال محمد :

وتصرف موسى بن زياد للأمير — رحمه الله — في خطط جمعة ، منها : السكّابة ، والوزارة ، وغير ذلك ، واستأذن للحج ثم انصرف .

(١) الأصول : « فقام » وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .

(٢) الأصول : « بشيعين » وهى غير واردة .

وتوفي الأمير — رحمه الله — وموسى بن زياد حامل ، وذلك أنه
نظر فيما لا يعنيه ، وتكلم فيما لم يستشرفيه ، من مهمات الأمور ،
وعظيمات الأشياء ، مما تنبئ به الخلافة ، وتقوم به الإمارة ، وأبطن
من ذلك شيئاً ، فأعقبه الله في ذلك بشر عقيب ، وولاه من ذلك
ما تولى .

ذكر القاضى محمد بن سلمة

قال محمد :

ولما عزل الأمير — رحمه الله — موسى بن زيادٍ عن القضاء ،
استقضى بعده محمد بن سلمة السكلايى ، وهو أخو النضر بن سلمة .

وكان رجلاً صالحاً فى مذهبه ، فاضلاً فى دينه ، شديداً السلامة فى
طبعه ، مع الزهادة والتنسك ، لم تحدث له ولاية انقضاء تغيراً فى ملابس ،
ولا اكتسب المال ، ولا بلغت به العائلة^(١) إلى اشتراء دار ، وإنما كان
يسكن بكرةٍ فى داخل المدينة بقرب الجامع ، ولم تكن له من الحركة
فى الفهم ، ولا من اليقظة فى الأمور ، ما كان لأخيه النضر فى ذلك ،
وكان مع ذلك شديد السكينة ، ظاهر الصلابة ، راغباً فى إقامة السنة ،
منزحاً^(٢) عن الناس ، ملتزماً للبادية ، فكان ربما دار على الناس منه
بعض الجفوة والتحامل فى المخاطبة .

قال خالد بن سعد :

سمعتُ محمد بن عُمَر بن لبابة يثنى عليه ، ويصفه بالخير والفضل .

وقال خالد بن سعد : وأخبرنى محمد بن هاشم الزاهد ، قال : أخبرتنى
امراًة صالحة من أهل الاستتار أنها أتته إلى داره فى بعض الأيام ،

(١) الأصول : « الفائدة » وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . والعائدة :

ما يعود على الانسان .

(٢) كذا . والمسموع : نازحا .

وذلك قبل الظهر ، فقرعت عليه الباب ، نخرج إليها ، وكانت لا تعرفه قبل ذلك ، وعلى يده أُرُءُ العَجِين ، كما كان يعجن ، فقالت له : أريد أن تسلم القاضي ، فإن لي إليه حاجة ، فقال لها : تقدمي إلى المسجد الجامع ، فإنه يوافقك فيه الساعة .

قالت : فأُتيتُ الجامع ، فركعتُ ثم جلستُ انتظر القاضي ، فلم ألبث أن أتى ذلك الرجلُ الذي خرج إليّ ويديه أُرُءُ السَّجِين ، فجعل يركعُ ، فسألتُ عنه ، فقيل لي : هو القاضي ، فلما سلم تعرَّضتُ إليه فكلمته في حاجتي ، فقضاها لي .

قال خالدُ بن سعدٍ : أخبرني عبدُ الله بنُ قاسم ، قال : أخبرني أبي ، قال :

وقفتُ بمحمد بن سلمة القاضي ، فسألني أن أشتري له كساء بُرْكان^(١) .

قال عبدُ الله : فأمرني أبي أن أهبط إلى البزازين في طلبه ، فهبطتُ فاشتريت له كساءً بأربعة وعشرين ديناراً ونصف دينار ، ثم أتيت به أبي ، فسار به إليه ، فاستحسنه ، وقال : بكم هذا الكساء ؟ فقال له : يقعُ عليك بعشرة دنانير ، فسبق إلى القاضي أنه ثمنه ، فأخرج إليه عشرة دنانير .

فلما كان بعد ذلك لم ينشب أن أتاه أبو يحيى صاحب الأحباس^(٢) ،

(١) البركان ، بالتشديد : الكساء الأسود ، وليس بعربي .
(الجمهرة لابن دريد : ٣ : ٣٠٩ ، والقاموس المحيط : برك ، والمعرب للجواليقي : ٥٦) .

(٢) الأصول : « أحباس » .

فقال له : إن القاضى يقرئك السلام ، ويسألك أن تقبض الكساء وترُدَّ
العشرة الدنانير ، فإنه قد احتاج إلى نفقتها ، والكساء قد استغنى عنه ،
فقال له أبى : لا يردُّ^(١) الكساء ، وأنا أعطيه الدراهم ينتفع بها إلى وقت
يتيسر له ، فأبى صاحب الأحباس ذلك^(٢) .

قال : فأنكرت ذلك ، وقلت : ما الذى أوجبَ هذا ، فقد علم ثمنه ، فلم
يقبله ؟ وقال : إنما ظننت أن ثمنه عشرة دنانير كما أعطيتُ ، فإذا ثمنه
أكثر من ذلك ، فلا حاجة لى أن أتحمّل على الرجل فى ماله .

قال عبد الله :

وكانت بين أبى وبين محمد بن سلة محبةٌ ومداخلةٌ ، وكان يختلفُ
النساء بعضهم إلى بعض ، فأتتنا ابنته فى بعض الأيام زائرةً ، وهو على
القضاء ، فأمر أبى النساء أن يكسونها مقنعا^(٣) عراقيا ، فكسونها ذلك ،
فلما انصرفت من عندنا رأى القاضى المقنع عليها ، فأنكره وقال لها : من
أين لك هذا ؟ فوصفت له الخبر على وجهه ، فقال لها : يا مبنية ، ليس هذا
المقنع من كسوتك ، مع أنه يحتاج هذا المقنع إلى ثوب من جنسه ،
ورداء من جنسه ، ثم أمرها بردَّ المقنع ، ولم يقبله .

قال محمد بن عمر بن لبابة :

أتيتُ القاضى محمد بن سلة ، فلم أر فى دواته إلا أقلاما مكسورة ،
فأخذتُ مع نفسى أقلاماً حسناً كانت عندى ، وبريتها وأتيتها بها ،
فأبى قبولها^(٤) وقال : لو كنت متقبلاً هدية لقبلتُ هديتك ، وردها على .

(١) الأصول : « يرد » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) الأصول : « من ذلك » والفعل يتعدى بنفسه .

(٣) المقنع : القناع ، وهو ما تغطى المرأة به رأسها .

(٤) الأصول : « من قبولها » والفعل يتعدى بنفسه .

قال : وأخبرني سليمان بن محمد بن أبي ربيع ، قال :

كنتُ أخاصمُ عند القاضي محمد بن سلمة ، فسعى عليّ عنده وأغرى بي ، فكنتُ إذا أتيتُ مجلسه خرج عليّ أمام الناس ، فشكوتُ ذلك إلى محمد ابن عمر بن لبابة ، وأردتُ أن أستعين به عليه ، وكان أكبر الناس عنده ، وأقربهم منه ، فقال لي ابن لبابة : لست أرى أن تستعدي عليه بي ولا بغيري ، غير أني أدلك على حالة أرجو أن تنتفع بها عنده ، وأن يرجع إلى ما تريد من الحقّ : تخين^(١) وقت مخلوة^(٢) ، فإذا صاح عليك فلا تهب^(٣) منه صياحه ، وقل له عند ذلك : يا قاضي المسلمين ، الله أولى بك .

قال لي ابن أبي الربيع : ففعلتُ ما دلّني عليه ابن لبابة ، وقلت له ما قال ، فأنكسر عند ذلك ورجع عما كرهتُ .

قال خالد بن سعد : سمعتُ محمد بن عمر بن لبابة يقول :

أتيتُ أنا والحبيب بن زياد إلى محمد بن سلمة ، لتعديل ابن شراحيل ، المعروف بالعجيزة ، فعدّ لنا عنده ، فقام الحبيب بن زياد وبقيت أنا عنده ، فقال لي القاضي : أبا عبد الله ، ما تقول في القاضي يعدلُ عنده الرجل ، وهو يعرفه بغير العدالة ، بأيّ شيء يأخذ : أبعله أو بتعديل المعدّلين له ؟ قال ابن لبابة : فقلتُ له : إذا سلّمه القاضي بالجرحة فذلك أولى أن يأخذه من قول المعدّلين ، فقال لي محمد بن سلمة : فإن هذا الذي عدّلتُم هو عندي غير عدل ، قال : فقلتُ له : أنت أحقُّ بعلمك ، ونحن قد عدّلتنا بمبلغ علمنا ، ومن عرفَ الباطنَ فهو أحقُّ من عرفَ الظاهر .

(١) الأصول : « تحيل » وما أثبتنا يتفق والسياق .

(٢) الأصول : « خلوة » ، بالحاء المهملة ، تصحيف .

(٣) لا تهب : لا تخف .

قال خالد بن سعيد :

فذكرتُ الحكايةَ لمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، فذكر أن محمد بن سلمة لم يكن يعرفُ ابن شراحيل بجرحة ، غير أن بعض جيراننا كانت له خاصةٌ من القاضي ، فأذاه عنده بِشئٍ كان بينه وبينه .

قال محمد : قال لي أحمد بن عبادَة :

كنتُ يوماً ماشياً مع محمد بن سلمة ، وهو على القضاء ، فلقينا إنساناً على رأسه غرارة ، فيها شيءٌ مستورٌ ، ويده كبير^(١) ، فأمر القاضي بكسر الكبير ، وعلم ولم يشك أن الغرارة مملوءة أكباراً ، فقال : أنزلوا الغرارة وانظروا ما فيها .

فقال أحمد بن عبادَة : فقلتُ له : ما عليك أن تفتش أمتعة الناس وخباياهم ، إنما عليك أن تُغيّرَ مظهر من المتكر .

قال : فأمسك عما أمر من تفتيش الغرارة .

ثم سرنا ، فلقينا محمد بن عمر بن لبابة ، فسأله عن ذلك ، فقال ابن لبابة مثل ما قلت له .

قال : فعطفَ عليّ فقال لي : لقد انتفعنا بصحبتك اليوم يارُعيني .

قال أحمد بن عبادَة : حكى رجلٌ كان يخدمُ محمد بن سلمة ويمشي معه ، قال :

بينما القاضي يوماً في بعض الأزقة ، ونظر إلى سكران ، فقال لي : خُذه حتى أقيمَ عليه الحدَّ ، فقال له السكران : تعال^(٢) أنت بنفسك

(١) الكبير ، محرّكة : الطبل ذو الوجه الواحد ، مولدة ، والجمع

(٢) الأصول : « تعالى » .

يا قاضى نخذنى ، والله لئن أخذتنى^(١) لأضربنك ضرباً وجيعاً . قال : فانصرف
محمد بن سلمة [عن]^(٢) طريق السكران وأخذ بغيره . ثم قال لى القاضى :
سمعت ما قال ؟ والله ما أظنه إلا كان يفعل ، الحمد لله الذى نجانا منه .

وكان محمد بن سلمة فى أول ولايته القضاء متحرراً عن محمد بن غالب ،
[فاضطر مرة]^(٣) إلى الرجوع مع محمد بن سلمة والمشى معه ، فلم يقبل
ذلك منه محمد بن سلمة وأمره بالانصراف استثقلاً له ، فانصرف عنه
محمد بن غالب ، ففى انصرافه لقي قتي من أصحاب الرسائل طالباً لأثر القاضى
يسأل عنه ، ويبيده كتاب من عند الأمير — رحمه الله — فعلم ابن^(٤)
الصفار متى ورده الكتاب لم يقيم للجواب ، فانصرف ابن الصفار فى أثر
الفتى حتى دخل المسجد الذى فيه القاضى ، فوجد الكتاب بيده والفتى
يحركه فى المجاوبة ، وقد بقى القاضى حائراً ، فلما نظر ابن سلمة إلى ابن
الصفار قال له : ما صرفك ؟ فقال له : أصلحك الله : لقيت هذا فعلت
أن قصده إليك ، فقفوت أثره لنكفيك المجاوبة وأصونك عن
الشخص^(٥) فيها ، فأمكنه القاضى من الجواب ، فأجاب عنه وأحسن ،
فشكر القاضى ما كان منه ، وعاد بحسن الرأى عليه .

ولم يزل محمد بن غالب بعد ذلك متبجحاً فى دولته ، مالكاً لأمره ، حتى
توفى سنة إحدى وتسعين ، وولى يآثره الحبيب .

(١) الأصول : « أخذتك » .

(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٣) تكملة يقتضيها السياق زدناها استئناساً بما فى الترجمة

الأسبانية .

(٤) ابن الصفار : كنية محمد بن غالب وبها عرف .

(٥) الشخص فى هذا : أى النظر فيها .

قال محمد :

وكان الأمير عبد الله بن محمد - رضى الله عنهما - من الأئمة المهديين ،
والخلفاء الفاضلين فى العبادة ، والمتقدمين فى الزهادة ، وكان أيامه رجلاً
من أهل الزهد والعبادة والفضل ، يعرف بالصيد ، فسأل الأمير - رحمه
الله - يوماً النضر بن سلمة ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
لا عهد لى به ، فقال له : مثلك لا يكون له عهد بالصيد ، فقمعه^(١) بذلك ،
ثم أدخل على نفسه محمد بن سلمة ، فقال له : متى عهدك بالصيد ؟ فقال له :
الساعة رأيت فى الجامع ، فملت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله ، فقال
له الأمير - رحمه الله : مثلك قرب عهده بمثل الصيد ، وعرف حقه .

وكان الأمير - رحمه الله - بمحمد بن سلمة معجباً ، لدينه وفضله
وصحته وسلامة صدره .

قال محمد :

فكان محمد بن سلمة قاضياً ما شاء الله من الأيام ، ثم عزله الأمير -
رحمه الله .

وكان السبب فى عزله إياه أن النضر بن سلمة أحب الرجوع إلى
القضاء ، وطمع فى ذلك لو عزل أخوه محمد ، فزين لأخيه مكاتبة الأمير -
رحمه الله - بالاستعفاء عن القضاء ، فقبل منه محمد وكتب يستعفى ، فأجابه
الأمير - رحمه الله - إلى ماسأل ، وعافاه من القضاء كما رغب .

(١) قمعه : كسره وأزله .

ذكر القاضي النضر بن سلمة المرّة الثانية

قال محمد :

ولما أسعف الأمير^(١) عبد الله بن محمد — رضى الله عنهما — قاضيه محمد بن سلمة بما سأل من المعافاة ، وعزله عن القضاء ، أعاد النضر بن سلمة إلى خطة القضاء ، وأقرّ محمد بن سلمة على الصلاة والخطبة ، فكان النضر القاضي ، وكان محمد بن سلمة صاحب الصلاة .

قال محمد :

سمعت غير واحد من أهل العلم يقول :
كان النضر في المرة الأولى أحمدَ منه في المرّة الثانية ، ولم يبلغ في القضاء الثاني مبلغه في الأول .

قال محمد :

وتصرّفت الحال بالنضر إلى أن رأى الأمير — رضى الله عنه — أن يستوزره ، فعزله عن القضاء وولاه الوزارة ، وجمع الخطتين : خطة القضاء ، وخطة الصلاة ، لمحمد بن سلمة .

(١) الأصول : « الأمير رحمه الله » ويبدو أن قوله « رحمه الله » مقحمة .

ذكر القاضى محمد بن سلمة المرّة الثانية

قال محمد^١: أخبرنى أحمد بن عبادة الرعنى^٢ ، قال :
لما ولى محمد بن سلمة خطة القضاء بكى ، كراهية لما قلده منها ، وكان
رجلا صالحا فاضلا ، صحيح المذهب .

قال محمد^٣ :
وقد قدمت من أخباره وذكر فضائله فى دولته الأولى ما لا يصلح
تكريره فى هذا الموضع .

قال محمد: أخبرنى فرج بن سلمة البلوى^٤ ، عن محمد بن عُمَر بن لبابة ،
وذكر أيضا خالد بن سعد ، عن ابن لبابة ، قال :

أرسل فى القاضى محمد بن سلمة ، فسألنى أن أعقد له كتاب وصيته .
قال ابن لبابة : فعقدتها على أنه أوصى بثلثه ، ثم ذهب يوزع الثلث
على ما يوصى به ، فوزع منه مثل عشرة دنانير ، ثم انقطع توزيعه .
قال ابن لبابة : فقلت له : ثم ماذا ؟ قال : هذا ثلثى فيها أحسب .

قال : فجعلتُ أُجبل بصرى فى داره ، فشعر بي^(١) ، فقال : والله مالى
فيها شيء - يعنى فى رقبة^(٢) الدار - وإنما لا بنتى عافية .

(١) الأصول : « لى » ولا يستقيم بها المعنى .

(٢) كذا ، ولعله يريد : كل ما يتصل بالدار .

قال محمد بن عمر بن لبابة :
فلما توفى حضرتُ تحصيل تركته ، فبلغ نحو ثلاثين . أو خمسة
وثلاثين ديناراً .

قال محمد :
وتوفى محمد بن سلمة في أيام الأمير عبد الله بن محمد — رضى الله
عنهما — قاضياً غير معزول .

قال محمد : أخبرني بعض أهل العلم ، قال :
ولما اشتد بمحمد بن سلمة مرضه ، ولم يستطع الخروج إلى الخطبة
بالناس يوم الجمعة ، سأله ولده أن يكتب إلى الأمير ويسأله أن يستخلفه
على الصلاة ، فقال : والله ما أفعل ، ولا أختار لصلاة المسلمين ، وأشير
بتقديمه على الأمير إلا من يستحقها ، ومن هو أهل لها . وكتب إلى
الأمير يشير عليه بمحمد بن عمر بن لبابة ، فقبل الأمير — رحمه الله —
رأيه ، وأمر ابن لبابة بالصلاة .

قال محمد : ذكر لي بعض رواة الأخبار ، قال : لما مات محمد بن
سلمة نظر الأمير عبد الله في قاض ، وعزم على أبي الغمر بن فهد ، وأمر
بالإرسال فيه ، فكان غائباً في ضيعته بقبرة ، وافترق الوزراء ، وعرف
جذمير العجمي ، فلما خرج من القصر جذمير أتى أحمد بن محمد فأعلمه
بما كان ، وقال : عجبا منهم أن يكون مثلك من بيت القضاة يطرح^(١) .

ثم قال له : سأخلّص^(٢) عنك البينة ، فإن كان لك في البيت من يذكر
ويشير بك فعل ، فانصرف الحبيب فاجتمع مع عبد الله بن الزجالي ، وتكلم

(١) الأصول : « يطرح عنك » . والزلّى ما اثبتنا .

(٢) الأصول : « وسأخل » .

معه في ذلك ، ثم تكلم مع محمد بن أمية ليلته تلك أيضا ، ثم أصبح جزمير
فدخل على عبد الله ، فقال له : إني هممت بالرجوع إليك عشية أمس ، غير
أنى كرهت تحريكك ، خرجت فوجدت جملة من المساكين يبيكون
أنفسهم ، ويقولون : عزم الأمير أن يولى ابن فهدٍ ، فإنّ ولاءه أكل
أموالنا ، برغبته وحرصه ، وأنك أحباستنا ، فقال الأمير : والله إنّ فيه
لرغبة ، ثم أدخل الوزراء فأعلمهم أن رأيه حال عن ابن فهد ، فأشار ابن
الزجال بالحبيب ، وذكر أن ابن أمية أوصى إليه ببنتاته ، وأرسل^(١) إلى
كتاب وصيته .

فنظر إليها الأمير ، فأمر بتوليته القضاء ، فولّى .

(١) الأصول : « فى » وما أثبتنا أولى بالسياق .

ذكر القاضى الحبيب أحمد بن محمد بن زليد اللخمى المرة الأولى

قال محمد :

ولما توفى القاضى محمد بن سلمة أمر الأمير — رحمه الله — محمد بن أمية ، صاحب المدينة يومئذ ، أن يقبض الديوان ، وأن يجعله بمكان الحفظ والصيانة ، حتى يؤول القضاء من يرضى ، فيصير إليه ^(١) نظره ، ففعل ذلك ، وبقي الناس لا قاضى لهم برهة من الزمان .

وكان الأمير عبد الله بن محمد — رضى الله عنه — فى ذلك الوقت يستشير ويستخير ، ويكرر النظر ^(٢) ، ويقلب الرأى فيمن يقلده القضاء بعد محمد بن سلمة ، فجمع الوزراء يوماً من الأيام ، وجعل يشاورهم فى قاض ، فقام إليه محمد بن أمية فقال ، أصلح الله الأمير ، إن الرجل لا يعهد بوصيته ، ولا ياتمن على ولده وماله ، غير أوثق الناس ، وهذه وصيتى فانظر إلى من أسندتها ، فقال له الأمير : صدقت ، ثم نظر إلى كتابه فوجده قد أسندها إلى الحبيب أحمد بن محمد بن زياد ، فقبل منه الأمير — رحمه الله — رأيه ، وولى القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير اللخمى ، وذلك فى سنة إحدى وتسعين ومائتين .

(١) الأصول : « الى » .

(٢) الأصول : « ويتكرر بالنظر » .

قال محمد^١ : قال لي غيرُ ما رَجُل من عُقلاء الناس وعلمائهم :
كان القاضي أحمدُ بنُ زياد ، المعروفُ بالحبيب ، أَكَلَ الناسُ أدباً ،
وأكثرهم بالصدق برّاً ، وأكرمهم عِنايةً ، وأقضاهم حاجةً ، في ماله
وحرمة ، وكان حَسَنَ المِداراة ، لطيفاً في الأمور ، طَلوباً^(١) إذا طُلب ،
صبوراً على المِقاَرَة والمواصلة .

قال محمد^٢ : وذكر بعض أهل العلم ، قال :
لم يزل أحمدُ بن محمد بن زيادٍ في حداثة سنه أثيراً عند الخلفاء —
رحمهم الله — شاوره الأميرُ محمدُ مع الفقهاء في بعض الأفضية ، واستسقى
بالناس في أيام الأمير المنذر — رحمه الله — مديلاً^(٢) للقاضي أبي معاوية ،
من غير ولاية ، فسُقي ونزل الغيثُ .

قال محمد :

وكان الحبيبُ من أوفر الناس [مالا]^(٣) ومُسلّتهم^(٤) ، وكان بصيراً
بالتجسّر^(٥) عارفاً بوجوهه .

قال لي بعضُ الشيوخ :

إنما كانت المنّةُ على الحبيب في ماله للقاضي سليمان بن أسود ، فإنه كان
يُعنى بالحبيب في مبتدأ أمره ، لا مال له ، فدعاه سليمان فوعظه ، ووصّاه
بالنظر لنفسه ، والاكتساب لها ، وعرفه بحرمة المال وجسيم منفعته ،

(١) طلب : طالب وراغب .

(٢) مديلاً للقاضي ، أي حالاً محله .

(٣) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٤) الأصول : « أُمْلئناهم » يريد : جمع : ملئ ، وهو الكثير المال ،

والمسموع في جمعه ما أثبتنا .

(٥) التجر ، بالفتح : التجارة .

ودلهُ على باب التجر وحضه عليه . فقال له الحبيب : إن التجر لا يكون إلا بمال ، وأنا لا مال لي ، فسكت عنه سليمان أياماً ، ثم دعا فأودعه خمسة آلاف دينار ، وقال له : حررها ، واتجر بها لنفسك ، فكانت نصاب ماله ، ومفتاح كسبه .

قال محمد^(١) :

ولما ولي القضاء الحبيب أحمد بن محمد بن زياد^(٢) ، وذلك في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، لم يقبل الرأي من أشار به عليه حتى يقبدهُ على نفسه بخط يده . فكان أول قاض ضم أهل الفقه المشيرين عليه في أقضيته إلى ضبط فتايم ، وزمام رأيهم بخط أيديهم ، ولم يسكل ذلك إلى خط كاتبه ، ولا إلى خط نفسه ، ثم تكلف بعد ذلك تأليف تلك الأقضية ، وجمع تلك الأحكام ، فجعل منها أجزاء فيها بلاغ لمن نظر فيها ، ولا تقصير في صونها^(٣) .

وكان قد قعد عنه في قضائه هذا الأول الشيخان : محمد بن عمر بن لبابة ، وأيوب بن سليمان ، وكانا في وقتهما شيخى البلد وعظيميه علماء وفقهاء ، مع السن والجلال من سعة^(٤) العلم ومُعانة^(٥) الفقه ، مع كثرة الدربة ، وطول المراس^(٦) ، وقديم المعانة ، والرسوخ الكامل في مذاهب^(٧) الرأي ، وطرق الفتيا ، فلما نظر الحبيب إلى تفاقلهما وقعودهما عن إتيانه ، استغنى بمحمد بن وليد الفقيه ، وبمحمد بن عبد الملك بن أيمن ، عن الشيخين برهة من الزمان ، وحيناً من الدهر ، ثم سعى في إصلاح ذلك ،

(١) الأصول : « صوانها » والمسموع ما أثبتنا .

(٢) الأصول : « صنعة » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٣) الأصول : « ومعاني » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٤) الأصول : « المراساة » والوارد ما أثبتنا .

(٥) الأصول : « مذهب » .

وتألفه عمرُ بن يحيى بن الثُّبابة ، وكان قد فسد في ذلك الحين ما بين الشيخين أيضاً : محمد بن عمر بن لُبابة ، وأيوب بن سُلَيان ، فجمع عُمر بينهما عند أسلم ابن عبد العزيز ، وجعل شرطهما في الإصلاح الاجتماع على إزالة محمد بن أيمن عن مكانته عند الحبيب بن زياد ، فدارت في ذلك بينهم أحوالٌ طويلةٌ الوصف ، على ما يكونُ بين الضَّدين ، ولا ضدَّ أكبر من المزاومة والمنافسة في الدرجة ، ولا سيما إن جرياً إلى غاية واحدة بأهواء مختلفة ، واختلقت حظوظهما في القسم ، فكان أحدهما يتناولُ بالعلم والنباهة ، ووجد كل واحدٍ منهما حق صاحبه ، ولم يُقرر له بما يَنْتَحِلُ ، ودافعه فيما يقول .

قال محمدٌ : أخبرني بعضُ الشيوخ ، قال :

تقدم رجلٌ كهلٌ إلى الحبيب بن زياد ، فشهد عنده بشهادة ، فقال له القاضي : من؟ كم؟ عرفت هذا الأمر؟ فأجابه الشاهد بجواب أخرج فيه الكلام على وجه المبالغة والرَّمي إلى الغاية ، فقال له : مذ مائة سنة ، فقال له القاضي : ابن كم أنت؟ فقال له : ابن ستين ، فقال له : فكيف عرفت هذا الأمر مذ مائة سنة؟ أترأى عرفتُه قبل أن تولد بأربعين عاماً؟ فقال له الشاهد : إنما قلت ذلك على المثل ، فقال له الحبيب : إن الشهادات لا تُشَدَّى بالمثل ، ثم دعا للشاهد بالسوط فققعه به مراتٍ ، ثم قال : لو أنَّ إبراهيم بن حسين بن عاصمٍ كَتَفَظَ من مثل هذا ما صلبَ إنساناً بغير حق .

قال محمدٌ :

وكانت قصةُ المصلوب الذي صلبه إبراهيم بن حسين ، أن الأميرَ محمداً — رحمه الله — حدثت في أيامه مجاعةٌ شديدة ، فكثرت فيها التناول

من الفسدة^(١) ، لفضل^(٢) ما كانوا فيه من ضر السنة ، وكثرت^(٣) الشكوى بذلك إلى الأمير - رحمه الله - وكثر عليه من الأحكام استطلاع رأيه في الصلب والقطع وما أشبهه ، فولى السوق حينئذ إبراهيم بن حسين ابن عاصم ، وأمره بالاجتهاد ، وعهد إليه بالتحفظ ، وأذن بالتنفيذ في القطع والصلب بلا مؤامرة منه ، ولا استئذان ، فكان إبراهيم يجلس في مجلس نظره في السوق ، فإذا أتى^(٤) بالفساد المفدح^(٥) ، قال له ، اكتب وصيتك^(٦) ودعا له بشيوخ فاشهدهم على ما يوصى به ، ثم صلبه ونحره ، فكان بين يديه من المصلبين عدد عظيم ، فأتاه قوم بفتى من جيرانهم ، فشكوا منه إليه تطاولا ، على ما يكون من أشرار الأحداث ، وهم لا يشكون أنه سيزجره الزجر القوي ، وإن أفرط في عقابه فالسجن ، فقال لشيخ منهم ، ما يستحق عندك ؟ فقال على وجه المثل والمبالغة في الوصف : ما استحق هؤلاء . وأشار إلى المصلبين ، فقال له إبراهيم بن حسين ولأصحابه : انصرفوا ، ثم قال للفتى : اكتب وصيتك ، فقال له : أتق الله في ، فإنه لم يبلغ ذنبي أن أستحق القتل والصلب ، فقال له : بذلك شهد عليك الشهود ، فقتله وصلبه . فلما بلغ الشهود ذلك أتوه فقالوا له : لم يشهد عندك على الفتى بذنوب يجب فيه القتل ، فقال : أو لم يقل قاتلكم : إنه يستحق ما يستحق هؤلاء ؟ فقالوا له : على المثل . قال : فإثم ذلك في رقابكم إذ لم تحسنوا الإبادة عن^(٧) أنفسكم .

(١) هذا هو السموم في جمع فاسد أما فسيد ، فجمعه : فسدى ، بفتح فسكون ففتح .

(٢) لفضل ، أى لزيادة .

(٣) الأصول : « وكثر » .

(٤) الأصول : « أتى » .

(٥) يريد : المفرط ، وهى غير واردة ، يقال : فدحه الأمر ، اذا

أثقله ، وأفدحه هو ، اذا وجده ثقيلًا ولعل صوابها : الفادح .

(٦) الأصول : « وصيته » .

(٧) الأصول : « من » .

قال محمد :

بلغنى أن الحبيب جلس إلى مائدته رجل^١ من السوق ، كان له صنعة^٢ ، وكان السوق قد أخرج في كفه من بيته خبزاً يتغذاه في حانوته في داخل^(١) ، فخطر بالقاضى الحبيب في صدر النهار ، فأمره بالمُتَّقام حتى حضرت المائدة ، فتقرَّب^(٢) الرجل وأظهر مزاحاً سمجاً ، فأخرج خبزه من كفه ، ثم قال : أما أنا فقد أتيْتُ بُخْبِزِي مع نفسى ، ففنه آكلُ ، وكان الحبيب شريفَ الهمة ، شديدَ اليقظة ، فقال له : ويلك ، إنَّ هذا الكلامَ وإن كان مزاحاً ، فإنه عادة يبقَى ، ثم قال لعلامه ، خذ بيده وأرقه^(٣) عن المائدة ، وأخرجه ، فليس مثل هذا يُسْتَحْصُ .

قال لى عثمان بن محمد :

كان بين الحبيب بن زياد ، قبل أن يلى القضاء وبين جعفر بن يحيى بن مُزَيْن سبب من شجناه وضغن ، وكان جعفر ممن يصلى في المقصورة ، فلما ولى الحبيب القضاء أمر بعض القوَّمة^(١) يوم الجمعة : إذا أتى جعفر ابن يحيى بن مزين ليدخل من باب المقصورة ، فليسبق [إلى] ^(٥) الباب ويغلقه في وجهه ولا يُدْخِلْهُ ، ففعل ذلك به ، فقال جعفر لى جانب الباب من خارجٍ وصلى ، ثم انصرف إلى بيته .

فيقال إنه ظهر به يرقان^٢ ، فمات إلى الثَّالثِ ، وهذا فيما ذكرناه من مُطالبة الحبيب لمن شذَّ عنه .

(١) الأصول : « فى داخل النهار » ويبدو أن كلمة « النهار » مقحمة .

(٢) الأصول : « فتقرب » .

(٣) الأصول : « وأقم عنهم » .

(٤) القومة : من يقومون بتنفيذ أمر السلطان ، ولعلها جمع قائم .

(٥) تكملة يستقيم بها الكلام .

قال محمد^(١) : ذكر بعضُ أهلِ العلم ، قال :

إن محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن الجَبَّاب ، امتدَّ إليه رَجُلٌ من جيرانه ، وهو حَدَثُ السنِّ يومئذ ، فقال منه بسبب النَّفَسِ^(٢) الذي كان يتعادي به الجيران ، فتقدم محمد بن إبراهيم إلى الحبيب بن زياد ، في دولته الأولى ، مشتكياً الرجل^(٣) ، فأمر الحبيب بحبسه ، فشفعَ في إطلاقه محمد ابن عمر بن لبابة ، وأبو صالح أيوب بن سليمان ، وقالوا له : تحبس رجلاً بدعوى خصمه ، فأبى الحبيبُ إطلاقه^(٤) ، وقال : كان أبي وعمي لا يلتسمان على من شابه^(٥) أهل العلم ، ومن يوسم بخير ، ظهيراً ، ولم يطلق الرجل إلا لمن حبسه له .

قال محمد :

إن كانت هذه الحكاية صحيحة عن الحبيب ، فهي من فلتات الرأي ، وعثرات الجهل ، وما حكى من ذلك عن أبيه وعمه ، فقد لا يصح ذلك ، ولو صح لم تقم له به حجة على مذهب الحق الذي لا يمتدري فيه بشر ، وآية الصِّدْق في ذلك أن أفضل الناس ديناً وعِلْماً وأدباً ومروءة لو ادعى على أحد فُلَسْأ لم يُعْطَ بدعواه ذلك الفُلَس ، فما هو أعظم من ذلك من الحبس والعقاب أحق ألا ينفذ لأحد بدعواه ، غير أن من اجتهد في الإصابة فتوا به مرجوئاً ، وَوَزِرُ الخُطَا الذي لا يملكه عنه مرفوع ، والله المطلع [على]^(٥) خفيِّ الضمائر ، والعالم بسرائر النِّسيات ، وليس الخطأ بغيبٍ على الراسخ في العلم ، ولا الزلل منسكور على أهل الفهم ، قال الله تبارك وتعالى

(١) النفس ، محركة : العداء .

(٢) الأصول : « بالرجل » .

(٣) الأصول : « من إطلاقه » .

(٤) الأصول : « شكاً به » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

(وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) ^(١) ، فشهد الله عز وجل لنبيه سليمان — عليه السلام — بالإصابة ، ولم يذمم داود بالخطأ ، ثم أثنى عليهما معاً فقال تعالى (وكلاً آتينا حكماً وعلماً) .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن محمد بن زياد قاضياً في دولته الأولى ، من سنة إحدى وتسعين ومائتين إلى أن توفي الأمير عبد الله بن محمد رحمه الله . فلما ولي أمير المؤمنين ، أطال الله بقاءه ، الخلافة ، أقرَّ أحمد بن محمد بن زياد على القضاء مدة يسيرة ، ثم عزَّله .

(١) الأنبياء : ٧٨ : ٧٩ .

ذكر القاضى اسلم بن عبد العزيز

قال محمد :

هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن
حُسين بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان ،
رضى الله عنه .

وولاهم لعثمان بن عفان — رضى الله عنه .

كان عظيم القدر ، شريف البيت ، كريم الأبوة ، معروف النصيحة ،
ظاهر الإخلاص للخلفاء — رضى الله عنهم — مَعَ الجلالة في العلم ،
والإدراك في الرواية ، والرحلة في الطلب ، والصحة في الديانة .

سمع بالأندلس من علمائها ، ثم رحل فلقى بمصر : محمد بن عبد الله بن
عبد الحكم ، وإسماعيل بن يحيى المزنيّ ويونس بن عبد الأعلى ، وسليمان
ابن عمران بالقيروان ، وذلك في سنة ستين ومائتين .

قال خالد بن سعد : سمعت أسلم بن عبد العزيز ، يقول :

دخلت حمام الاصطبل يوماً ، فلما خرجتُ لقيتُ محمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم راكباً على حمار ، فسلم عليّ ، وكان قد عَرَفَنِي بِسَمَاعِي
منه ، فقال لى : من أين أقبلت ؟ فقلت : من الحمام ، فقال : وأى حمام (١) ؟
قلت : حمام الاصطبل ، فقال : مثلك يدخل حمام الاصطبل ؟ فقلت له :

(١) الأصول : « وأى الحمام » .

وما شأنه ؟ فقال لى : هو مغضوب لا يحل دخوله ، فقلت له : ومن غصبه ؟
فقال : كان لبنى أمية ، فقلت له : مهما حُرِّم على أحد فإنه لى حلالٌ ،
فقال لى : وكيف ذلك ؟ فقلت له : الحرامُ لهم وأنا منولى القوم .
قال : فضحك ابن عبد الحكم :

قال أسلم : فكنت إذا أتيتُ مجلسه بعد ذلك ، وقد كثر الناسُ فيه ،
قال خف^(١) إلى هاهنا ، فيُسدَّ نِيتي ويكرمنى ، ويقول : من طريق
ذلك الطريق .

يعنى ابنُ عبد الحكم أنَّ ولاءَه أيضاً لبني أمية ، رضى الله عنهم .
قال محمد :

ولما قضى أسلم بالمشرق حبيبَه وسَماعَه انصرف ، فقال الوجاهة
العظيمة ، والمنزلة الشريفة .

وكان أميرُ المؤمنين — أطال الله بقاءه — عارفاً بمذاهبه الحسنة ،
ومروءته السكاملة ، وأوصافه المحمودة ، فلما عزَلَ أحمد بن محمد ابن
زياد عن القضاء ولَّى أسلم بن عبد العزيز قضاء الجماعة بقرطبة سنة ثلثمائة
يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة ، فسُدَّ كَرَّ بالسالمين من عيون
القضاة [فى]^(٢) لإيثار الحق ولمُضائيه ، وكان صارماً صلياً ، لا هَوادة
عنده لظالم ، ولا مُدَّة أهنة مع مُبْطَل .

قال محمد : أخبرنى مَنْ أَدْبَقُ به من أهل العلم ، قال :
كان بقرطبة رجل أعجمى ممن استنزل من الحصون المخالفة ، وكانت له
امرأةٌ مُحَرَّةٌ مُسْلِمَةٌ ، فاستجارت بالقاضى أسلم بن عبد العزيز فأجارها ،

(١) الأصول : « خلف » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

(٢) تكملة يقتضيها السياق .

وبدأ بالنظر في أمرها . وكان في ذلك الوقت الحاجب بدر بن أحمد يحل من أمير المؤمنين - رحمه الله - محلاً لطيفاً . فلم ينشب القاضي أسلم^(١) أن أتاه يعلى ، عن الحاجب بدر فقال له : الحاجب يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن هؤلاء العجم إنما استنزلناهم بالعهد ، ولا يحل الخقر^(٢) بهم ، وأنت أعلم بما يجب من الوفاء بالعهود ، فدع ما بين فلان العجمي وما^(٣) بين الأمة التي في يديه ، فقال أسلم ليعلى : الحاجب أرسلك بهذا؟ قال : نعم ، قال : فأخبره عنى : الأيمان كلها لازمة لى ، لا نظرت بين اثنين حتى أنفذ على العجمي ما يجب عليه من الحق في هذه الحرة المسئلة التي في يديه ، فذهب عنه يعلى ، ثم رجع إليه ، فقال : الحاجب يقرأ عليك السلام ، ويقول : إني لا أعترضك في الحق ، ولا أستحل سؤال ذلك منك ، وإنما أسالك التثبت فيما يجب من حق هؤلاء المعاهدين ، فقد علمت ما يجب من رعايتهم ، وأنت أعلم بالواجب .

قال محمد :

وكان القاضي أسلم بن عبد العزيز شديد المبادأة^(٤) في الحق ، قليل المداورة فيه ، وكان ربما أخرج ذلك بلفظ نادر ، ومعنى طيب ، يعجب بمعناه من جهة الرأى ، ويستندر لفظه من جهة النادر والفكاهة .

أخبرني مخبر من أهل العلم ، قال :

دخل أبو صالح أيوب بن سليمان ، وسعد بن معاذ ، على القاضي أسلم ، فلما أخذوا مجلسيهما ، نظر إليهما أسلم ، ثم قال : ألقوا ما أتم ملقون ، فأبهتاهما بنادر لفظه ، وبصدق معناه .

(١) الأصول : « وأتاه » .

(٢) الأصول : « الحقد » وما أثبتنا هو الصحيح .

(٣) تكملة يقتضيهما السياق .

(٤) الأصول : « المبادئة » ولعلها محرفة عما أثبتنا .

قال :

ودخل عليه محمد بن وليد الفقيه يوماً ، فكلّمه في شيء ، فقال له
أسلم سمعنا وعصينا : فقال له : ابن وليد : ونحن قلنا واحتسبنا .

قال :

ودخل عليه رجلٌ ممن كانت له خصومة ، فقال له : قد أتيتك برجل
يشهد لي من إشبيلية يدخل ، فأظهر التعجب من ذلك ، وكأنه اتهمه ، فلما
صار الشاهد بين يديه ، قال له القاضي : محتسب أنت أو مكتسب ؟ فصادف
عند الرجل انكفةً ، فقال له : ما عليك يا قاضي أن تسألني عن مثل هذا ،
إنما عليّ أن أقول وعليك أن تسمع ، ثم أنت بالخيار ، إن شئت فاقبل
وإن شئت فلا تقبل ، قال : فأخجل أسلم كلامه وصحة معناه ، ثم قال :
قل ، فقص الرجل شهادته ، ثم وضع يديه في الأرض وقام عنه .

ومن المستفيض عنه قوله لرجلٍ من أهل لبلة ، وقد أتاه وسَلَّم عليه ثم
جلس ، ثم قال : تعرفني يا قاضي ، قال له : لا ، قال : أنا قاضي لبلة ،
فقال أسلم : ما تنكر لله قُندرة .

وبلغني أنّه بلغه عن بعض الفقهاء أنّه أقبل^(١) إليه ليشهد عنده
شهادة قد أهدى إليه صاحبها بساطاً ، فلما دخل عليه ونزع أخفافه وهم
أن يمشي على البساط قال : تحفظ من البساط ، فلم يجدر أن يشهد بما أتى
ليشهد فيه .

قال محمد : وسمعتُ من يحيى .

أنه جاء رجلٌ من النصاري مستقتلاً^(٢) لنفسه ، فوبخه أسلم ، وقال :

(١) الأصول : « يقبل » .

(٢) مستقتلاً لنفسه : مسلمها للقتل .

ويُلك ، من أغراك بنفسك أن تقتلها بلا ذنب ؟ فبلغ من سخف النصراني وجهه إلى أن انتحل له فضيلة لم يقرأ بمثلها (١) لعيسى (٢) بن مريم — صلى الله على محمد وعليه — فقال للقاضي : وتتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول ؟ فقال له القاضي : ومن المقتول ؟ فقال له : شبيهى يلقي على جسد من الأجساد فتقتله ، وأما أنا فأرفع في تلك الساعة إلى السماء ، فقال له أسلم : إن الذى تسعيه من ذلك غائب عنا ، والذى يخبرك به من تكذيبك غائب عنك ، ولكن ثم وجه يظهر صدقه لنا والك ، فقال له النصراني : وما هو ؟ فالتفت أسلم القاضي إلى الأعوان ، ثم قال : هاتوا السوط ، ثم أمر بتجريد النصراني ، فـجُرِدَ ، ثم أمر بضربه ، فلما أخذته الشياطين جعل يقلق ويصيح ، فقال له أسلم : فى ظهر من تقع هذه الشياطين ؟ فقال : فى ظهري . قال له أسلم : وكذلك السيف والله فى عنقك يقع فلا تتوهم غير ذلك .

قال محمد :

فكان أسلم قاضياً محمود السيرة ، مَشْكُور الحال ، من سنة ثلثمائة إلى آخر سنة تسع وثلثمائة .

وكان صاحب الصلاة فى تلك المدّة محمد بن عمر بن لبابة .

وكان أمير المرمين كثيراً ما يخلف (٣) أسلم بن عبد العزيز فى سطح القصر إذا خرج فى مغازيه .

ثم ألح أسلم على أمير المرمين — أطال الله بقاءه — فى الاستعفاء من القضاء ، فعافاه منه .

(١) الأصول : « بمثلها » .

(٢) تكملة يستقيم بها السياق .

(٣) الأصول : « يتخلف » ولا يستقيم بها المعنى .

قال محمد : قال لى محمد بن عبد البر :

كنت بين يدى أسلم جالساً حين^(١) أتماه الفتى من عند أمير المؤمنين
— أعزه الله^(٢) — بأمر عزله عن القضاء ، قال : فوَجِمَ ثم أطرق
ساعة ، ثم قال : الحمد لله الذى عافانى منها ، فطالما سألته ذلك .

قال محمد بن عبد البر^(٣) : فأكدت بصيرته فى ذلك ، وذكرته بكثرة
تنبيهه للعافية منها .

قال لى بعض رواة الأخبار :

وكان فى ذلك الوقت مرشحاً للقضاء رجل ، كان فى أبويه معجزة ،
فلما عزل أسلم وولى الحبيب ، جعل أسلم يقول : الحمد لله الذى جعلنى
من يقول : لا إله إلا الله ! يعرض بالرجل المرشح الذى كان
آباؤه عَجَمًا .

(١) الأصول : « حتى » وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٢) الأصول : أمر بعزله « والأصح ما أثبتنا .

(٣) الأصول : « عبد الله » وصاحب الخبر هو : محمد بن عبد البر
المتقدم ذكره فى صدر الخبر .

ذكر القاضي أحمد بن محمد بن زياد المرّة الثانية

قال محمد : قال لي بعضُ رُواة الأخبار . وكان السببُ في إعادة الحبيب إلى القضاء ، أنَّه لما ولى أسلم القضاء أذلَّ الحبيب في نفسه وفي صنائعه ، واستقصى عليهم ، وركب إلى الحبيب بنفسه وهدم عليه حائطٍ مَسْبِيَّة^(١) ، وأخرج منها إلى الطريق صفيين من شجر ، بما ثبت عنده ، فجعل نفسه الحبيب في الطلب ، فأول ما بدأ باستصلاح أمٍّ وَلَدَ بدر ، فلما أصلح جانبها أصلحت له جانب بدر ، فاختلف إليه الحبيب مرَّات ، ثم قال له يوما : نسيتني يا أبا الغصن ، ففكر في أوليائك وفي أعدائك ، ثم أين تجعلني وأين تجعل أسلم ؟ فلما عنه بدر وقال : لست بالله أغفل أمرك .

ثم تأهب أمير المؤمنين لغزوة من الغزوات ، فخرج الحبيب مُشيعاً لبدر ، فقال له : إن الأمير لا يعرفك بالمخالطة حق المعرفة ، ولكن كاتبه في هذه الغزاة ، ووال بالكتب ، ثم إذا كان القفل^(٢) فإخرج ، وأبدر^(٣) الناس إلى التلقى بنا . ففعل ، فكاتب وألح بالكتب وجووباً ثم خرج عند القفل فتلقى الأمير على مسيرة يوم ، فأمره الأمير ، فتقرَّب وواكب ، وأخلى له بندر موضع المواكبة ، وكان الحبيب كثيرَ الخبر ،

(١) المنية ، بالكسر : الضاحية (تاج العروس : منى)

(٢) القفل : الراجعون ، اسم جمع .

(٣) أبدر الناس : كن أسرعهم .

فاستولى بالحديث على الأمير نسقاً واحداً ، إلى منية نصر ، فاستحيا منه أمير المؤمنين ، وتكلم في أمره مع بدر ، ثم ولّاه ذلك الوقت القضاء ، وأظهر إسعاف أسلم بما كان يسأل من الاستعفاء .

قال محمد :

ولما عافى أمير المؤمنين — أعزه الله — أسلم بن عبد العزيز وعزله عن القضاء ، أعاد أحمد بن محمد بن زياد إلى قضاء الجماعة وإلى الصلاة ، فلما ولي تعنت^(١) أمناً أسلم بن عبد العزيز وامتنحهم في الودائع ، واضطرهم إلى إحضار ما بأيديهم من الأموال .

قال لى أحمد بن عبادة :

فلقد سررت إلى الحبيب ، وهو جالس في المسجد الجامع ، يمتحن الناس ، ويكشفهم عن الأموال ، جلست ساعة ، ثم قمت عنه ، في حين لا يقوم عنه قائم إلا ياذنه ، وبعد فصل من أمره ، فنظر إلى الحبيب نظرة ، فأخبرني من كان إلى جنبه ، وقد^(٢) التفت إلى إذ قمت ، فقال : ما أرى على الرجل في الديوان شيئاً ، يعنى مالا ، قال : فقلت : ما أرى ذلك .

قال أحمد بن عبادة : ولم أشعر بعد أيام حتى أتى رسول القاضى الحبيب يأمرني بالإقبال إليه ، فأقبلت ، فقال لى : وجدت لك اسماً في الديوان يقبض مال ليتيم ، ولم أجداك منه براءة ، قال : فقلت له : اليتيم حتى رشيد ، وقد أطلقته من الولاية ، وبرئت له من جميع^(٣) ما كان له عندي : فإن أتاك يدعى شيئاً مما كان عندي فهو المصدق بلا بينة ولا يمين

(١) تعنت : آذى .

(٢) الأصول : « قال » وما أثبتنا يتصل به الكلام .

(٣) الأصول : « بجميع » ويبدو أنه محرف عما أثبتناه .

فقال : ولا كل هذا . إنما كرهت أن يكون ذكرك في الديوان بقبض
مال بغير ذكر البراءة منه . ثم خرجت عنه .

قال محمد :

ولم يزل الحبيب قاضياً في المرة الثانية وصاحب الصلاة حتى توفي غير
معزول ، في سنة عشرة اثنى وثلاثمائة .

ذكر القاضي أسلم بن عبد العزيز المرّة الثانية

قال محمد :

ولما توفّي القاضي أحمد بن محمد بن زياد أعاد أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أسلم بن عبد العزيز إلى القضاء ، وولى أحمد بن بقيّ بن مخلد الصلاة ، فكان أسلم بن عبد العزيز صنيع الحبيب في الاستقصاء على الأمانة ، فوقف أسلم بن عبد العزيز أمانة الحبيب موقف الامتحان والاستقصاء .

قال محمد :

وكان أسلم في قضائه هذا الثاني قد أدركه الوهن ، وأخذت منه السنّ ، فانكسر بعض الانكسار ، غير أنه [كان]^(١) باقى الفطنة ، مجتمع الفهم ، يُقرأ عليه العلم ، وتعرض عليه الكتب ، من فنون الحديث ، وأبواب الفقه ، فلا يزول عنه من الصواب شيء ، ولا يشذ عنه من المعاني ما يشذ على مثله من أهل الكبرة والسن ، كان كذلك حتى كف بصره ، وضعف بدنه ، وعجز عن التصرف ، فعزله أمير المؤمنين - أعزه الله - عن القضاء سنة أربع عشرة وثلثمائة ، ثم كانت وفاة أسلم بعد ذلك إلى سنين سنة سبع عشرة وثلثمائة .

(١) تكملة يستقيم بها الكلام .

ذكر القاضى

أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد

قال محمد :

ولما عَزَلَ أمير المؤمنين . أعزّه الله : أسلم بن عبد العزيز عن
القضاء ، ولى أحمد بن بقى بن مخلد قضاء الجماعة ، وأقرّه على الصلاة التى
كان عليها ، وذلك فى سنة أربع عشرة وثلثمائة ، فكانت مذاهبه محمودة ،
وسيرته حسنة ، وهديه جميلا ، وكان له من الوقار والإخبات^(١) ما بذّ به
أهل زمانه ، وفات فيه أهل عصره .

قال محمد :

جالست أحمد بن بقى زماناً ، فرأيتُه عاقلاً ، حصيفاً ، داهياً ،
أديباً ، وكانت له أخلاق كريمة ، وآداب لطيفة ، وكان يحسن ما يحاوله
قولا وفعلًا ، وكان مجيدا فى لفظه ، مبيّنا فى كلامه ، بليغ اللسان فى
خطبته ، طويل القلم فى كتبه ، وكان أنيس المجلس ، كثير الحكايات .

قال محمد :

وسمعت ولى عهد المسلمين — أبقاه الله — وقد ذكر أحمد بن بقى ،
فوصف من صدقه وتواضعه ، فقال فيما ذكر : قال لى الحاجب موسى
ابن محمد بن حدير : سألت أحمد بن بقى عن نسبه وولائه فقال : ولاؤنا
لامرأة من أهل جيّسان .

(١) الإخبات : الخشوع .

قال محمد :

ثم جعل ولي العهد — أبقاه الله — يعجب من صدقه وإنصافه، وقال :
لو شاء لادّعى أشرف الأنساب ، ثم لا يجد في ذلك مكذباً .

قال محمد :

ومما يحكيه الناس عن موسى بن محمد الحاجب ، أنه قال : عافانا الله
من أحمد بن بقى أنه مال إلى الآخرة وطريقها ، ولو مال إلى الدنيا
لشغلنا بأنفسنا .

قال محمد :

ولم يزل أحمد بن بقى مُزكّان في حدّاته سنّة مُعظماً ، موسوماً
بالخير ، معروفاً بالفضل ، ظاهر السرد ، شاوره الأمير عبد الله ابن محمد
وهو ابن خمس وعشرين سنة .

قال محمد : وسمعت بعض أهل العلم يحكي ، قال :

أرسل الأمير الوزير في أبي مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى ، وفي
أبي عبد الله أحمد بن بقى بن مخلد ، فشاورهما في بعض الأمر ، ثم
انصرفا ، فلما خرجا جعل نصر^(١) بن سلة يحدث أصحابه ويعجبهم من تغير
الأحوال ، وتقلب الأمور ، فقال لهم : أتاني عبيد الله بن يحيى ، وأنا
قاض في حياة بقى بن مخلد ، فقال : لست والله أَرْضَى أَنْ تَسْتَشِيرَنِي مَعَ
بقي بن مخلد في مجلس واحد ، فَتَجْعَلَنِي لَهُ نَظِيرًا ، وَلَكِنْ إِذَا أُرِدْتَ شَيْئًا
مِنْ ذَلِكَ ، فَأَرْسَلْ فِيهِ فِي وَقْتٍ ، وَأَرْسَلْ فِيَّ فِي وَقْتٍ آخَرَ ، وَلَا تَجْمَعُنَا
جَمِيعًا ، قَالَ : فَلَمْ يُمْتِ حَتَّى أَرْسَلَ الْإِمِيرُ فِي وَلَدِ بَقْيٍ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَفِي
عَبِيدِ اللَّهِ ، فَشَاوَرَهُمَا فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ .

(١) الأصول : « بشر » صوابه ما أثبتنا .

قال محمد :

وكانت أخلاق أحمد بن بقى من أخلاق أبيه بقى بن مخلد فى المداواة والإغضاء ، وحسن الإقبال على عدوّه ، وجميل الصّفح عن ظالمه .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقى :

كنتُ بحضرة أبى ، حتى أتى من يحكى عن رجل ، أنه رفع فيه بطاقة إلى أمير المؤمنين — أعزه الله — فجعل يدعو لذلك الرافع بالتوبة ، ويتحّين عليه من المآثم .

قال خالد بن سعد :

أتيت أحمد بن بقى نهار جنازة ولد الحبيب بن زياد ، فقال لى : هل لك رأى فى السّير إلى دار المتوفّى ؟ قلت : نعم . فصحبته ، وخرج وهو ماش من المسجد إلى دار الميت ، فلما أتيننا بعض الطريق ، قال : لقد أذانى هذا الميت ، وقد صبرتُ دليبه إذ كان فى الدنيا فلم أكافئه ، وهو اليوم أحوجُ إلى أن أصبر عليه ، أشهدك أنه فى حلٍّ من كل ما فعل بى .

قال محمد :

وكان أحمد بن بقى رءوف القلب ، رفيق العقوبة ، وله فى مثل هذا المعنى خاصة أخبارٌ مُعجبة مُستجملة ، بخروجها عَمَّا عُرِفَ من أخلاق الناس وأخبارهم .

قال لى أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ، وفرج بن سلة البلوى .

حضرنا أحمد بن بقى فى مجلس نظره ، وقد أتته امرأة ، تخصم زوجها ، فاستطالت عليه بلسانها ، وأذته بصلفها ، فنظر إليها ، فقال لها : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت المرأة شيئاً ، ثم عاودت الصلف ، فقال لها القاضى : أقصرى وإلا عاقبتك ، فانكسرت ، ثم عاودت

الصلف ، فعطف عليها أحمد بن بقی فجعل يقول لها : أنت ظالمة ، أنت ظالمة ، ثلاثا ، ثم قال لها : ألم أخوفك من قبل هذا ؟
قال : فذه كانت عقوبته للمرأة على صلفها أن قال لها : أنت ظالمة ، ثلاثا .

قال لی فرج بن سلمة :

وكننت قد حضرتُ مجلس أسلم . وقد أتته امرأة تسأل الفرض على زوجها ، فقال أسلم لأبي عبد الله محمد بن قاسم : أفرض لها ، ففرض ، فأبت المرأة القبول^(١) واستقلت الفرض ، وقالت : ما ثم أحد يتكلم لله . فدعا أسلم ، لما سمع صلفها ، بالسوط ، ثم أمر بها فقتنع رأسها أسواطاً ، فما زادت المرأة أن جعلت كسُمها على رأسها حتى فرغ [من]^(٢) الضرب ، فلما فرغ [منه]^(٣) قالت^(٤) للقاضي : أحسنت يا قاضي ، هكذا يفعل القضاة بالله الذي لا إله إلا هو لا قبلتُ هذا الفرض الذي فرض لي .

قال فرج بن سلمة : فلما شهدت يفعل أحمد بن بقی بالمرأة شكرته على رفقته ورأفته ، وحكيته له ما فعل أسلم بن عبد العزيز فقال : الله المستعان ، وأسأل الله التوفيق .

وسمعت الناس على الاستفاضة يقولون :

لم يَقتنع^(٥) أحمد بن بقی في طول أيامه أحداً بسوط ، حاشى رجل واحد يسمى منخل ، فإنه كان شر مخلوق ، فضربه أسواطاً ، فلم يبق أحدهم إلا شكر لأحمد بن بقی فعله فيه .

(١) الأصول : « من القبول » والفعل يتعدى بنفسه .

(٢) تكملة يستقيم بها المعنى .

(٣) تكملة يستقيم بها المعنى .

(٤) الأصول : « قال » ولا يستقيم بها الكلام .

(٥) لم يقنع : لم يضرب .

حدثني أصبغ بن عيسى الشقاق ، قال :
كنت مقبلاً يوماً مع القاضي أحمد بن بقي ، حتى عن لنا سكران
يمشي بين أيدينا ، فجعل أحمد بن بقي يمسك من عنان دابته ، ويفرق
في سيره ، يرجو أن يغيب عنه السكران أو يحبس به ، فيذهب مسرعاً ،
فكان كلما ترقق القاضي وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضي بد من أن
يقرب منه وينظر إليه .

قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضي أن ينتشب^(١) في مثل
هذا ، ورقة قلبه أن يقرع أحداً بسوط ، فقلت في نفسي : ليت شعري !
كيف تصنع في مثل هذا يا ابن بقي ؟ فلما قربنا من السكران تعاطف^(٢)
على القاضي ، فقال : مسكين هذا السائر ! أراه مخبول العقل ، قال : فقلت
له : بلية عظيمة ، فجعل يستغفر الله ، ويسأله أن يأجر المصاب
في عقله .

قال أصبغ :

وكنْتُ عنده يوماً أنا وكاتبه ابن حصن ، حتى أتاه رجلٌ محتسب^(٣)
برجلٍ به رائحة الشراب ، وادعى^(٤) المحتسب ، فقال القاضي لكاتبه ابن
حصن استنككه^(٥) فاستنككه ، فقال له : نعم ، عليه رائحة الشراب .
قال : فظهر بوجه الكراهية لذلك ، ثم قال لي : استنككه أوت ،
ففعلت ، فقلت له : أجد رائحةً ولا أدري إن كانت رائحة مسكرٍ أم لا .

(١) انتشب : علق .

(٢) الأصول : « تعاطف » .

(٣) المحتسب : من يتولى منصب الحسبة ، وهي الاشراف على
الشتون العامة .

(٤) الأصول : « ودعا » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا .

(٥) استنككه : شم رائحة فمه .

قال : قهلهل وجهه ، ثم قال : يطلق ، فلم يثبت عليه شيء .

قال محمد :

وقد قدمت عذر من أغضى عن حد السكر من القضاة ، في باب ذكر محمد ابن زياد القاضى ، فأغنى عن ذكره في هذا الموضع .

قال محمد : أخبرنى بعض إخوانى ، قال :

كنت حاضراً عند أحمد بن بقر ، فأمر بحبس رجل ، ثم قال لمن بين يديه سرّاً . أطلبوا إلى فى إطلاقه ، فجعل القوم يطلبون إليه ، فأسمعهم ، وقال للأمور بحبسه ، لولا طلب^(١) من حضر إلى الحبستك .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقر :

وكان إذا طرقة ضيف ليلا لم يذبح له شيئاً من الطير ، وقال : الليل أمان لها ، ويقتصر على العسل والسمن والبيض ، وماشا كل ذلك ، فيقرُّ به إلى الضيف .

قال محمد :

وكان حسن الانتقاد والفتنة فى الوثائق ، كان لا يوقع شهادته فى وثيقة حتى يقرأ جميعها ، من أولها إلى آخرها ، وكان يصبر على ذلك ، وإن كان قائماً على قدميه .

قال لى أحمد بن عبادة الرعينى :

كتبت لنفسى وثيقة على رجل بمال ، وذكرت فى الوثيقة سبباً اضطررت فيها إلى ذكره ، وكانت الوثيقة بذكر ذلك السبب واهنة ، وأرسلت شريكاً لى لىوقع فيها الشهادات على الرجل ، قال : فأنى بالوثيقة إلى أحمد بن بقر ليشهده فيها ، فلما قرأها ووقف على وهنها ، كره أن

(١) الأصول : « طلبية » والطلبية : المطلوب والحاجة .

يوقع شهادته على ذلك الوهن ، وكره ألا يوقع شهادته فيسخط الصديق
بانتقاضه عنه ، وكره أن ينبه المشهود عليه بوهنها .
قال : فرفع رأسه إلى الرجل ، فقال له : أشهدين أن لفلان عندك
كذا وكذا مثقالا إلى أجل كذا وكذا ؟ قال له : نعم ، فعقد شهادته على
هذا اللفظ بعينه لا غير .

قال محمد : قال لي بعض رُواة الأخبار :
كان محمد بن إبراهيم بن الجباب صاحب الوثائق ، فأمر أحمد
ابن بقي بالتعقب عليه ، فكان يتعقب لجعل ابن الجباب يوماً يقول :
من أين يتعاطى ابن بقي أنه أعلم بالوثائق مني ؟ فبلغ لفظه
ابن بقي ، فسكت عنه حتى كتب وثائق ، ثم أتى بها أحمد
ابن بقي للعرض ، فاستفرغ ابن بقي فيها جهده ، حتى أخذ
عليه مواضع أبانها له ، قال له : أبدلها . فأبدلها ، ثم أتى بها ،
فانتقد عليه أيضاً فيها ، فأرسل إليه ابن الجباب : أنا أقرُّ لك
أنك أعلمُ بها مِنِّي ، وأشهد بذلك لك ، فدعني من كثرة هذا
الكشف والبحث وإلا حلفتُ ألا أكتب وثيقة ،
فتركه ابن بقي بعد ذلك وسأحه .

قال لي أحمد بن عبادة :
وكنْتُ عند ابن بقي يوماً ، وعنده رجلٌ غير نبيه الاسم ،
ولا مشهور العدالة ، ولم يكن عنده غيرُنا ، وجعل رجلٌ دخل
عليه يقول له : أشهدين لي أبا عُمَرَ ، وأبا فلان - الرجل الثاني -
الذي كان معي جالساً ، وجعل ابن بقي يَلُودِي^(١) عن الإجابة ،
والْحُ عليه الرجلُ إلحاحاً شديداً .

(١) الأصول : « له » ولا يستقيم بها المعنى .

قال أحمد بن عباد : فقلت في نفسي : أترأه يجعلني نظيراً لهذا
الجالس فيشهدنا جميعاً على شيء يحكم به ؟

قال : فرفع رأسه إلى الطالب ، فقال له : إني أدرف انقباض أبي
عمر عن هذه الشهادات ، ولكن أدخل إلى فلانا أشهده مع أبي فلان ،
وأمر بإدخال رجل من شاكاة الرجل الجالس .

قال محمد :

وكان شأن أحمد بن بقي ، فيما يتخاصم عنده فيه ، أن ينفذ الظاهر
البين من الأمور ، ويستعمل الأناة والتؤدة فيما التبس عليه ، وكان عنده
فيه شك ، حتى تظهر له الحقيقة ، أو يصير المتخاصمان إلى التصالح
والتراضي .

قال لى عبد الرحمن بن أحمد بن بقي :

أتى رجل إلى أمير المؤمنين — أعزه الله — ذكر ك في مجلسه بلين
الجانب ، والتطويل في الأحكام ، فقال : أعوذ بالله من لين يؤدى
إلى ضعف ، ومن شدة تبلغ إلى عنف .

ثم جعل يذكر فساد الزمان ، واختيال الفجار ، وما يحدث من
الأمور المشبهة التي لا تبين له حقيقتها ، ولا يكشف له وجهها ، ثم قال :
قد اشتبه على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — خصومة قوم طال
نظره فيها ، فكره أن يحكم مع الاشتباه ، فأمرهم بابتداء الخصومة
من أولها .

قال محمد : وذكر لى بعض أهل العلم ، قال :

اختصم إلى أحمد بن بقي رجلان ، فنظر إلى أحدهما يحسن ما يقول
ونظر إلى الآخر لا يدري ما يقول ، ورآه تتوسم فيه ملازمة الحق ،

فقال له : يا هذا ، لو قدمت من يتكلم عنك ؟ وأرى صاحبك يدري ما يكلم ، فقال له : أعزك الله ، إنما هو الحق أقوله كائنا ، فقال : ما أكثر من قتله قولُ الحق !

قال :

وأما رجلٌ يوماً ، فقال له : ياسيدي ، الحاجب موسى بن محمد يقرأ عليك السلام ويقول لك : قد عرفت محبتى لك ، وشحى بجميع أسبابك ، وقد دار عندك على يحيى بن إسحاق ما قد علمت من الخاصمة ، وقد شهدت^(١) عندك^(٢) بالبينة العدول ، وتأنيت عن الحكم عليه ، وعن إنفاذه ، بما شهدت به البينة ، فقال لرجل : تبلغ الحاجب عنى السلام ، وتقول له : إن محبتنا إنما كانت لله ولوجهه ، ويحيى بن إسحاق وغيره فى الحق سواء ، وقد دخل على أرتياب ، ولا والله ما أحكم على يحيى بن إسحاق بشيء ، حتى يتضح عندى أمره بنور ، كاتضاح الشمس فى الدنيا ، فإنه لا يجبرنى أحد من يحيى بن إسحاق إن جأفانى^(٣) الخصومة بين يدى الله .

قال الرجلُ المرسل^(٤) : فحكيت كلام القاضى للحاجب ، وهو ساكت لا يقول شيئاً ، وأبو عمر أخوه الوزير يبدى ويعيد فى ذلك ، ثم تحول إليه الحاجب ، فقال له : يا أخى ، القاضى والله رجلٌ صالح ، لا زال بخيرٍ ما كان هو وشبهه بين أظهرنا^(٥) ، ولما نزل بيحيى بن إسحاق . ألم

(١) الأصول : « شهدت » .

(٢) الأصول : « البينة » .

(٣) الأصول : « جأفانى » ويبدو أنها محرفة عما أثبتنا . وجأفناه :

ادعى عليه جنابة .

(٤) الأصول : « المرسل » تحريف .

(٥) الأصول : « ولم » .

نسكن نأمن هذا ونطمئن إليه ؟ والله ما زاده عندي إلا محبة
واعتقاداً .

قال محمد :

وكان أمير المؤمنين — أعزّه الله — واثقاً به ، ومجلاًّ له ،
وعارفاً بحقه .

ولم يُعزَل عن القضاء حتى توفّي سنة أربع وعشرين وثلثمائة وهو
ابن أربع وستين سنة .

(١) الأصول : « رادة » براءة مهملة ، تصحيف .

ذكر القاضى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصمعى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن بى آستقضى بعده أمير المؤمنين - أعزه الله - أحمد بن عبد الله بن أبى طالب غُصْن بن طالب بن زياد بن عبد الحميد ابن الصباح بن يزيد بن زياد الأصمعى ، وأدخله على نفسه ، وعهد إليه بما يعهد بمثله أئمة العدل ، وولاية الحق ، من إعظام الخطئة وصيانتها ، وإيثار الحق وإمضائه ، وتنفيذ الأمور إذا استبانت ، والأناة فيها إذا اشتبهت ، ووقفه على حدود القضاء ، وسياسة الأحكام ، وما يجب للقاضى وعليه فى كل حال قولاً وفعلًا .

وولّى أمير المؤمنين - أعزه الله - عند ذلك الصلاة محمد بن عبد الله ابن أيمن ، فكان أحمد بن عبد الله قاضى الجماعة ، ومحمد بن عبد الملك ابن أيمن صاحب الصلاة .

قال محمد :

وكان أحمد بن عبد الله شريف البيت ، نبيه الاسم ، صموتاً وقوراً مهيباً ، قد تأدّب فى القضاء ، وجرب الأمور ، ومن قبل ذلك فى مُبتدأ أمره كان قد ولّاه أمير المؤمنين السوق والنظر فى أموال بعض كرائمه وقلده أسباب الأمانات فى بعض السكور ، وولّاه قضاء كورة البيرة ، فكان بها حتى نقله أمير المؤمنين - أعزه الله - إلى قضاء الجماعة بقرطبة ، فكان قاضياً سنتين وشهوراً يسيرة ، ثم توفى فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وثلاثمائة .

ذكر القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى

قال محمد :

ولما توفى أحمد بن عبد الله بن أبى طالب ، أمر أمير المؤمنين —
أطال الله بقاءه — باستقدام محمد بن عبد الله بن أبى عيسى كثير بن وسلاس
المصمودى ، كان قاضياً على كورة لبيرة قبلها ، وأتى محمد بن عبد الله
ابن أبى عيسى باب أمير المؤمنين — أعزه الله — وأدخله على نفسه ،
وشافه بالخطاب ، وأعلمه باختياره إياه ، وولاه قضاء الجماعة ، وعهد
إليه ، ووعظه ووصاه .

قال محمد : قال لى أبو عمر أحمد بن عبادة الرعنى .

وصف لى القاضى محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ما خاطبه به أمير
المؤمنين — أعزه الله — إذ ولاه القضاء ، من عهده إليه ، ووعظه له ،
ووصيته إياه ، وما حدث له فى ذلك من الحدود ، ورسم له من الرسوم ،
وما فقه فيه من أسباب القضاء ، ووقفه عليه من وجوه الأحكام .

قال أحمد : فقلت : لو أن أباك كان حيّاً ، واجتهد فى عظمتك ، ما بلغ
من النصيح لك هذا المبلغ .

قال محمد :

وأقر أمير المؤمنين — أعزه الله — محمد بن عبد الملك بن أيمن على
الصلاة زماناً ، فكان محمد بن عبد الله بن أبى عيسى ، القاضى وابن أيمن
صاحب الصلاة ، حتى ضعف بدن ابن أيمن ، وذهبت قواه ، فاستعفى من

الصلاة فعوفى ، وجمع أمير المؤمنين — أبقاه الله — الخطتين جميعاً :
القضا ، والصلاة ، لمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى .

قال محمد :

ومن قبل ذلك لم يزل محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في حداثة السن ،
وباكورة العمر ، معروف الحق ، ظاهر السؤدد ، وطالبا للعلم .

سمع أحمد بن خالد الجباب ، سمع منه ومن غيره ومن شيوخ قرطبة ،
ثم تحل حاجتا سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، فلق شيوخ القيروان : البجلي محمد
ابن علي ، وأحمد بن أحمد بن زياد ، ومحمد بن اللباد ، وإسحاق ابن
نعمان ، وسمع أيضاً بمصر من غير ما رجل من شيوخنا ، ولقي بمكة
أبا بكر المنذر ، والعقيلي وغيرهما^(١) ، وانصرف إلى الأندلس سنة أربع
عشرة وثلاثمائة .

وكان أحمد بن بقي ، قاضي الجماعة ، يشاور محمد بن عبد الله ابن
أبي عيسى مع سائر الفقهاء .

وقلده أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — غير ما أمانة ، فقام
بما حمل ، واكتفى بما استكنى ، ثم ولاه قضاء كورة جيان ، وكورة
البيرة ، وكورة طليطلة ، وامتحنه في كل وجه ، وعجمه في كل معنى ، وكفى
بمحنة أمير المؤمنين — أعزه الله — واختباره ، فألفاه خالصاً ، ووجده
ناصحا ، فلما شهدت له عنده التجربة بدرجة الاستحقاق ، قلده قضاء
الجماعة ، على حسب ما نصصت متقدماً ، فتولاها بسياسة محمودة ، من
تنفيذ الحقوق ، وإقامة الحدود ، والكشف عن البيئات في السر ،
والصدع بالحق في الجهر ، لم يستمله مخادع ، ولم يعمل فيه كيد مخاقل ،

(١) الأصول : « وغيره » .

ولا خاف أهل الحرم ، ولا داهن أهل النمة ، ولا أغضى عن وجوه
أهل الخدمة في عظام الأمور ، وكبائر الأشياء ، فضلاً عن أصاغر
الأسباب ، ومحقر الحوادث .

قال لي أحمد بن عبادة :

كنت مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى يوماً في مقبرة الربض ،
حين^(١) نظر إلى شيء من آلة اللوم مع بعض الوصفاء ، فأمر بكسره ،
ف قيل له : إنه لفلان ، وسمى له رجلٌ عظيم ، فلم يلتفت إلى ذلك
ولا ثناء عما أراد من كسره .

قال محمد :

وللقاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في باب الصلاة ، وإيثار الحق
وإقامة الحدود على وجوه الناس من أهل الحرم ، أخبار كثيرة ،
مشهورة في العامة ، معروفة في الخاصة .

قال محمد :

جالست محمد بن عبد الله بن أبي عيسى غير ما مرة فرأيت محمد
التصرف ، جميل المذاهب ، كريم الأخلاق ، ثم ولي بعد ذلك قضاء
الجماعة ، فرأيت أحداً من عقلاء إخوانه يلومه في حوالة^(٢) ، ولا يعذله
في تغير ، بل يصنفونه من ضد ذلك بما هو أولى بأهل المروءة ، وأشبهه
بصفة أهل السكال .

قال محمد :

ولمحمد بن عبد الله بن أبي عيسى بعد هذا كآله نصيبٌ وافر من

(١) الأصول : « حتى » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) حوالة ، أى تحول .

الأدب ، وحظ كامل من البلاغة ، مخاطباً بلسانه ، ومُسكاتياً بقلبه ، وحقّ
لخيرة^(١) أمير المـنـين ، وقاضى بيضته ، وحاكم مصره ، أن يكون
موصوفاً بأكرم الصفات ، وموسوماً بأفضل الآلات .

قال محمد :

ثم أخرج محمد بن عبد الله بن أبي عيسى في صدر سنة ثمان وثلاثين
وثلاثمائة . فلما جاوز طليطلة ، ونزل بقرية تسمى نحارس ، من عمل
طليطلة ، قريباً منها ، أدركه أجله ، فتوفي فيها يوم السبت ، لانسلاخ
صفر سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو ابن أربع وخمسين سنة .

وكان مولده — فيما كان يذكر — في ذى الحجة . لثلاث عشرة ليلة
خلت منه ، من سنة أربع وثمانين ومائتين ، ودُفن بطليطلة ، رحمه الله .

(١) الخبرة ، بالفتح ، وبكسر ففتح : ما يختار .

(٢) مكان هذه النقط كلمة أخرى استعصت على القارئ ، وما أثبتناه
يستقيم به الكلام .

ذكر القاضى منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطى

قال محمد :

ولى مُنذر بن سعيد يوم الجمعة لحس خلون من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وثلثمائة قضاء الجماعة ، والصلاة فكان صُلباً ، صارماً ، غير هيّاب ولا جبان ، فقصى باقى أيام أمير المؤمنين عبد الرحمن — رضى الله عنه . فلما مات أمير المؤمنين الإمام الفاضل — رحمه الله — وولى الامام الحكم بن عبد الرحمن — أبقاء الله — أقرَّ مُنذر بن سعيد على خُطَّتَيْهِ ، فلم يزل قاضياً وصاحب صلاة .

وكانت صلاته فى جامع الزَّهراء طول ما قضى من أوّل ولايته القضاء إلى آخرها .

ثم توفى ليلة الخميس ، لليلتين بقيتا لذى القعدة ، آخر سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وهو ابن أربع وثمانين سنة .

ذكر القاضي محمد بن إسحاق بن السليم

قال محمد :

ثم ولى محمد بن إسحاق بن السليم يومَ السبت ، لخمس عشرة ليلة
مضت من المحرم سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، فكان عنده من الفضل في
علمه وفهمه ، وحسن النظر في الأمور ، وجميل الخلق في المعاشرة ما
هو مأثور عن القضاة المتقدمين .

وبقى محمد بن يحيى على خُطة الصلاة بقرطبة إلى أن مَرَضَ ،
فاستعفى ، كفَعُوهُ .

وولى الصلاة بقرطبة القاضي محمد بن إسحاق بن السليم ، وذلك
يوم الفطر من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة .

تم السَّفر بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على محمد نبيه وعبداه وعلى
آله وصحبه وسلم وكان الفَرَاغ منه في صبيحة ، بل في الثلث الأخير ، من
ليلة الخميس السادس والعشرين لشَهْرِ ربيع الأول من سنة خمس
وتسعين وستمائة .

وكتبه بيده العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر له من جميع ذنبه
عبد الله بن محمد بن علي اللواتي ، تغمداه الله بعفوه وغفر له ولآبائه وللجميع
المسلمين أجمعين .

فرحم الله من دعا لكتابته وكاتبه وقارئه ومستمعه بالتوبة والمغفرة
لهم وللجميع المسلمين أجمعين .

. . .

ملكه وكسبه محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي الشير
في طنجة بأبن بطوطة عفا الله عنه وتاب عليه .

ثم ملكه وكسبه بأرض برتقال أعادها الله ، عمر بن أحمد بن يوسف
المقدسي ، ثم ملكه بعده ابنه إبراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف الفقيه
الشير بصغرك ، غفر الله له ، عام خمسة وسبعين بعد ثمانمائة .

فهارس الكتاب

وتتظم :

- ١ - فهرست التراجم .
- ٢ - فهرست الاعلام .
- ٣ - فهرست القبائل .
- ٤ - فهرست الأماكن .
- ٥ - فهرست القوافي
- ٧ - فهرست الكتب .
- ٨ - فهرست المراجع
- ٩ - الخطأ والصواب .

(١) فهرست التراجم

- أبان بن عيسى بن دينار ٣٤ - ٣٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣
إبراهيم بن العباس القريشي ٣١ ، ١١٥ ، ١١٦ - ١٢٠
إبراهيم بن محمد ٣٢ - ٣٣
ابن بشير = محمد بن بشير المعافري
ابن طريف = عبد الرحمن بن طريف اليعصبى
ابن عمران = مصعب بن عمران
ابن معمر = يحيى بن معمر
ابن بطوطة = محمد بن محمد بن عبد الرحمن النواتى
أبو الجعد = أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد
أبو خالد = سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقى أبو خالد
أبو عبد الله = أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد أبو عبد الله
أبو عقبة = الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة
أبو عمرو = معاوية بن أبى أحمد صالح بن عثمان الخضرى أبو عمرو
أبو غالب = عبد الرؤوف بن الفرّج أبو غالب
أبو محمد = يحيى بن يحيى أبو محمد
أبو معاوية اللخمي = عامر بن معاوية بن عبد السلم أبو معاوية اللخمي
أحمد بن بقى بين مخلد بن يزيد أو عبد الله ٢٢٢ - ٢٣١ ، ٢٣٢
أحمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخمي ١٤٢ - ١٤٥ ، ١٤٦
أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصبحى ٢٣٢ ، ٢٣٣
أحمد بن محمد بن زياد اللخمي = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد
اللخمي
أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد ٢١٢ - ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٥
الأسوار بن عقبة النصرى أبو عقبة ١١٠ - ١١١
الأصبحى = أحمد بن عبد الله بن أبى طالب الأصبحى

الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى

بشر بن قطن ٩٩

حامد بن عبد اللطيف الرعيني ١٠١

الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٤

٢١١ ، ١١٧ ، ٢١٨ - ٢٢٠ ، ٢٢١

الحبيب بن زياد = الحبيب أحمد بن محمد بن زياد اللخمي

الحضرمي = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الخشني = محمد بن عبد السلام الخشني

زياد بن عبد الرحمن ٢٨

سعيد بن سليمان بن حبيب الغافقي أبو غالب ١٣٥ - ١٤١

سعيد بن محمد بن بشير ٢٩ - ٣٠ ، ٨٩ - ٩٢ ، ١٠٢

سليمان بن أسود الغافقي ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ - ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣

١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥

عامر بن معاوية اللخمي أبو معاوية ٥٦ ، ١٨٢ - ١٨٥

عبد الرحمن بن طريف اليحصبي ٦٤ - ٦٦

عبد الرؤف بن الفرّج أبو غالب ٣٦ - ٣٧

عبيد الله بن موسى الغافقي ١٠٠

عثمان بن أيوب بن أبي الصلت ٣١ - ٣٢

على بن أبي بكر الكيلاني يوانش ١٢٤

عمر بن شراحيل المعافري ٦١ - ٦٣

عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ - ١٥٤ ،

١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ - ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،

١٧٨

عنتر بن فلاح ٤٤ - ٤٥

غناة عبس = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو

عمرو

الفرّج بن كنانة ٩٣ - ٩٨

القبعة = عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة

قطن بن جزء التميمي ٩٩

محمد بن اسحاق بن السليم ٢٨٨

محمد بن بشير المعافري ٢٨ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ - ٨٨ ،
٨٩ ، ١٠٢

محمد بن تميم بن حامد الرعيني ١٠٠

محمد بن زياد اللخمي ١٢٨ - ١٣٤

محمد بن سلمة الكيلاني ١٩٣ - ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٤

محمد بن عبد السلام الخشني ٣٣ - ٣٤

محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ٢٣٣ - ٢٣٦

محمد بن عيسى الأعشي ٢٨ - ٢٩

مسرور بن محمد بن بشير المعافري ١٠٢

مصعب بن عمران ٢٧ - ٢٨ ، ٦٧ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٨٦

معاذ بن عثمان الشيباني ١٢١ ، ١٢٥ - ١٢٧

معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان الحضرمي أبو عمرو ٥٠ - ٦٠ ،
٦١ ، ٦٢

معاوية بن صالح = معاوية بن أبي أحمد صالح بن عثمان بن عمرو

منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي ٢٣٧

مهاجر بن نوفل القرشي ٤٦

مهدى بن مسلم ٢٨ - ٤٣

موسى بن زياد = موسى بن محمد بن زياد

موسى بن محمد بن زياد ١٩٠ - ١٩٢ ، ١٩٣

النضر بن سلمة بن وليد الكيلاني ٨٠ ، ١٨٠ ، ١٨٦ - ١٨٩ ، ١٩١ ،
١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٠

اليحصبي = عبد الرحمن بن طريف اليحصبي

يحيى بن معمر الالهاني ٣٠ ، ١٠٣ - ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٥ ، ١١٦

يحيى بن يحيى أبو محمد ٣٠ - ٣١ ، ٥١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٨ ،

١٢٩ ، ١٣٣

يحيى بن يزيد التجيبي ٤٧ - ٤٩

يخامر بن عثمان الشيباني ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤

يوانش = علي بن أبي بكر الكيلاني

(٢) فهرست الأعلام

- إبراهيم بن حسين بن خالد ١٢٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
إبراهيم بن عمر بن أحمد بن يوسف ٢٣٩
إبراهيم بن ليبب ١٥١
إبراهيم بن محمد بن باز ٣٣
ابن أبي أيوب القرشي ١٥٨
ابن أبي ربيع = سليمان بن محمد بن أبي ربيع
ابن أبي شيبة = أبو بكر بن أبي شيبة
ابن أبي عيسى ١٠٦
ان الأعرابي ٥٤
ابن الأغبس = أحمد بن بشير بن الأغبس
ابن أنتونيان (القومس) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢
ابن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن
ابن بزيغ = محمد بن بزيغ القيم
ابن الجباب = محمد بن إبراهيم بن الجباب
ابن حبيب = عبد الملك بن حبيب
ابن خالد = عبد الله بن خالد
ابن رحمون ١٨٨
ابن الزراد = محمد بن أحمد بن عبد الملك
ابن زونان = عبد الملك بن زونان
ابن شراحيل (العجيزة) ١٩٦ ، ١٩٧
ابن الصفار = محمد بن غالب بن الصفار
ابن عائشة القرشي ١٤٧
ابن عبد الحكم = محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
ابن عمار ١٦٧
ابن عمر بن عبد العزيز ١٦٤

ابن عمران الطلحي ٨٦
 ابن عيسى ١١٧
 ابن فطيس = عيسى بن فطيس
 ابن فطيس = محمد بن فطيس
 ابن قاسم = ابن القاسم
 ابن القاسم ٨٤ ، ١١٣ ، ١٣٠ ، ١٦٦
 ابن قلزم ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩
 ابن لبابة = محمد بن عمر بن لبابة
 ابن مغيث = أحمد بن مغيث
 ابن الملون (الفقيه) ١٦٤
 ابن وضاح = محمد بن وضاح
 ابن اليتيم = رحيم بن عبد الرحمن ابنة عبد الرحمن بن معاوية ١٤٦
 أبو بكر بن أبي شيبة ٥٢ ، ٥٤
 أبو بكر التجيبى ٢٣
 أبو بكر الصديق ٣٣ ، ١٣١
 أبو الحسين زيد بن الحباب = زيد بن الحباب العكلى أبو الحسين
 أبو خالد = هاشم بن عبد العزيز أبو خالد
 أبو الخطار = حسام بن ضرار الكلبى أبو الخطار
 أبو الدرداء ٥٣ ، ٥٤
 أبو الزاهرية = حدير بن قريب أبو الزاهرية
 أبو زيد بن إبراهيم ١٣٢
 أبو سعيد = محمد بن عمر أبو سعيد
 أبو سعيد الأشج ٥٢
 أبو صالح = أيوب بن سليمان أبو صالح
 أبو العباس = أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ أبو العباس
 أبو العباس = وليد بن إبراهيم بن لييب أبو العباس
 أبو العباس بن الفرغ بن كنانة ٩٣ ، ٩٨
 أبو عبد الله = مالك بن أنس أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله
 أبو عبد الله = محمد بن وضاح أبو عبد الله

أبو عبد الله الفقيه ١٣١
 أبو عبد الملك مروان بن عبد الملك الفخار ٥٢
 أبو عثمان العراقي ١٣٥
 أبو عمر ١٨٣
 أبو عمرو بن عمرو بن عبد الله ١٧١
 أبو عمرو = أحمد بن عبادة الرعيني أبو عمرو
 أبو غالب بن كنانة ٣٦
 أبو الغمر بن فهد ٢٠٢
 أبو محمد = قاسم بن أصبغ أبو محمد
 أبو محمد = مسلمة بن زرعة بن روح
 أبو محمد بن عتاب ٢٣
 أبو مروان = عبد الله بن يحيى
 أبو مروان = عبد الملك بن جهور أبو مروان
 أبو مروان = عبد الملك بن حبيب أبو مروان
 أبو يحيى (صاحب الأحباس) ١٩٤
 أبو يحيى بن خميس ١٨٣
 أحمد بن أبي خالد ١٦٥
 أحمد بن خيثمة ٥١
 أحمد بن أيمن = أحمد بن محمد بن أيمن
 أحمد بن بشير بن أغبس ٨١
 أحمد بن بقى ٨٢ ، ٨٩ ، ١١١
 أحمد بن حزم ١٦
 أحمد بن خالد ١٦٣
 أحمد بن خالد الجباب ٣٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٨٥ ، ٢١٤
 أحمد بن زياد ٥١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٧ ، ١٢٩
 أحمد بن سعيد ٥٧
 أحمد بن عبادة الرعيني ٣٣ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
 ٢١٩ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٣٣٤

أحمد بن عبد الله بن أبي خالد ١٣٦
أحمد بن عبد الملك ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٦٩
أحمد بن عيسى بن محمد المقرئ أبو العباس ٣٨ ، ٤٣
أحمد بن فرج بن منتيل ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٤
أحمد بن محمد بن أيمن ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٣٤
أحمد بن محمد بن زياد ٦٤
أحمد بن محمد بن عبد الملك بن أيمن ٥٨ ، ٨١ ، ١٧٤ ، ١٨٤
أحمد بن محمد بن عمر بن لبابة ١٤٣ ، ٢٢٤
أحمد بن مغيث ٢٧
أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن ٥٨
أرميا ١٨٤
اسحاق بن يحيى ١٢٩
أسلم بن عبد العزيز ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٠٧
اسماعيل بن عثمان بن أيوب ٣٢
اسماعيل بن يحيى المزني ٢١٢
أسود بن سليمان ١٨١
الأشج = أبو سعيد الأشج
أشهب بن عبد العزيز ١٠٣
أصبغ بن خليل ٩٠ ، ١٣٢
أصبغ بن عيسى الشقاق ١١٦ ، ٢٢٦
أصبغ بن الفرغ ١٠٦ ، ١٨٣ ، ١٨٥
الأعرج = عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج
الأعشى = محمد بن عيسى الأعشى
الهان بن مالك ١٠٣
أم الأصبغ بنت معاوية ٥٢ ، ٦٤
أم العباس بنت معاوية ١٥٣
أمية بن عيسى ١٥٨ ، ١٦٩
أيوب بن سليمان أبو صالح ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٤
بزنط (غلام الحكم) ٦٨
بقي بن مخلد ٣٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢

بكر بن حماد القسام ١٨٠
 بلج بن بشر ٤٨
 جبير بن نفير ٥٣ ، ٥٤
 جعفر المتوكل ١٣٥ ، ١٣٦
 جعفر بن يحيى بن مزين ٢٠٩
 حارث بن أبي سعد ١٠٦
 الحارث بن مسكين ١٣٥ ، ١٣٦
 حبيب القرشي ٦٥ ، ٦٦
 حبيش بن نوح ٩٧
 حدير بن كريم أبو الزاهرية ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٧
 حرب ٥٤
 حرملة ٤٤
 حسام بن ضرار الكلبي أبو الخطاب ٤٨
 حسان الفتى ١٣٢
 حسين بن الأسوار بن عقبة ١١٠
 الحكم بن عبد الرحمن المستنصر ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٢٣٧
 الحكم بن هشام ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١
 حمدون بن فطيس ٨٥
 حميدة بنت معاوية بن صالح ٥٥
 حنظلة بن صفوان الكلى ٤٨
 خالد بن سعد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ،
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٥ ،
 ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ،
 ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤
 خالد بن سعيد بن سليمان ٥٥
 خلة ٥٧
 ربيع (القومس) ٩٠
 رحيم بن اليتيم ١٣٥

رسول الله صلى الله عليه وسلم = محمد صلى الله عليه وسلم

الرعيى = أحمد بن عبادة الرعيى

زرياب ٣٠ ، ٣١

زونان = عبد الملك بن زونان

زياد بن عبد الرحمن ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢

زياد بن محمد بن زياد ٣٦ ، ١٨٢

زيد بن الحباب العكلى بن الحسين ٥٢

زيد الغافقى ١٤٤ ، ١٤٥

سحنون بن سعيد ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣

سعاد ٥٧

سعد بن معاذ الشعبانى ١٢١ ، ٢١٤

سعدون بن ناصر بن قيس ١٣٧

سعيد بن حسان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٤٠

سعيد الخير بن عبد الرحمن ٥٥

سعيد بن سليمان ١١٧ ، ١١٨ ، ١٥٥

سفر ٥٣

سفيان الثورى ٥٠

سفيان بن عيينة ٥٠

سليما بن بنت سليمان بن أسود ١٥٦

سليمان بن سعيد ١٣٥

سليمان بن سليمان بن هاشم المعافى ١٥٥

سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

سليمان بن عمران ١٥١ ، ٢٢٢

سليمان بن محمد بن أبى ربيع ١٩٦

السيدة بنت عبد الرحمن بن معاوية ٦٧

الشافعى ٤٤

الشقاق = أصبغ بن عيسى الشقاق

الشقاق (بغلة) ٨٢

الهياد ١٩٩

العباس بن عبد الله المروانى ٦٨ ، ٧٣

عبد الرحمن بن أبي عبدة ٩٥
 عبد الأعلى بن وهب ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الرحمن بن أحمد بن بقي ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩
 عبد الرحمن بن الحكم ٣٠ ، ٣١ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٥٥ ، ١٨٣
 عبد الرحمن بن طريف ٦٤
 عبد الرحمن بن عقبة اللخمي ٤٨
 عبد الرحمن بن القاسم ٩٣
 عبد الرحمن بن محمد الناصر ٢٥
 عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ،
 ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٨ ، ١٢٢
 عبد الرحمن بن مهدي ٥٣
 عبد الكريم بن عبد الواحد ٩٥
 عبد الله بن خالد ١٦٦
 عبد الله بن الزجالي = عبد الله بن محمد الزجالي
 عبد الله بن الفرّج النميري ١٤٦
 عبد الله بن القاسم ١٩٤ ، ١٩٥
 عبد الله بن محمد بن أبي عبدة ٣٦
 عبد الله بن محمد بن أبي الوليد الأعرج ٥٧
 عبد الله بن محمد الزجالي ١٨٧ ، ٢٠٢
 عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ١٣٦ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٤
 عبد الله بن محمد بن علي اللواتي ٢٣٩
 عبد الله بن يونس ١٦٨ ، ١٨٢
 عبد الملك ٧٦
 عبد الملك بن أبان بن معاوية بن هشام ٧٦
 عبد الملك بن أيمن ٩٨
 عبد الملك بن جهور أبو مروان ١٦٣
 عبد الملك بن حبيب أبو مروان ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
 عبد الملك بن حسن ٧٢ ، ٨٦

عبد الملك بن زونان ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٧
عبد الملك بن قطن الفهرى ٤٨
عبد الملك بن مغيث ٩١
عبد الملك بن العباس القرشى ١٦٣
عبد الملك بن عمر المروانى ٧٢
عبد بن عبد الله ٥٢
عبيد الله بن عبد العزيز ١٥٨
عبيد الله بن يحيى أبو مروان ٢٨ ، ٣٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٣
عثمان بن سعيد الزاهد ١٠٨ - ١١٤
عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الحميد ١٠٥ ، ١٠٦
عثمان بن عفان ٣٣ ، ٢١٢
عثمان بن محمد ٢٨ ، ٣٠ ، ٨٥ ، ١٠٧ ، ١٤٩ ، ٢٠٩
العجيزة = ابن شراحيل العجيزة
عقبة بن الحجاج السلولى ٣٨ ، ٣٩
على ٥٤
على بن أبى طالب ٢٩ ، ١٣١
عمارة ٩٥ ، ٩٦
عمران بن شفى ٦٧
عمر بن أحمد بن يوسف المقدسى ٢٢٩
عمر بن الخطاب ٣٣
عمر بن عبد العزيز ٤٧
عمر بن يحيى بن لبابة ٢٠٦
عيسى بن بكر المعلم ٥٦
عيسى الزاهد ٥٨
عيسى بن فطيس ١٤٧
غراب ١٢٩
فرج بن سلامة بن زهير البلوى ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٥٦ ، ٢٠١ ،
٢٢٤ ، ٢٢٥
الفهرى = يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

قاسم بن أصبغ البيانى أبو محمد ٣٦ ، ١٨٠

قاسم بن هلال ٨٣ ، ٨٤

القسام = بكر بن حماد القسام

القيم = محمد بن بزيع القيم

اللواتى = عبد الله بن محمد بن علي اللواتى

اللواتى = محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتى

الليث بن سعد ٥٠ ، ٧٢ ، ١٢٩

مالك بن انس ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧

محمد صلى الله عليه وسلم ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٣٩

محمد بن ابراهيم بن الجباب ٦٥ ، ٢١٠ ، ٢٢٨

محمد بن أحمد بن أبى خيثمة ٥١

محمد بن أحمد الشيبانى ٧٩

محمد بن أحمد بن عبد الملك (ابن الزراد) ١٠٢

محمد بن أحمد العتبى ١٣٩

محمد بن الأغلب التميمى ١٣٦

محمد بن أمية ٢٠٣ ، ٢٠٤

محمد بن أيمن = محمد بن عبد الملك بن أيمن

محمد بن بزيع القيم ١٦٢

محمد بن جهور ١٦٤

محمد بن حارث الخشنى أبو عبد الله ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ،

٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ،

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،

١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

محمد بن حفص ٩٤

محمد بن خالد ٨٤

محمد بن سعيد ١١٥ ، ١٤١

محمد بن سعيد بن سليمان ١٤١

محمد بن السليم ١٣٢

محمد بن صالح ٥٨

محمد بن عبد الأعلى ٨٢

محمد بن عبد البر ٢١٧

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ،

١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٠

محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ١٢٨ ، ١٢٩

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ٢١٢ ، ٢١٣

محمد بن عبد الله بن القوق ٨٦

محمد بن عبد الملك بن أيمن أبو عبد الله ٥١ ، ٥٥ ، ٦٤ ، ٩٣ ، ١١٣ ،

١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٩٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣

محمد بن عمران الطلحي ٧٢

محمد بن عمر أبو سعيد ٦٢

محمد بن عمر بن عبد العزيز ٥٤ ، ٨٦ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١٦٢

محمد بن عمر بن لبابة ٥٦ ، ، ٥٧ ، ٨٦ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٦٥ ،

١٦٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٦٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢١٦

محمد بن عيسى الأعشى ٨٠ ، ١١١ ، ١٣٠ ، ١٣١

محمد بن غالب بن الصفار ٢٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ، ١٩٨

محمد بن فطيس ٣٤ ، ٧٦
 محمد بن قاسم ١٦٢
 محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن اللواتي (ابن بطوطة) ٢٣٩
 محمد بن مسور ١٨٥ ، ١٨٨
 محمد بن موسى ١٦٤
 محمد بن هاشم الزاهد ١٩٣
 محمد بن هشام ٥٨
 محمد بن وضاح أبو عبد الله ٣١ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦١ ،
 ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٧ ،
 ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٧
 محمد بن وليد ١٥٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٥
 محمد بن يوسف بن مطروح ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦٩
 مرة بن دسم ١٠٥
 مروان بن عبد الملك الفخار أبو عبد الملك = أبو عبد الملك مروان بن عبد
 الملك الفخار
 ميلمة بن زرعة بن روح أبو محمد ٤٤ ، ٤٦
 المسيح بن مريم (عليه السلام) ١٢٢
 معاوية بن صالح الحضرمي ١٢٨
 المنذر بن محمد ٣٣ ، ٣٥ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٥
 موسى بن حديد = موسى بن محمد بن حديد
 موسى بن سماعة ٨٧
 موسى بن محمد بن حديد ٣٦ ، ١١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٠
 الموفق ٢٤
 مؤمن بن سعيد الشاعر ١٤٩ ، ١٥١
 ناصر بن قيس ١٣٧ ، ١٣٨
 نصر الفتى ١٣٩
 النميري = عبد الله بن فرج النميري
 هاشم بن رزين ١٦٤
 هاشم بن عبد العزيز أبو خالد ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

هشام بن عبد الملك ٦٧

وليد بن ابراهيم بن لبيب أبو العباس ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٧٥

يحيى ١٢٧

يحيى بن اسحاق ٢٣٠

يحيى بن زكريا ٣١ ، ٩٠ ، ١٥٧

يحيى بن سعيد القطان ٥٠ ، ٥٣

يحيى بن معين ٥٠

يحيى بن يزيد بن هشام ٤٩

يحيى بن يوسف بن يحيى المعافى ٧٦

يوسف بن بسيل ١٦٣

يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٧

يوسف الفهرى = يوسف بن عبد الرحمن الفهرى

يونس بن عبد الأعلى ٢١٢

يونس بن متى ١٢٢

(٣) فهرست القبائل

- آل الفرّج بن كنانة ٩٤
أهل اشبيلية ١٠٣ ، ١٦٤
أهل باجة ٦١
أهل جيان ٩٩ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥
أهل حمص ٥١
أهل الشام ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣
أهل شذنة ١٠١
أهل العراق ٥١
أهل قرطبة ٩٤ ، ١١٣
بنو اسرائيل ١٨٥
بنو الأغلب ٤٣
بنو أمية ٤٤ ، ٢١٣
بنو حاطب بن أبي بلقعة ٦٧
بنو زياد ١٨٣
بنو شهيد ١٨٩
بنو العباس ١١٧ ، ١٢٠
بنو قتيبة ١٢٧
بنو موسى ١٠٠
الشيعة ٤٣
العرب ٩٥ ، ٩٦ ، ١٤٦
عرب الشام ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣
عكل ٥٢
قريش ١٨٣
كنانة ٩٣

(٤) فهرست الأماكن

- أريونة ٣٨ ، ٩١
أستجه ٦٣ ، ٨٩ ، ١٤٦
أسترقه ٩٥
الاسكندرية ١٣٦
أشبيلية ٥٠ ، ٥٢ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٦٤ ، ٢١٥
أفريقية ٤٨ ، ١٣٦
البيره ١٣٣ ، ١٧٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
الأندلس ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
٥٦ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٢
باب العطارين ١٥٧
باب القنطرة ١٤٢
باب اليهود ١٤٠
باجة ٦١ ، ٧٣
بازو ٦٧
باغة ١٥٧
بريل ١١٧
تنس ٣٨
تونس ٨٠
جامع الزهراء ٢٣٧
جليقية ٩٥
جيان ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١١٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ،
١٩٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٤
حمص ٥٠ ، ٦٧
دمشق ١٣٥
الربض ٥٨

الرملة ١٣٥

ريه ١٨٣

سرقسطة ٥٤

الشام ٤٤ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١٠٠ ، ١٣٥

شبلاد ٥٤

شدونة ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٦٣ ، ١٨٦

طليطلة ٢٣٤

العراق ٥١ ، ٥٢

العريش ٤٤

غافق ١٣٥ ، ١٥٥

غليار ٦٧

فحص البلوط ١٣٧ ، ١٥٥

فلسطين ١٠٠

قبرة ١٨٦

قرطبة ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦١ ،

٦٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ٢٣٢ ،

٢٣٩

قلعة الأشعث ١٢١

قنسرين ١٢١

القيروان ١٣٥ ، ١٥١ ، ١٨٣ ، ٢١٢

لبلة ٢١٥

ماردة ٤٨ ، ٦٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦

المدور ٦٧ ، ١١٤

المدينة ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٦

مسجد أبى عثمان ٧٦ ، ١٤٨

المسجد الحرام ٥٣

مسجد قرطبة ٥٥

المصاره ٣٢

مصر ٥٤ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٣ ، ٢١٢

مفرانة (حارة) ١٠٣

المغرب ٢٤

مقبرة الربض ٦٧ ، ١١٠

منية الرصافة ٤٩

(٥) فهرست الشعراء

الغزال ١٣٦

مؤمن بن سعيد ١٧١ ، ١٧٢

(٦) فهرست القوافي

الصفحة	البحر	القافية
١٨١	بسيط	غياب
١٢١	طويل	يخامرا
١٧١	طويل	يزرى
١٢٦	طويل	الفضل
٧٤	بسيط	عملا
١٢٢	طويل	مريما

(٧) فهرست الكتب

تاريخ أحمد بن أبي خيثمة ٥١
الموطأ لمالك بن أنس ٨٦

(٨) فهرست المراجع

أخبار مجموعة
الأنساب للسمعاني
تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية
تذكرة الحفاظ للذهبي
التكملة لابن الأبار
تهذيب التهذيب لابن حجر
جذوة المقتبس للحميدي
جمهرة أنساب العرب لابن حزم
الخلاصة في أسماء الرجال للخزرجي
صفة جزيرة الأندلس
قضاة الأندلس للنباهي
معجم البلدان لياقوت
المغرب في حلى المغرب لابن سعيدي
ميزان الاعتدال للذهبي

(٩) الخطأ والصواب

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الكمبى	الكلبى	٤٨	١٠
بحدير بن	بحدير ، ابن	٤٩	٥
ابنه	ابنة	١٤٦	٤
سليمان بن سود	سليمان بن أسود	١٣٥	٨
خالد بن	خالد ، ابن	١٥٥	٦
فرج بن سلمة	فرج بن سلامة	١٥٦	١٤
بن انتقيان	ابن انتقيان	١٦٠	٧
محمد (بالتنوين)	محمد (من غير تنوين)	١٦٢	٣
أحمد بن أبى خالد	أحمد بن خالد	١٦٥	١٩
نضحى	تضحى	١٧٤	٨
نمسى	تمسى	١٧٤	٨
ابن الربيع	ابن أبى ربيع	١٩٦	١٠
محمد بن عمر لبابه	محمد بن عمر بن لبابة	٢٠٧	٢
أحمد ابن	أحمد بن	٢١١	٩
عبد الله ابن	عبد الله بن	٢١٢	١١ ، ٤
ابن جدير	بن حدير	٢٢٢	١٧
يحيى ابن	يحيى بن	٢٣٠	١١

دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني
المتاهرة بيروت